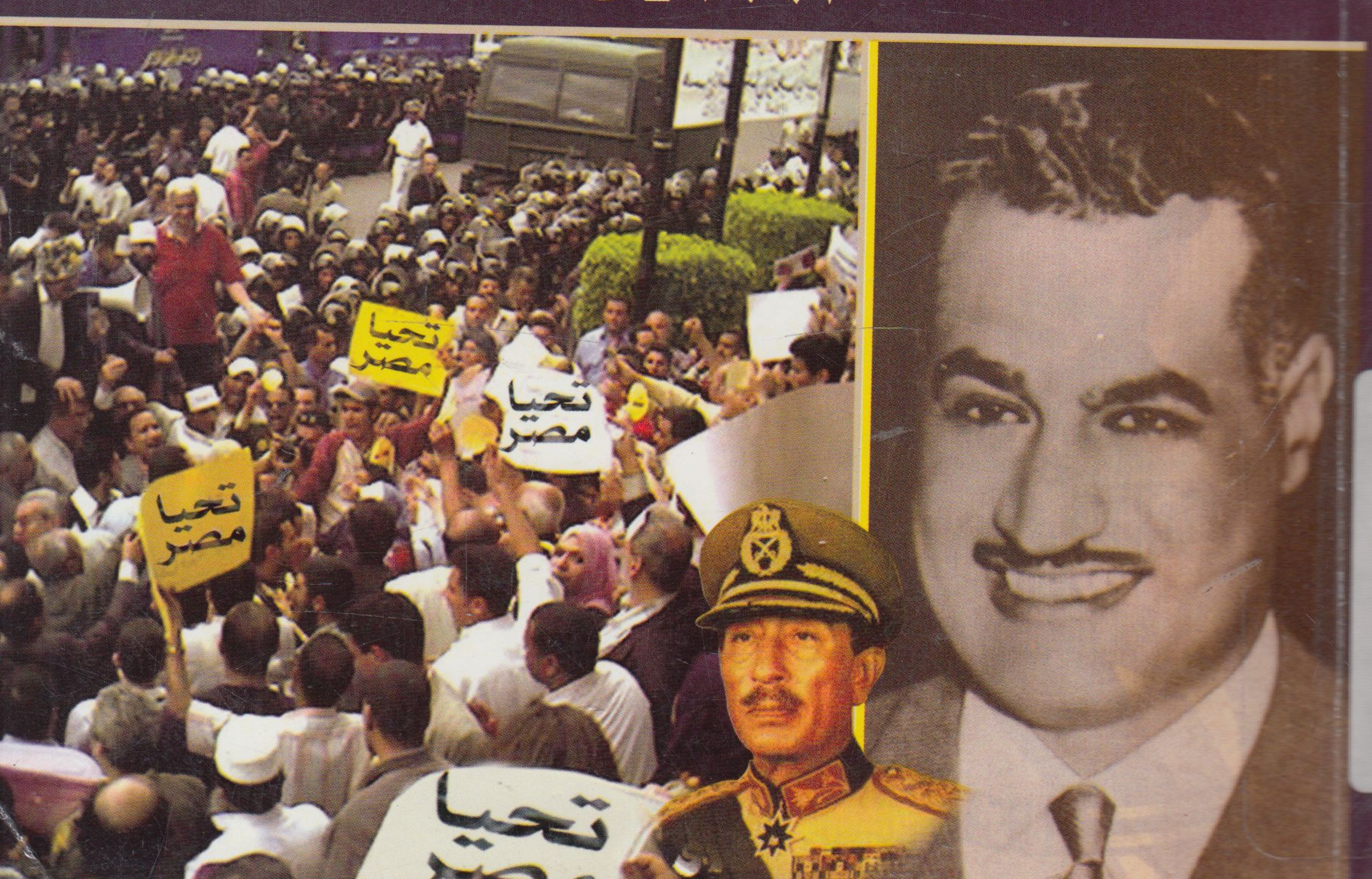
د. السيد عبد الرسول

مذكرات أستاذ جامعة

المقاومة والصمود والتغيير

(أسلوب حياة)

١٩٦٣ - ١٩٧٤



مذكرات أستاذ جامعة

المقاومة والصمود والتغيير

(أسلوب حياة)

د. السيد عبد الرسول



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : مذكرات أستاذ جامعة

المؤلف : د. السيد عبد الرسول

رقم الإيداع : ٢٠١١ / ٢٢٥٧

الطبعة الأولى ٢٠١١



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

الإهداء

إلى والديَّ:

ربياني وتحملا تمردي ولم يتبرما

لم أحقق لهما حلمهما بأن أكون

عالما أزهريا أو قاضياً شرعياً

أدعو لهما بالمغفرة والرحمة وأرجو أن

يسامحاني على ما كبدتهما من مشقة وآلام

إلى روح / جمال عبد الناصر :

مات المغنى يا كنانة مات مغنيك الوحيد

مات والفجر فى الأفق ينتظرالنشيد

إلى الشباب :

إلى أبنائي أحبابي وأحفادي

أقدم كأس الحب من دمى وأشجانى

بأعلى صوتى أنادي:

افتحوا الأبواب واصغوا

فقد بلى وترى ومزق الناي أوداجي

ضاق بي سجني وضاق بي سجاني

تقديم

منحني الدكتور السيد عبد الرسول فرصة أعتز بها .. وهي أن أكتب مقدمة لكتابه «مذكرات أستاذ جامعة» .. وهو كتاب ثمين يقدم للقارئ معلومات وخبرات ومشاعر نادرًا ما تتوفر عند شخص واحد .. في هذه المجالات التي عمل بها الأستاذ الدكتور السيد عبد الرسول .. والتي شملت التعليم حتى أصبح أستاذًا جامعيًا في كليات الهندسة بأسيوط والمنصورة والإسكندرية ، وأستاذًا مشاركًا في كلية الهندسة بجامعة ولاية كانساس الأمريكية .. والعمل السياسي حتى أصبح مناضلاً بارزًا ضد الوجود الاستعماري في مصر ثم قائدًا من قادة حزب العمل الاشتراكي وعضوًا في هيئة مكتب اللجنة المصرية للتضامن .. والعمل الاجتماعي حيث أسس ورأس الجمعية العربية لتطوير وحماية المنتج الوطني .

ويتميز كتاب «مذكرات أستاذ جامعة » بالذاكرة اليقظة .. فهو يحوي من القصص والمواقف والحكايات ما يثير الإعجاب والتقدير والاحترام في شتى المجالات التي اهتم بها .. وفي الدول التي درس وعمل بها .. الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة .

ولا يقتصر عطاء الدكتور السيد عبد الرسول على التدريس في جامعة واحدة .. ولكنه يمتد ليشمل التدريس في جامعات الإسكندرية وأسيوط والمنصورة .

ومذكرات الدكتور السيد عبد الرسول تقدم لنا صورًا رائعة رسمها قلمه الرشيق عن مختلف الأعمال التي شارك فيها سواء في مصر أو خارج حدودها .. متأثرًا دائمًا بموقفه ورؤيته الوطنية والدينية .

ولا تقتصر المذكرات على المواقف الشخصية وحدها .. ولكنها تمتد للتعبير عن المواقف العامة فهو يقدم انفعاله بثورة ٢٣ يوليو وزعامة جمال عبد الناصر التي حققت الكثير لصالح جماهير الشعب العاملة والكادحة .. وما تعرض له الوطن من عدوان إسرائيلي وما صاحبه من هزيمة تعرضت لها القوات المسلحة في يونيو ١٩٦٧ .. وانتصار حققه العسكريون الذين اقتحموا قناة السويس يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ واحتلوا خط بارليف خلال ساعات .

وأخيرًا .. فإن هذه المذكرات الثمينة والشاملة تدفعني إلى الأمل في أن تصل إلى أيدي ألوف القراء العرب حتى يستفيدوا مما خطه قلم الدكتور سيد عبد الرسول في مذكراته التي نعتز بها .

أحمد حمروش

المقدمة

من فضل الله ونعمته أن أفاء عليَّ بعدد كبير من الأصدقاء من ذوى الثقافة والعلم، كثيراً ما اختلفت آراؤنا حول مختلف القضايا والأحداث التى مرت بالبلاد كان منهم الناصريون ومنهم الإخوان المسلمون ومنهم اليساريون بمختلف أطيافهم وتوجهاتهم، لكننا أبدا ما افترقنا ولا زلنا على علاقتنا التى يميزها الود والتقدير .ويرجع الفضل فى ذلك إلى كوننا أمناء دائما مع أنفسنا ولم يحاول أى منا أن يجامل زميله على حساب الحقيقة التى يراها ويؤمن بها.من هنا تجدنى قد التزمت بتقديم الحقائق كما رأيتها وفى إطارها التاريخى ولم أفكر لحظة فى إرضاء القارئ أو كسب تأييده مهما كانت هويته. ورغم إننى شرعت فى كتابة هذا الكتاب منذ فترة قريبة و بالتحديد بعد ما شهدته مصر فى الآونة الأخيرة من حراك سياسى تطرق الحديث فيه عن المقاومة والديمقراطية والتغيير فإننى أؤكد مرة ثانية للقارئ على أن رؤيتى وتحليلى للحقائق التى أوردتها فى هذا الكتاب قد جاءت هى الأخرى فى نفس الإطار التاريخى التى حدثت فيه .

هذا ومن الجدير بالذكر إننى مع بداية حياتى العملية عام ١٩٦٤ فى مصر سرعان ما اكتشفت أن الثورة التى أيدناها لم تعد تلك الثورة التى تطلعنا إليها، وأن الاشتراكية التى يطبقونها قد أخفقت فى تحقيق العدالة الاجتماعية التى ننشدها لا لعيب فيها وإنما لأن المكلفين بتطبيقها كانوا من غير المؤمنين بها. هكذا دواليك بالنسبة للقومية العربية والوحدة العربية.... إلى آخره من الأهداف الواردة فى كتابَىْ فلسفة الثورة والميثاق . كان لابد لى وأنا من المتيمين بحب عبد الناصر والثورة أن أقنع نفسى بأن عبد الناصر لا يعرف حقيقة ما يحدث وأنه لو عرف فسوف يكون له شأن آخر. لم أكن أتصور أن عبد الناصر حتى عام ١٩٦٧ كان مغلوبا على أمره !!

وأنه بدأ كقائد يحكم الثورة ثم أصبح رجلا يحكمه حفنة من الضباط الأحرار . وقد اعترف عبد الناصر فى أعقاب هزيمة ٦٧ بما يؤكد ذلك حيث قال :«أنهم كانوا يخوفوننى من الشعب» كما قال :« انتهت دولة المخابرات » مما يشير إلى أنه كان يعانى شخصيا من دولة المخابرات،أهذا فى الوقت الذى كان فيه رئيساً لتلك الدولة!

إن الديكتاتورية أضاعت منا عبد الناصر ، وأضاعت منا فرصة العمر . لقد كان فى مقدور عبد الناصر لو أعطى الديمقراطية ثقته وولاءه أن يحيا بنا ومعنا فى بلد كان من الممكن أن يصبح من أعظم دول العالم وأكثرها رخاء، واستقراراً إلى يوم الدين .

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى الشاعر الكبير ابن مصر البار فاروق جويدة بموافقته على الاستعانة بقصيدته الرائعة «اغضب... ولا تسمع أحد» في توصيل رسالتي إلى الشباب في أجمل وأرق صورة في نهاية كتابي . كما أرجو أن يساهم نشر هذا الكتاب في التأكيد على أهمية رسالته الموجهة إلى كافة شعوب الوطن العربي .

كما لا يفوتني هنا أن أعبر عن عظيم شكري وامتناني للأستاذ الكبير أحمد حمروش على تفضله بتقديم هذا الكتاب للقراء في مصر والعالم العربي . وأؤكد على أن هذا التقديم علاوة على نبل مقصده ، قد بعث في نفسي الثقة والأمل في إمكانية التواصل بين الأجيال كما أكد على أن جزوة الثورة مازالت متقدة لأن من قام بهذا التقديم هو أحد أبطالها ممن حملوا أرواحهم على أكفهم علاوة على أنه أحد البارزين في تنظيم الضباط الأحرار كما أنه لا يزال يحمل لواء الثورة ويعبر عنها في مختلف المحافل والمناسبات سواء من خلال كتاباته الموسوعية عن تاريخها أو من خلال مقالاته المنتشرة في كافة الصحف المصرية والعربية أو من خلال مساهماته الكبيرة في الحياة الثقافية والفنية وعلى وجه الخصوص في الحركة المسرحية . وأخيرًا وليس آخرًا من خلال رئاسته لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية والآسيوية ، ورئاسته للجنة المصرية للتضامن .

وإنني أدعوا له بطول العمر والصحة والعافية ويشرفني أن أكون تلميذًا في محرابه.

المؤلف

S_rassoul@yahoo.com

الفصل الأول

الطفولة والأحلام
بين الإسكندرية وموسكو وأسيوط
.... - ١٩٦٦

ولدت أثناء الحرب العالمية الثانية، بينما كانت الإسكندرية تتعرض لغارات دول المحور ومدافع الحلفاء. كانت ولادتي خلال إحدى غارات هذه الحرب المجنونة على مدينتي المسالمة . فبينما كانت العتمة تكسو الشوارع والأزقة فإذا بوالدتي - رحمها الله - تشعر بآلام الوضع وإذا بوالدي - رحمه الله - يخرج على الفور في عز الظلام معرضاً نفسه للأخطار ليبحث دون جدوى في مثل هذه الظروف عن قابلة . غير أن سعادته لا بد أن كانت كبيرة عندما عاد ليجدني قد نجحت في الخروج وحدي من ظلمة الرحم إلى ظلمة الحياة دون انتظار للقابلة وكأنني أعرف مسبقاً طريقي إلى الحياة. ظلت قصة ولادتي دون الاستعانة بالقابلة تحكيها لي والدتي وترددها على مسامعي بين الحين والآخر حتى ترسخت في أعماقي وأصبحت جزءًا من تكويني وكياني وأعتقد أنها قد ساهمت إلى حد كبير في أن أعتمد فيما بعد على نفسي في معظم الأمور حتى في تلك التي يحتاج الواحد منا في ممارستها إلى معلم أو مدرب . وتعرفت وأنا طفل رضيع على المخابئ وتعودت أذني على صوت الانفجارات المدوية كما تعودت عيناي على وميض القاذفات . واستمعت في المخبأ إلى أخبار ما حدث في الغارات السابقة وما نتج عنها من مآس . كانت مثل هذه القصص عادة ما تجيء على ألسنة السواد الأعظم من المختبئين بهدف تسلية أنفسهم حتى نسمع الزمارة ويعلن انتهاء الغارة وتضاء الأنوار ويذهب كل حي منا إلى حال سبيله . انتهت الحرب بعد أن استسلم الألمان، ومازلت اذكر تلك الملصقات التي غطوا بها شوارع الإسكندرية تصورهم رافعين أيديهم دليلا على استسلامهم . ورغم انتهاء الحرب والغارات كنت حزيناً في قرارة نفسي فقد شعرت أنا الآخر بانكسار لأنني لم أكن أرغب وأنا في هذه السن في هزيمة الألمان وكنت أعي بفضل ما يدور من حولي وما تلتقطه أذني بأن إنجلترا تحتل مصر، وأن الإنجليز يسيئون إلى أبناء الإسكندرية ومن هنا كنت أرغب في هزيمة إنجلترا .

ومع انتهاء الحرب بين دول المحور والحلفاء بدأت حرب أخرى في بيتنا بيني وبين والدي وكنت وقتها لم أتخط الثالثة من العمر وذلك بسبب أن والدي كان قد عقد العزم على أن يلحقنى بالتعليم الأزهري عندما اكتشف فيَّ التوجه المبكر نحو الدين ذلك حين رآني أصلى في المسجد القريب من المنزل . غير أن الغارات التي شنتها قوات المحور على الإسكندرية واحتلال إنجلترا لمصر وما صاحب ذلك من مؤثرات قد تسبب على ما يبدو في توجه مبكر لي من نوع آخر ، لم يكن والدي بالطبع يعرف به أو يعلم بكنهه وأمده وأن الأمر قد وصل بي إلى الحد الذي كنت فيه كل مساء عندما أهم إلى النوم وأضع رأسي الصغير على الوسادة أتخيل نفسي قائدا لغارة حربية أشنها على إنجلترا إزاء ما فعلته، وتفعله بمصر بوجه عام وبالإسكندرية بوجه خاص وبعدها فقط أخلد إلى النوم وأغط في سبات عميق مرتاح الضمير والوجدان . كانت الغارات والحالة المقلقة التي تمر بها الإسكندرية قد نجحت دون أن يكون لي ذنب في ذلك في تشكيل وجداني وطموحاتي وحتى أحلامي . من هنا قررت أن أستفسر من والدتي عن هذا التعليم الأزهري الذي يرغب والدي في إلحاقي به حتى أتأكد من إنني سوف أحقق من خلاله ما أصبو إليه واحلم به ، وأجابتني والدتي على استفساراتي دون أن تدرى هي الأخرى مأربي وما تهفو إليه نفسي من إجابة فقالت : إنك سوف تكون قاضيا شرعيا مثل خالك!

استنتجت من إجابتها بفطرتي إنني لن أستطيع أن أحقق أحلامي واقتص من إنجلترا لو أصبحت قاضيا شرعيا فعقدت العزم على الرفض، وعدم التوجه إلى التعليم الأزهري وبالتالي عدم تحقيق رغبة والدي بكل أسف – ما زلت حتى الآن أشعر بالندم – ولما كان والدي هو الآخر لم يستسلم لرفضي حيث أنه لم يدرك ما يجول بأعماقي، ووجداني كما إنني لم أكن في سن تمكنني من المناقشة أو الحوار، ولم

أستطع سوى الرفض دون إبداء أية أسباب مقنعة .

كان التعليم الأزهري يبدأ أولى مراحله في ذلك الوقت بالذهاب إلى الكتاب. أرغمني والدي وأنا دون الثالثة على الذهاب إلى كتاب تلو كتاب وذلك لأنني كنت أنا الآخر أهرب من واحد تلو الآخر غير آبه بما ينتظرني من ضرب مبرح فى كل مرة أهرب فيها حتى وصل عدد الكتاتيب إلى تسعة، وعدد العلقات إلى أضعاف هذا العدد . شملت هذه الكتاتيب معظم أحياء الإسكندرية ورغم عدم وجود أي منها الآن تجدني ما زلت اذكر مواقعها وأتذكر معظم النوادر التي حدثت لي فيها. انتهت هذه التجربة القاسية بعد أن أيقن والدي أنه لا فائدة ترجى منى فتوقف عن محاولته وقرر أن يرمى طوبتى كما يقولون وعقد العزم على أن يتركني لحال سبيلي ونجحت أنا في تحقيق رغبتي في الإلتحاق بالمدارس التي أرغب الالتحاق بها. قرر والدي بدوره إنشاء مدرسة لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم عله يجد في أحدهم من يعوضه عنى وعله يجد في المدرسة بعض العزاء والسلوى، ولم أكن في ذلك الوقت قد بلغت السادسة من عمري بعد وإذا كانت تجربتي مع الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من غارات على الإسكندرية قد علمتني أن أحلم ويكون لي موقفًا إيجابي من الأحداث، وبالذات من أعداء الوطن فقد علمتني تجربتي التي خضتها من أجل اختيار نوع التعليم الذي أرغب فيه معنى الإرادة وأهميتها .

بدأت وأنا دون السادسة دراستي بمدرسة عباس الأول الأولية وقضيت بها حوالي عامين، التحقت بعدها بمدرسة سعيد الأول الابتدائية التابعة لجمعية العروة الوثقي التي أسسها الشيخان العظيمان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وتعرفت خلال هذه الفترة على جزء مهم من تاريخ مصر كما زرت العديد من معالم الإسكندرية، وأصبحت منذ هذا التاريخ عاشقا للبحر متيما بالإسكندرية وحصلت

على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية وأنا في الحادية عشرة وقررت بعد ذلك أن ألتحق بمدرسة العباسية الثانوية والتي كانت في ذلك الوقت من أفضل المدارس الثانوية إن لم تكن أفضلها على الإطلاق . استلمت أوراقي من مدرسة سعيد الأول وتقدمت بها بعد أن أرفقت معها استمارة التقديم أو طلب الإلتحاق وكم كانت سعادتي عندما ذهبت لأطلع على كشوف المقبولين حين وجدت اسمي في أول القائمة . وقررت أن أحتفل بهذه المناسبة فاشتركت في مكتبة الإسكندرية ولما كنت أرغب فى أن أصبح عالماً في الذرة قررت أن أرتاد قسم المراجع والكتب الأجنبية ! وكما هو معروف أن المبنى الأصلي لمدرسة العباسية كان قد تم تخصيصه لكلية العلوم بمناسبة إنشاء جامعة الإسكندرية عام ١٩٤٥ ، ومن ثم نقلت مدرسة العباسية إلى مكانها الحالي الذي يعتبر أجمل مبنى بالمقارنة بأغلبية المدارس الثانوية الموجودة حاليا بالإسكندرية . كان يزين فناءها الصغير تمثال نصفى لأحد طلابها من الذين استشهدوا برصاص الإنجليز. اكتشفتُ وأنا في هذه السن أن الإرادة لا يمكن أن تؤدى إلى النتائج المنشودة بغير الحصول على الحرية.



صورة تجمعني مع زملائي في الصف الأول الثانوي

بمدرسة العباسية وبجانبي حسين عبد الناصر عام ١٩٥١م

وحتى لا أطيل على القارئ فقد عملت بالفعل في سبيل الحصول على حريتي الأمر الذي تطلب منى كفاحاً طويلا ومريرا غير أنني في نهايته تمكنت وأنا في الثانية عشرة من عمري أن أملك و أمارس أحلامي وإرادتي وحريتي كما أنني اكتشفت فيما بعد ذلك مباشرة، إنني لكي أحافظ على كل هذه المكاسب يجب أن أكون قويا فمارست الرياضة وأصبحت نتيجة لذلك دون مبالغة أقوى طالب في الفصل .

وبعد أن استقر بي الحال في دروب العلم الذي اخترته، وقبل أن أبلغ الثانية عشرة من عمري قررت أن أقف بجانب والدي لأعوضه عن عقوقي له فافتتحت فصلا بالمدرسة التي أنشأها لتحفيظ القرآن الكريم لتقوية التلاميذ خلال عطلتهم الصيفية وكان ذلك عام ١٩٥٠ – إن فكرة فتح فصول للتقوية لم تكن حسب علمي قد ظهرت بعد بالإسكندرية وربما يكون المعهد النوبي هو الوحيد الذي كان قد سبقني إليها – ولما أثبتت هذه الفكرة نجاحها قرر والدي إنشاء مدرسة ثانية ونصبني عليها ناظراً وبذلك أصبحت ناظرا وأنا في الثالثة عشرة من عمري .

هذا ومن الجدير بالذكر أنني وإن كنت قد التحقت بالتعليم الثانوي عام ١٩٥٠ إلا أنني قد حصلت على شهادة التوجيهية – السنة الخامسة ثانوي - في عام ١٩٥٤ أي بعد أربعة أعوام فقط ذلك لأنني قررت وأنا مقيد في السنة الثالثة أن أتقدم في نفس العام لامتحان السنة الرابعة من منازلهم، والحصول على شهادة الثقافة العامة ونجحت في كلتا السنتين ونقلت مباشرة من السنة الثالثة إلى الخامسة وبذلك اختصرت عاماً دراسياً كاملاً . إن هذا النظام الذي كان معمولاً به فيما مضى في المدارس العربية والذي اختفى بعد إلغاء شهادة الثقافة العامة وظهور الشهادة الإعدادية وقد عاد مرة أخرى إلينا في ثياب أجنبية مرة تحت اسم جى – سى – إى ومرة أخرى تحت اسم آى جى سى اس إى .

وفى عام ١٩٥٢ قام الجيش المصري بحركته المباركة التي سرعان ما تحولت إلى ثورة أيدها جميع المصريين وانجرفت أنا في تأييدها إذ كنت أتصور أنني سوف أحقق من خلالها أحلامي وأنها جاءت لتعيد إلى مصر حريتها وكرامتها وأنها سوف تعمل على أن تصبح مصر أقوى الدول وأكثرها تقدماً وازدهاراً وأن الإسكندرية التي نالت ما نالته من تجاهل وإهمال بعد أن كانت العاصمة الأولى، ثم الثانية لمصر قد آن الأوان لكي تصبح بالفعل لا بالقول العاصمة الثانية لمصر والأولى لدول البحر الأبيض المتوسط لا عروسه فقط . وفى عام ١٩٥٢ ، وقبل أن أبلغ الرابعة عشرة من عمري فكرت في تقديم هدية للثورة التي ملأت عليَّ في هذه الفترة كل حياتي فقررت إنشاء قسم مسائي لمحو الأمية في المدرسة التي نصبني والدي ناظراً عليها . وكنت ومازلت أرى في التعليم وسيلة لرقى الشعوب والأمم وكنت أتطلع إلى اليوم الذي يصبح فيه التعليم في مصر تعليماً وطنياً لأنني أعتقد في أنه لو ظل التعليم وطنياً لما دنست أرض مصر . وفى عام ١٩٥٤ التحقت بجامعة الإسكندرية طالباً في كلية العلوم حيث المقر القديم لمدرستي العباسية الثانوية ساعياً وراء تحقيق أحد أحلامي بأن أصبح عالماً في الذرة . هذا وإن كنت قد وطدت نفسي على ممارسة الإرادة والحرية والرياضة فقد كانت للأحلام دائماً مكانة خاصة في نفسي إذ كنت وما زلت أعتقد أن الإنسان الذي ليس له أحلام كالحيوان الناطق لا توجد لديه القدرة على الإبداع . وتوقفت في عام ١٩٥٥ عن مواصلة عملي ناظراً للمدرسة وذلك لأسباب لا تتسع هذه الصفحات لذكرها . وفى كلية العلوم قضيت أحلي سنوات العمر . وقررت أن أملأ وقت الفراغ الذي نشأ لدي إثر توقفي عن مباشرة عملي بالمدرسة بممارسة عدد أكبر من اللعبات الرياضية إذ كنت حتى هذه اللحظة لا أزاول سوى كرة القدم والتمارين السويدية . وكنت منضماً إلى فريق كرة القدم في أحد الأندية الشعبية . فقد كانت الإسكندرية تحظى بعدد كبير من هذه الأندية وكان

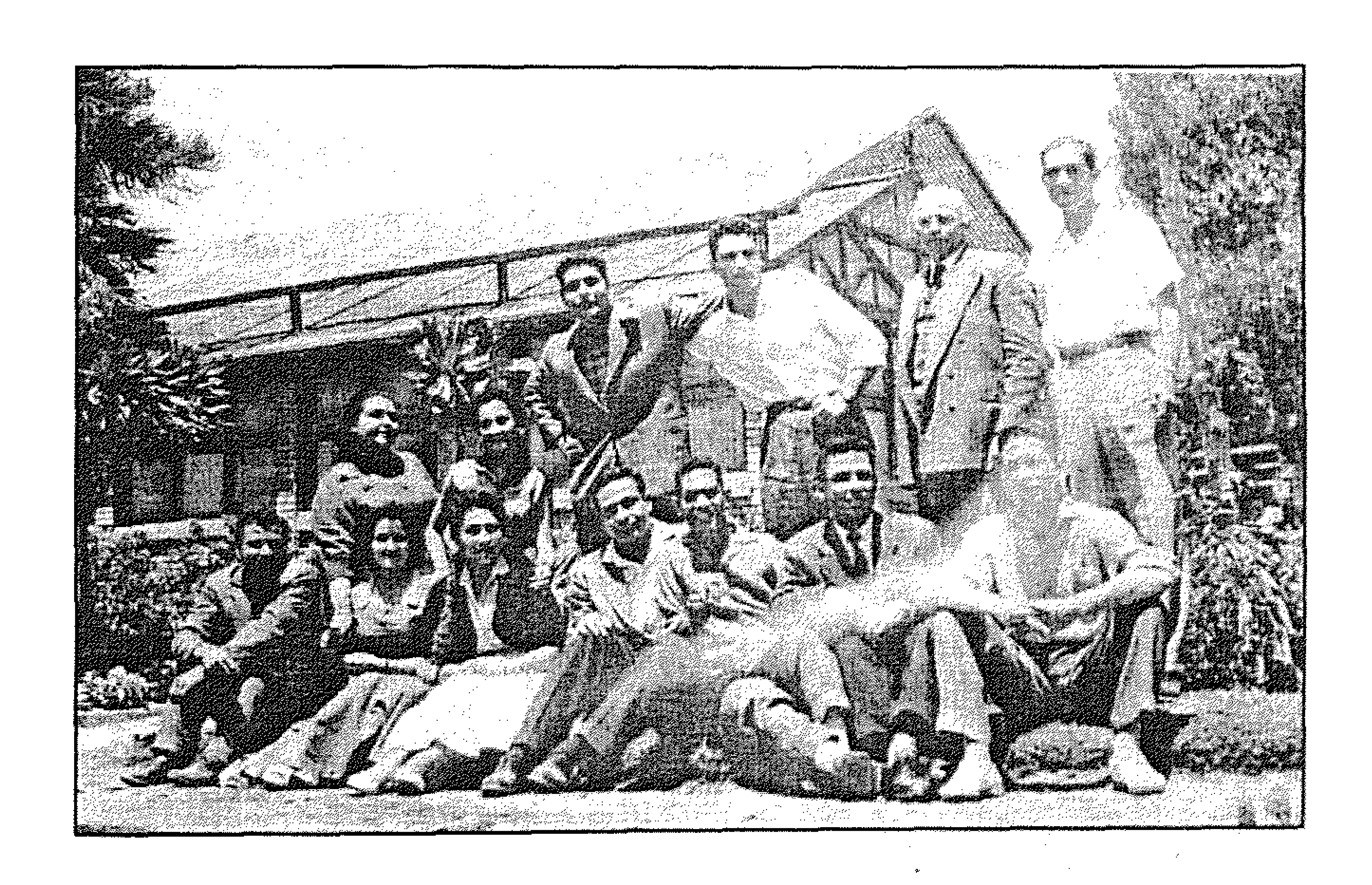
أهل الإسكندرية يهتمون بممارسة الرياضة ، وكانت الشوارع تعج بمختلف أنواع الألعاب الرياضية والأندية الشعبية وكانت كلية العلوم هي الأخرى تتميز عن باقي كليات الجامعة بوجود ملعب رسمي بها لكرة القدم ، وأصبحت رئيساً لفريق كرة القدم بالكلية كما أصبحت فيما بعد رئيساً لفريق ألعاب القوى ، والملاكمة وكانت الأندية الرياضية – لم يكن في تلك الفترة في كليات الجامعة إدارات لرعاية الشباب كما هو الحال عليه الآن – تفتح أبوابها لكل من كانت لديه رغبة جادة لممارسة الرياضة .



فريق الشعلة لمنتخب جامعة الإسكندرية
المشارك في أسبوع شباب الجامعات ١٩٥٨م

من هنا فقد تمتعت وأنا طالب في كلية العلوم بإمكانات نادى شركة الغزل الأهلية المجاور لمبنى الكلية بمحرم بك في التدريب على الملاكمة، حيث كانت هي اللعبة الوحيدة التي احتجت فيها إلى مدرب ، ودون أن أعرف في ذلك الوقت حتى

موقع الشركة المضيفة التي وفرت لي هذه الخدمات ، وهذا يؤكد على وجود نوع من التكافل في مجال الرياضة في الإسكندرية في ذلك الوقت . وتمكنت بالطبع خلال فترة دراستي بالكلية من مشاهدة باقي معالم الإسكندرية وبعض معالم المحافظات الأخرى والتي لم أتمكن من مشاهدتها خلال فترات الدراسة السابقة .



دفعة ١٩٥٨ بكالوريوس الكيمياء الخاصة
علوم الإسكندرية عام ٥٨ وحصلوا جميعًا على الدكتوراه

وتخرجت في الكلية عام ١٩٥٨ بمرتبة الشرف وأنا في التاسعة عشرة ، وسافرت في شهر نوفمبر أي بعد أقل من خمسة أشهر من تخرجي في بعثة إلى الاتحاد السوفييتي للحصول على الدكتوراه في إنتاج الحديد والصلب . وكنت أحضر إلى الإسكندرية خلال دراستي بالاتحاد السوفييتي في كل صيف وكنت أقوم بزيارة عدد من الدول الأوروبية في كل مرة أحضر فيها إلى الإسكندرية . ومن هنا فقد شاهدت عدداً لا

بأس به من المدن والعواصم الأوروبية ولم أجد بينها مدينة تضارع الإسكندرية في جمالها وروعتها وكنت عندما أعقد المقارنة بين هذه المدن ومدينة الإسكندرية أضع في اعتباري كل معايير الجمال وكل العناصر بما في ذلك عنصري المكان والزمان .

عدت إلى أرض الوطن نهائياً عام ١٩٦٣م ليتم تعييني مدرساً في كلية الهندسة بجامعة أسيوط ولأجد نفسي بعيداً عن محبوبتى الإسكندرية وعن كلية العلوم ! وأصبحت عالماً في هندسة وتكنولوجيا المواد لا في الذرة كما كنت أحلم أن أكون . هكذا ذقت طعم الإخفاق في تحقيق أول الأحلام . كما إنني قد اكتشفت بعد عودتي إلى أرض الوطن أن الثورة التي سبق وأن انجرفتُ في تأييدها هي الأخرى قد خذلتني إذ كانت خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة التي غادرت فيها مصر قد انحرفت بعد أن استولت على مقاليدها القوى المعادية للثورة في مصر، ورأيت نفسي وكأنني قد عدت من الخارج لتشييع جنازتها . كنت شاباً في الخامسة والعشرين مدرساً في كلية الهندسة مليئاً بالعنفوان والحماس سليم العقل والوجدان متيم بحب المصريين ومولع بحب مصر . فقررت عدم التسليم بهذا الواقع المر وأبت نفسي إلا أن أعمل على تغييره وقررت أن أكافح وأن أناضل في سبيل تحقيق ذلك التغيير . وأصبح هذا الأمر لي بمثابة حلم جديد لي أحببته وتمسكت به لما أحدثه في داخلي من إتزان نفسي . وتذكرت طفولتي وتذكرت ما مر بي خلالها من أحداث وكيف أنني صمدت وكافحت ونجحت وأنا طفل في تحقيق ما كانت نفسى تصبو إليه فما بالنا وأنا ما أنا عليه الآن!

كان لهذه الذكريات العزيزة أثر عظيم علي وعلى روحي المعنوية فكانت تزيدنى إصرارا على الكفاح والاستمرار فيه حتى النهاية ، ومهما كان الثمن إذ لم أكن أشعر بطعم الحياة دون العمل من أجل تحقيق الأحلام كنت أرى أن الحياة بدون الأحلام

كالموت تماماً ، وأن الإنسان بلا حلم كجسد بلا روح . ووجدت نفسى بجانب عملي مدرساً بكلية الهندسة بجامعة أسيوط مندفعاً تجاه العمل العام ومنشغلاً بالقضايا العامة ومحاربة الفساد . وكنت مقتنعاً حتى ذلك الوقت بوجودي في جامعة أسيوط رغم بعدى عن حبيبتي الإسكندرية التي كنت أزورها بين الحين والآخر وأقضى الصيف بين أحضانها فى كل عام كنت أشعر فى ذلك الوقت بأنني جندي من جنود الثورة وأن الواجب يحتم على أن أضحى، وأن أبني بلدي في كل مكان بل في أي مكان وبالتالي قررت الإقامة مع أسرتي في أسيوط التي شهدت جزءاً عزيزاً على نفسى من نضالي من أجل الحرية والديمقراطية .



الفصل الثاني

الحصول على الدكتوراه
والعودة إلى أرض الوطن
١٩٥٨ - ١٩٦٣

مقدمة

لابد لنا في بداية حديثنا أن نتعرف على بعض الأحداث والظروف السياسية المؤثرة في تلك الفترة، وعلي بعض المقومات والسمات الشخصية التي كان لها عظيم الأثر في تقييمي لتلك الأحداث ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

- التحقت بكلية العلوم جامعة الإسكندرية عام ١٩٥٤ لكي أكون عالما في الكيمياء النووية .

- لن أنسى ما حييت فضل أساتذتي وأخص منهم بالذكر فتحي عبد الحليم ومحمود أبو العمايم وأمد الله في عمره حسن الخادم . هؤلاء الأساتذة غمروني بحبهم واهتمامهم ورعايتهم . وكان لهم الفضل بعد الله عز وجل عظيم الأثر في حبي للعلم وتوفيقي . ودائما ما غفروا لي هفواتي ونزواتي .

- حرصت بجانب تفوقي العلمي على ممارسة الرياضة . والتفوق أيضا فيها فأصبحت رئيسا لفرق كرة القدم وألعاب القوى والملاكمة في الكلية كما إنني مثلت الجامعة في أسابيع شباب الجامعات .

- خضت أثناء الدراسة أول تجربة عاطفية غير أنني لم أستمر فيها بسبب رغبتي القوية التي كانت تملك على كل كياني وحياتي وهي الحصول على الدكتوراه وأنا دون الخامسة والعشرين ، غير إنني مازلت أسأل نفسي هل كنت في ذلك على صواب ؟! .

- أومن بالعدل والمساواة بين الناس لذا أصبحت منحازا للضعفاء والفقراء .

- عاصرت نكبة فلسطين ولا زلت رافضا لهذا الواقع البغيض .

- لا أخشى في الحق لومة لائم ودائما ما أردد : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ صدق الله العظيم .

- لا حياة بلا حرية ، ولا كرامة في ظل التبعية .

- أكافح الظلم سواء كان واقعا علىّ أو على الآخرين .

- إن الضمير الذي انتقل عن أجدادنا إلى العالم، وشاخ لدى أغلب الناس ما زال ربيعه مزدهرا في قلبي وكل جوانحي .

- إذا كان المستقيم هو أقصر خط بين نقطتين، فإن الاستقامة بدورها هي أقصر الطرق إلى النجاح .

- إن ثقتي في الله بغير حدود ، أما ثقتي في نفسي فهي بقدر اقترابي من الله عز وجل .

إن هذه المقومات وتلك السمات أجدها قد تجلت في العديد من المواقف والأحداث التي مرت بي منذ طفولتي، وأحمد الله على أنه قد حباني بها . غير أنه من المؤكد أنها إذا اجتمعت في إنسان فإنها حتما سوف تدفعه إلى الثورة على الظلم والطغيان والفساد والإفساد، وهذا هو ما حدث معي بالفعل .

العلاقات المصرية السوفيتية :

بدأت العلاقات المصرية السوفيتية- رغم تحفظات كلا الفريقين- في الازدهار في مختلف المجالات وعلي جميع الأصعدة والمستويات بعد أن وافق الاتحاد السوفيتي على تزويد مصر بالسلاح عن طريق تشيكوسلوفاكيا وبعد قيام إسرائيل بالاعتداء على أحد المواقع المتقدمة في سيناء، وبعد امتناع جميع الدول الغربية عن تزويدها

بالسلاح اللازم للدفاع عن أراضيها .

استمر الاتحاد السوفييتي في تأييده للثورة في مصر وقام أثناء العدوان الثلاثي الذي قامت به كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر إثر تأميمها لشركة قناة السويس بتوجيه إنذار شديد اللهجة لتلك الدول، وأجبرهم على سحب قواتهم من الأراضي المصرية . كما أبدى بعد ذلك رغبته في تمويل إنشاء السد العالي بعد أن رضخ البنك الدولي لرغبة الولايات المتحدة الأمريكية، وسحب موافقته على التمويل .

هذا ولابد هنا أن أنوه إلى أن الرأي العام العالمي قد أيد موقف مصر بعد أن انبهر باستبسال رجال المقاومة الرائع في منطقة القناة ، تلك المقاومة التي كانت جذورها ما زالت متقدة منذ أيام الاحتلال وكانت هي السبب الحقيقي وراء انسحاب الجيوش الثلاثة من الأراضي المصرية . تلك المقاومة التي تعمد نظام ثورة يوليو وبكل أسف إزهاق روحها حتى أصبحت مع مرور الأيام جسدا بلا روح .

يتضح مما سبق أن العلاقات المصرية السوفيتية قد ترسخت خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة الأمر الذي أدي بالاتحاد السوفيتي إلى تخصيص ما يزيد على ثلاثمائة منحة دراسية لمصر . أعلنت الحكومة المصرية عن هذه المنح عن طريق إدارة البعثات على أنها بعثات خارجية بغرض الحصول على الدكتوراه دون أن تفصح عن كونها منحا مقدمة من الاتحاد السوفيتي . التزم الاتحاد السوفيتي في هذه المنح بدفع رواتب المبعوثين وتوفير المسكن المناسب والرعاية الصحية لهم وتحمل كافة مصاريف الدراسة والتدريب والمواصلات الداخلية والكتب وبعض الملابس الثقيلة التي تقي المبعوثين المصريين من برد روسيا القارص في فصل الشتاء وتكفل الجانب المصري فقط بمصاريف السفر من وإلى أرض الوطن . وهكذا قرر الاتحاد السوفيتي رغم

تحفظاته على نظام ثورة يوليو دعم مصر بتزويدها بالسلاح والعلم معا .

البعثة :

أعلنت الإدارة العامة للبعثات خلال يوليو ٥٨ عن حوالي ثلاثمائة بعثة خارجية للحصول على الدكتوراه في مختلف المجالات دون ذكر بلد الإيفاد . كان ذلك في الوقت الذي كان يوجد فيه المئات من قدامي الخريجين الذين لم ينالوا فرصة الترشيح في بعثه خارجية والحصول على الدكتوراه رغم تفوقهم . كان الحصول على الدكتوراه، في ذلك الوقت (١٩٤٨-١٩٥٨) في كافة التخصصات بما في ذلك في اللغة العربية وآدابها والشريعة الإسلامية والفلسفة بأنواعها يتطلب السفر إلى الخارج . لم يكن قد مضي على تخرجنا أكثر من شهر لنجد هذا الإعلان أمامنا وكأننا على موعد مع القدر . من هنا ذهب البعض إلى وصف دفعة ٥٨ من الجامعات المصرية بالدفعة السعيدة . كان الإقبال على هذه البعثات كبيرا ومفاجئا . ولم تكن إدارة البعثات قد أعدت من القواعد المنظمة سوى التقدير العام والسن والتخصص . الأمر الذي أدى إلى تقدم الكثيرين للترشيح في عشرات البعثات التي تتفق وتخصصاتهم حتى يضمنوا الفوز بإحدى البعثات. إن عدم وجود الخبرات السابقة للعاملين في إدارة البعثات في التعامل مع آلاف الطلبات المقدمة ، وعدم وجود الآليات الحديثة المعمول بها حاليا في هذا الشان بجانب الرغبة في الانتهاء من تسكين المرشحين في أقصر وقت ممكن كل ذلك قد أدى إلى عدم العدالة في توزيع الرغبات ، وحدوث العديد من المفارقات . أذكر منها على سبيل المثال ترشيح آخر دفعتي في البعثة التابعة لهندسة الإسكندرية والتي كانت ضمن البعثات التي تقدمت إليها . كان من الممكن أن يؤدي ترشيحي في هذه البعثة التي أستحقها نظرا لتفوقي في جميع عناصر المفاضلة كفيلا بتغيير مجري حياتي . لكن هذه كانت إرادة الله

ومشيئته . كانت رغبتي في الحصول على الدكتوراه وأنا دون الخامسة والعشرين تسيطر على كل كياني ووجداني من هنا سلمت بإرادة الله – أتضح لي فيما بعد فداحة الثمن الذي دفعته في سبيل تحقيق تلك الرغبة . وقبلت على مضض ترشيحي في بعثة تكنولوجيا الفلزات التابعة لقسم هندسة التعدين بجامعة أسيوط والحصول على الدكتوراه في تخصص يبعد كل البعد عن التخصص الذي أحلم به لأعمل بعد ذلك في أسيوط، والتي تبعد هى الأخرى كل البعد عن الإسكندرية التي نشأت فيها وترعرعت . وعلمنا بعد ذلك أن دولة الإيفاد هي الاتحاد السوفيتي وأن دراستنا سوف تكون باللغة الروسية .

هذا ومن الجدير بالذكر أن السمعة العلمية للاتحاد السوفيتي كانت في ذلك الوقت قد وصلت إلى عنان السماء بعد أن تفوقت على الولايات الأمريكية بإرسال أول مركبة إلى الفضاء . كما أن إرسال البعثات إلى الاتحاد السوفيتي في التخصصات المعترف له فيها بالسبق مثل الرياضيات والفيزياء وتكنولوجيا الفلزات والهندسة النووية والموسيقي والبالية ......إلي آخره يكون أجدي بالمقارنة بالدول الغربية إذ أن تكاليف المبعوث إلى الدول الغربية في ذلك الوقت كانت تزيد على عشرة أضعاف تكاليفه في الاتحاد السوفيتي وكما أن احتمال عودته بعد انتهاء دراسته من تلك الدول يقل كثيرا عنه في حالة الاتحاد السوفيتي .

رحلة الوصول إلى موسكو :

أعلنت الإدارة العامة للبعثات نتيجة تسكين المبعوثين في سبتمبر ٥٨ ، وأن بعثة هندسة أسيوط في تخصص تكنولوجيا الفلزات من نصيبي وأصبحت من هذا التاريخ معيدا بقسم هندسة التعدين بهندسة أسيوط . بدأت بعد هذا التاريخ التفكير الجدي في الاستعداد للسفر كان الأمر يتطلب إعدادا نفسيا علميا وماديا

ومعنويا . كان لأستاذي الدكتور حسن الخادم فضل كبير في إعدادي العلمي . أرسلني سيادته لمقابله الأستاذ الدكتور محمد مجاهد بقسم الهندسة الكيميائية بهندسة الإسكندرية بعد أن أوصاه بمساعدتي والذي قام بدوره بتقديمي إلى الأستاذ الدكتور فؤاد زين المتخصص الوحيد في الكلية في هذا الفرع من العلوم.استعار سيادته لي بعض الكتب من مكتبة الكلية ، وأدخلني المعمل وأجرى لي بعض التجارب . وما زلت أحتفظ حتى الآن بالأوراق التي كان يشرح لي فيها بخط يده . ظلت علاقتي بهذا الأستاذ العظيم مستمرة خلال دراستي واكتشفت فيما بعد إنني الوحيد من بين زملائي الذي أعد نفسه علميا في موضوع بعثته قبل سفره . أما الجانب المادي فقد انحصر في شراء وتجهيز الملابس المناسبة لمواجهة البرد القارص خلال شتاء موسكو ومتطلبات مواجهة المطر في فصل الصيف، أما الجانب المعنوي فقد تمثل في حرصي على اقتناء نسخة من كتاب الله وبعض الكتب الأدبية وتسجيلات بعض الأغاني المحببة إلى نفسي غير أن أهم ما كان يشغلني في هذا الجانب قد تكفلت به إدارة البعثات حيث قررت صرف مرتب شهري للمبعوثين يصل ذويهم أول كل شهر طوال فترة البعثة . سافر المبعوثون إلى روسيا على دفعات سافرت ضمن أول دفعة في نوفمبر ٥٨ لم يكن هناك طيران مباشر بين القاهرة وموسكو . كان مطار روما هو أول محطة توقفنا فيها لتقلع منه بنا طائرة أخرى إلى زيورخ .

أقمنا في زيورخ ليلتين حتى جاءت الطائرة التشيكية التي أقلتنا إلى براغ . أقمنا في براغ ليلتين حتى أقلتنا الطائرة الروسية تي.يو ١٠٤ التي ذاع صيطها في ذلك الزمان . لا أنسى إلى الآن تلك المضيفة الأرضية الجميلة التي رافقتنا من مطار زيورخ إلى الفندق الذي أقمنا فيه . كانت سيارة المطار مكتظة بالمبعوثين وكان

أغلبهم يتهافتون بشغف للتحدث معها بينما كنت أنا من بين الذين لم يشاركوهم هذا التهافت . كانت مفاجأة لي كبيرة وسعادتي أكبر حين اقترحت تلك الفتاة الرقيقة أن تحضر في اليوم التالي لترافقني في جولة نشاهد فيها معالم زيورخ . كانت هذه هي التجربة العاطفية الثانية لي في حياتي وأنا ما زلت في العشرين من عمري . لابد أن هذه الفتاة عندما خصتني برغبتها هذه دون الآخرين قد أسرتني لدرجة إنني فكرت للحظات وأنا في غمرة هذا الإحساس أن أتخلف عن السفر والإقامة والدراسة في زيورخ ؟! مرة أخرى تأكدت لي قوة رغبتي في الحصول على الدكتوراه وأنا دون الخامسة والعشرين كنت أشعر وكأنني كراكب قطار حددت القضبان هدفه ووجهته وللمرة الثانية أسأل نفسي عن فداحة الثمن الذي دفعته من أجل السير على هذه القضبان حتى أحقق هذا الهدف ؟!

كانت مجموعة المبعوثين تضم طلابا من أوائل الثانوية العامة ومن قدامي الخريجين . بمعني أن أعمارنا قد تراوحت بين السابعة عشرة والخامسة والثلاثين على وجه التقريب . من هنا كان بيننا من دلنا على أهمية التعامل مع الأسواق الحرة وشراء أشياء لم نكن في حينه نحتاج إليها ولمجرد أنها قد تكون مفيدة في المستقبل .

تركزت مشترواتنا على السجائر الأمريكاني والبرفانات . وقد ظهر أثر هذه المشتروات سريعا أثناء توقفنا في مدينة براغ فقد أبدى أحد المواطنين التشيك الذي كان يقضي سهرته في مطعم الفندق الذي نقيم فيه لهفته على السجائر الأمريكاني لدرجة أنه عرض على أحد المبعوثين وكان طالبا من أوائل الثانوية العامة مبادلة علبة من السجائر الأمريكاني برباط عنقه . أدهشني موافقة الطالب الذي أبدي سروره بهذه المبادلة غير أني قد تدخلت بسرعة، وأعطيته علبة السجائر ليهديها للمواطن التشيكي تاركا له الاحتفاظ برباط عنقه طوال السهرة . هذا الطالب

تحديدا سوف يرد ذكره مرة أخرى في واقعة لا تقل غرابة عن هذه الواقعة .

وأخيرا جاء يوم الرحيل والوصول إلى محطتنا النهائية موسكو حين أقلتنا الطائرة الروسية تي.يو ١٠٤ من مطار براغ كانت درجة الحرارة في مطار موسكو تحت الصفر ويكسو الثلج جميع المباني والطرقات غير أن حرارة استقبالنا في المطار كانت كفيلة بإذابة الثلج المتراكم في جميع الأنحاء وإلى سريان الدفء في أجسامنا المرهقة من عناء السفر .

العام الأول في موسكو :

أعدت وزارة التعليم العالي في الاتحاد السوفيتي برنامجا خاصا للمبعوثين المصريين . يقوم المبعوثون فيه بدراسة اللغة الروسية خلال عامهم الأول . غير أن واقع الأمر أن برنامجا موازيا لهذا البرنامج كان قد وضِع لتأهيل المبعوثين وإعدادهم للانخراط بسهولة في الحياة الروسية . وقد لاحظت بعد انقضاء فترة قصيرة أن الوقت يمر بنا دون فائدة علمية تذكر، وخشيت أن يتأثر مستوانا العلمي نتيجة استمرار واستمراء هذا الوضع .

قررت أن أنقل إلى المسؤولين عن البرنامج رغبتي في مقابلة الأستاذ الذي تم اختياره للإشراف على رسالتي وهو الأمر الذي حضرت من أجله . تعهدت لهم أن أخوض الامتحان في اللغة الروسية في موعده المحدد مع زملائي، استنكر المشرفون على البرنامج هذا الطلب غير أنهم وافقوا عليه في النهاية بعد أن لاحظوا تفوقي في اللغة الروسية .

حددوا لي موعدا لزيارة معهد الصلب والسبائك والتعرف على أقسامه . كانت سعادتي كبيرة بمقابلة الدكتور جوخافيدسكي، والذي وقع اختياري عليه ليكون مشرفا على رسالتي، وبدأتُ ممارسة عملي معه كطالب دكتوراه تحت إشرافه . كان

الدكتور إبراهام جوخافيدسكي يحمل درجة الدكتوراه في العلوم التكنولوجية وهي أعلي درجة علمية بعد الدكتوراه . كان رئيسا لقسم الكيمياء الفيزيائية لتكنولوجيا الحديد والصلب . وكنت أميل بشدة إلى دراسة الكيمياء الفيزيائية لذا ارتبطت بعلاقة قوية وبسرعة بالدكتور جوخافيدسكي ، وبادلني هو الآخر نفس الشعور وبالذات عندما لمس مدى إقبالي على التعلم وسرعة اندماجي في العمل بالقسم وبطلاب الدكتوراه وجميع العاملين فيه .

تذكرت خلال ذلك إنني أثناء دراستي في كلية العلوم وأنا في الصف الثالث كنت قد تقدمت باقتراح إلى أستاذ الكيمياء الفيزيائية برغبتي في زيادة المقررات في الكيمياء الفيزيائية على حساب المقررات الأخرى، حيث أود أن تكون دراستي في المستقبل أي الحصول على الدكتوراه في هذا الفرع من الكيمياء،كانت إجابة أستاذي على اقتراحى أنه ليس لديهم ما يدرِّسونه لنا في الكيمياء الفيزيائية أكثر مما ندرسه حاليا .وصدقته ويا ليتني ما صدقته إذ اكتشفت أثناء عملي مع الدكتور جوخافيدسكي أن هناك الكثير والكثير من مواضيع الكيمياء الفيزيائية التي لم ندرسها في الكلية، وأحتاج إلى دراستها واستيعابها . لم تدم سعادتي بالعمل مع الدكتور جوخافيدسكي طويلا إذ علمت من إدارة المعهد بأن تسجيلي للدكتوراه وفق الأوراق التي جاءت إليهم من الوزارة مؤخرا يجب أن تكون في قسم الأفران العالية وتحت إشراف رئيسه الدكتور أناتولي بوخفسنيف الذي يلقبونه في الاتحاد السوفيتي بأبي الأفران العالية . أسقط في يدي حيث كنت قد وقعت في حب إبراهام جوخافيدسكي ومدرسته، ونظرا لتمسكه هو الآخر بي فقد تم التوصل إلى حل وسط وهو أن يشرف كلاهما على وبذلك أصبحت مرة أخري الوحيد بين المبعوثين الذي يشرف عليه اثنان من عمالقة الأساتذة الروس، ورؤساء أهم قسمين في المعهد .

بدأت العمل في قسم الأفران العالية، وتعرفت على طبيعة الأبحاث التي تجري فيه تحت إشراف الأستاذ الكبير بوخفسنيف .

وضعت تصورا لموضوع الرسالة بحيث أتمكن من الاستفادة من الدكتور جوخافيدسكي الذي لم يبخل على بعلمه في أي وقت من الأوقات . اكتمل وصول المبعوثين من مصر خلال عام ١٩٥٩ . أصبح عددهم حوالي ثلاثمائة مبعوثا كان يجمع بينهم الإحساس بالتفوق والتميز والضحالة السياسية . كما كانوا يختلفون فيما بينهم في المستوي الثقافي والفكري وفي الهوايات . غير أن الأمر لم يخل من وجود عدد قليل جدا منهم ممن كانت لهم انتماءات سياسية وعقائدية سابقة على مجيئهم إلى الاتحاد السوفيتي أخص منهم بالذكر الشاعر الكبير المبدع نجيب سرور. وجد نجيب سرور ضالته في حياته الجديدة، فمارس نشاطه الذي كان محرما عليه في مصر . نجح نجيب سرور في التأثير على بعض المبعوثين من أوائل الثانوية صغار السن الذين أوفدتهم مصر إلى الاتحاد السوفيتي لدراسة المواضيع التكنولوجية المتقدمة وبالذات في مجال الهندسة النووية .

كان المبعوثون المصريون هم أول المبعوثين الأجانب الذين قد تم ترشيحهم وإيفادهم من قبل حكومتهم ، بينما كان ترشيح الدارسين الأجانب يتم عادة من خلال الأحزاب الشيوعية وبعض منظمات السلام التي ينتمون إليها كان المبعوثون المصريون يدرسون في مختلف المجالات مثل الموسيقي والمسرح والفنون التشكيلية والإخراج والباليه واللغة والأدب والاقتصاد، وكافة التخصصات العلمية والهندسية والتكنولوجية . من هنا كان من المتوقع أن يحدث ثمة تعارض بين توجهات وأهداف الحكومة في مصر من إرسال هذه البعثات، وبين توجهات وأهداف حكومة الاتحاد السوفيتي التي قدمت هذه المنح، وتحملت أعباء الدراسة

والإقامة والإعاشة للمبعوثين بالكامل . كان هذا التعارض يبدو أكثر وضوحا في مجالات العلوم الإنسانية .وعلي وجه الخصوص في مجال الاقتصاد ويبدو أن هناك في القاهرة من كان هو الآخر يتحفظ ويتخوف من نتيجة إرسال هذا العدد الهائل من المبعوثين إلى الاتحاد السوفيتي رغم حاجة مصر الشديدة لهذه المنح . ويبدو أن هؤلاء المتحفظين قد نجحوا بطريقة أو بأخرى في حث حكومة الولايات الأمريكية على تقديم عدد لا بأس به من المنح لطلاب مصر للحصول على الدكتوراه من الجامعات الأمريكية . حضر أنور السادات على رأس وفد من مجلس الأمة في زيارة رسمية لموسكو . قررت الحكومة المصرية بعد هذه الزيارة رجوع جميع المبعوثين المصريين إلى القاهرة رغم أنه لم يكن قد مضى على حضورهم سوى شهور معدودة . بررت الحكومة المصرية إجراءها هذا بعزمها عقد مؤتمر للمبعوثين في القاهرة الأمر الذي يتطلب عودتهم لحضوره . كانت زيارة السادات لموسكو وسعيه إلى الصدام مع نيكيتا خروشوف إيذانا ببداية مرحلة من العلاقات الباردة بين القاهرة وموسكو رغم الجهود التي كان يبذلها سفيرنا القدير عوض القوني في توطيد العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتي والتي أدت إلى مساندة الاتحاد السوفيتي الدائمة لمصر في أحلك الظروف التي مرت بها .

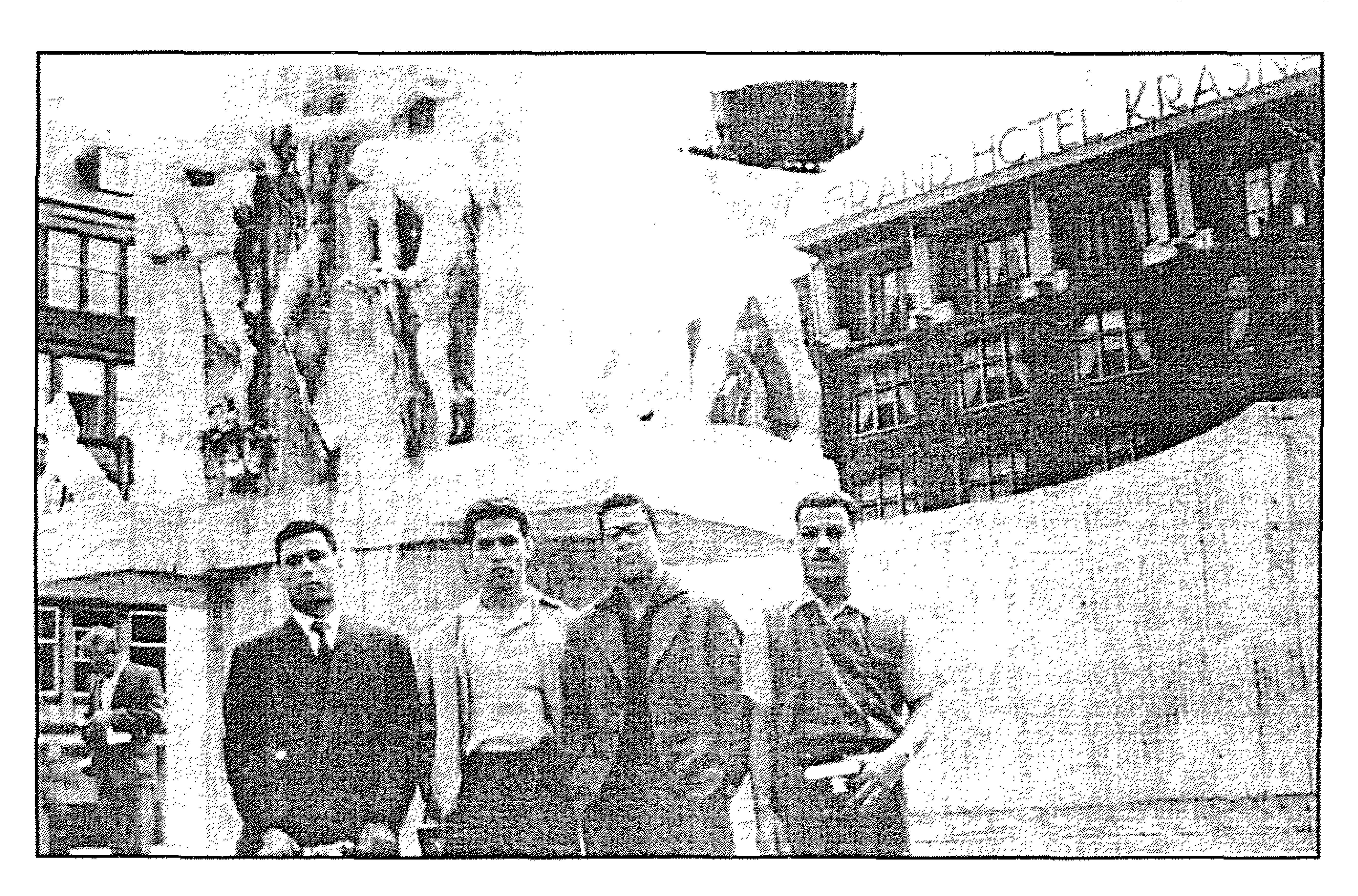
هذا ومن الجدير بالذكر أن جميع المبعوثين قد عادوا إلى مصر ولم يتخلف منهم سوى الشاعر نجيب سرور الذي قرر البقاء وعدم العودة . كانت عودتي في تلك الفترة مخيبة لآمالي حيث كنت قد بدأت ممارسة العمل الجاد في قسم الأفران العالية وكان من المقرر أن أقضي صيف ٥٩ في التدريب في أحد مصانع الحديد والصلب هناك .

المؤتمر :

عدنا إلى مصر ولم يكن قد مضى على سفرنا سوى بضعة أشهر . كنت قد بدأت

وضع قدمي خلالها على أول طريق الدراسة الجادة . لم أكن مقتنعا بأسباب عودتنا بهذه الصورة المفاجئة . علمنا ونحن في طريقنا إلى مصر بأن السبب في عودتنا هو حضور مؤتمر تقرر عقده في القاهرة . قمنا بتسجيل أسمائنا فور وصولنا إلى مقر انعقاد المؤتمر. لمست من الوهلة الأولي التهريج الذي يسود كل شيء فقررت الابتعاد واستثمار وجودي في القاهرة في تجهيز عينات من الخامات المستخدمة في مصنع الحديد والصلب بحلوان لاستخدامها في دراستي في روسيا. قمت خلال فترة انعقاد المؤتمر بعمل الاتصالات اللازمة بإدارة البعثات وبشركة الحديد والصلب وبشركة سيناء للمنجنيز وتمكنت من الحصول على عينات من خامات الحديد والمنجنيز والحجر الجيري والدولوميت . قمت بشحنها إلى قسم الأفران العالية بمعهد الصلب والسبائك بموسكو . إن القيام بهذا العمل الذي يبدو استحالة القيام به الآن كان ممكنا وعاديا مع بداية الثورة . لم تكن الديكتاتورية العسكرية قد استحكمت حلقاتها بعد،ولا كانت قد احتلت معظم المواقع الحاكمة في مختلف الإدارات والمؤسسات . ما زلت أذكر مقدار السعادة والغبطة التي غَمرَتْ سائق سيارة الأجرة ونحن في طريقنا إلى مصنع الحديد والصلب بالتبين لإحضار عينات خام الحديد والحجر الجيري والدولوميت . كلفتني هذه المهمة ذهابا وإيابا بما فيها نقل العينات إلى منطقة بولاق حيث المكان الذي وجدت فيه الصندوق المناسب لشحن العينات خمسة جنيهات فقط لا غير . كانت الثورة لا تزال كامنة في أحاسيس الناس، وكان السائق يتصرف وكأنه يشاركني الحصول على الدكتوراه . لم يكن السائق فقط هو الذي يحمل هذه الأحاسيس إنما كان يحملها معه كل من تعاملت معهم لإنجاز هذا العمل ابتداء من الموظفين في الإدارة العامة للبعثات مرورا بالشركات والنجار الذي صنع الصندوق في بولاق والعربجي الذي نقل الصندوق إلى جمرك السبتية وانتهاءًا برجال الجمارك . اختفى هذا الشعور لدى

الناس مع اختفاء الثورة . سافرت بعد إنجاز هذه المهمة إلى الإسكندرية . قابلت أساتذتي ومنهم بالطبع الأستاذ الدكتور فؤاد زين الذي دائما ماكنت ألجأ إليه لأخذ رأيه والتزود بعلمه . قضيت ما تبقى من الصيف بين أهلي وأصدقائي الذين كانوا متلهفين على لقائي لمعرفة طبيعة الحياة في الاتحاد السوفيتي . اندهشوا عندما أكدت لهم أن الروبل عملة روسية يتم تداولها بين الناس في أرجاء البلاد حيث كانوا يعتقدون في ذلك الوقت أن الناس هناك يتعاملون ويقضون احتياجاتهم بالكوبونات وكان هذا هو مفهومهم عن الشيوعية . كان الروس بالمقابل يتصورون أن التماسيح تجوب شوارع القاهرة متأثرين في ذلك بعناوين الجرائد المصرية التي وصفت أبطال المانش بتماسيح النيل . كان المواطنون من الجانبين في أمس الحاجة إلى معرفة الآخر واكتشاف حقيقته .



صورة تذكارية تجمعني مع الدكتور أحمد جويلي قبل انتقاله وتحويل بعثته إلى الولايات المتحدة والدكتور عباس عبد الكريم بالمركز القومي للبحوث والدكتور محمود خليف بمعهد بحوث البترول

علمت من الزملاء الذين حضروا بعض فعاليات المؤتمر إن المحاضرين قد ألقوا بعض المحاضرات بغرض توعية المبعوثين وتحذيرهم من الوقوع في براثن الشيوعية غير أن المؤتمر قد نجح بجانب ذلك في تجنيد عدد من المبعوثين ليكونوا عيونا على زملائهم وعملاء للمكتب الثقافي والاتجار في العملة لحساب بعض موظفي المكتب .

عاد معظم المبعوثين إلى موسكو فيما عدا بالطبع المبعوثين في المجالات الإنسانية وعلى وجه الخصوص في تخصص الاقتصاد، حيث تم تسكينهم على البعثات التي كانت قد أعدت سلفا لهذا الغرض .

العودة إلى موسكو :

عدنا إلى موسكو مع بداية العام الدراسي في سبتمبر ٥٩ . هرعت إلى المعهد لأستأنف نشاطي العلمي الجاد . كانت دهشتي لا توصف وسعادتي لا تقدر حين وجدت الصندوق الذي شحنته بدمه ولحمه قابعا في مخزن الخامات بقسم الأفران العالية . كانت دهشة أستاذي بوخفيسنيف والعاملين في القسم لا تقل عن دهشتي وان اختلفت في أسبابها . ذلك حيث اعتاد الدارسون الأجانب على استخدام الخامات الروسية في تجاربهم ولم يحدث من قبل أن أجرى أحد الباحثين الأجانب تجاربه على خامات يجلبها من بلاده . بدأت بناء الأجهزة الذي قمت بتصميمها لإجراء تجاربي . خصص لي مكتبا قريبا منها يطل على أحد نوافذ المعمل . كانت مديرة المعمل المهندسة تاتيانا ديمتريفنا تعاملني كإبن لها . كان يصل عطفها على أحيانا أن تهديني ثمرة طماطم متسائلة ما إذا كان لدينا طماطم في مصر ؟! كانت مثل باقي أفراد الشعب الروسي مدمنة قراءة وفي قمة الطيبة والأدب ولها ابنة في مثل سني . وكباقي الروس كانت تعتبر أنهم يعيشون في جنة الله في أرضه بينما يفتقر باقي شعوب العالم إلى أهم الاحتياجات الأساسية . وفي أحد الأيام وبينما كنت جالسا

على مكتبي منهمكا في قراءة بعض المراجع سمعت صياحا وهرجا في المعمل ، وحين التفت إلى مصدره وجدت المساعد الفني جريجوري ممسكة فيه النار ولا يوجد سواي أنا وهو في المعمل . فكرت للحظة أن أقفز من النافذة الموجودة أمامي. هذا شيء لا إرادي ينتابني عندما أجد نفسي قريبا من النار .

حدث مرة بالفعل أن قفزت من الطابق الثالث في مدينة البعوث بالقاهرة عندما شب حريق في الطابق الأرضي من المبني الذي كنت وفريق ألعاب القوي نقيم فيه أثناء اشتراكنا في أسبوع شباب الجامعات . غير أنني في هذه المرة قد توقفت فجأة عن التفكير في القفز من النافذة والهروب من النار، وفكرت في الموقف الذي سوف يترتب على تصرفي وأن ذلك سوف يضر بسمعة الطلاب المصريين في المعهد فما كان مني أن اندفعت نحو جريجوري مستعينا بمعطفي وأطفأت النار الممسكة به واصطحبته إلى وحدة الإسعاف الأولية التي اعتنت به.كان لهذه الواقعة ولهذا التصرف أثرا بالغ فيما بعد على علاقاتي بالقسم والمعهد . غير أن الأمر الذي لم يعرفه أحد إلى الآن هو أن هذه الواقعة قد تسببت في تغلبي إلى الأبد على عقدة خوفي من النار والتي كانت لازمتني منذ تعرضي لحريق وأنا في العاشرة من عمري كاد يودي بحياتي لولا إرادة الله الذي سخر والدتي لإنقاذي .

كانت مرتباتنا تزيد عن تلبية احتياجاتنا، وبالذات أنه كان يصرف لنا مخصصات للكتب وبعض الأشياء الأخرى . من هنا كان في مقدوري أن أشترك في مواسم الأوبرا والباليه والكونسرفتوار ومشاهدة كافة الفرق الأجنبية التي كانت تعرض فنونها من حين لآخر في موسكو . كان لي في جميع هذه الحفلات مقعدان محجوزان في الصفوف الأولى طوال الموسم .كان مسرح البالشوى خلال تلك الفترة في أوج عظمته . كان يزخر بأشهر الراقصين والراقصات وعلي رأسهم الباليرينا جالينا

أولانوفا .إن متابعة هذه الفنون التي لم تكن معروفة لنا في ذلك الوقت في مصر وبالذات فن البالية على الثليج قد أكسبتني بعدا جديدا في الثقافة والتفكير وأمدتني برغبة قوية في الحياة والتغيير . كان الوقت يسمح بخروجي للاستمتاع بالطبيعة الروسية الخلابة في ضواحي موسكو وممارسة رياضة الانزلاق على الثليج، كما كنت أواظب على زيارة المتاحف العظيمة والتعرف على ما تحتويه من ذخائر ولوحات لمشاهير الفنانين العالميين والروس في مختلف العصور والأزمنة . تعرفت خلال هذه الفترة على الموسيقى الكلاسيكية وتذوقتها وكان الكنشرتو الثاني للبيانو لرحمانينوف والسيمفونية التاسعة لبيتهوفن والكبريتشو الإيطالي لتشايكوفسكي ودراسة ثورية لشوبان من أحب المقطوعات الموسيقية إلى نفسي . كما كان الشاعر العظيم بوشكين هو اقرب الشعراء الروس إلى قلبي .

كان الطلاب العرب في ريعان شبابهم، وكانوا بالنسبة للروسيات كفاكهة في غير الأوان لذا وجدوا رواجا كبيرا في سوق الغرام . كانوا يمتلكون ما افتقر إليه الشباب الروسي من رومانسية ومن جاه . الأمر الذي أدى إلى استشعار الشبان الروس بالخطر وأنهم خارج المنافسة بالنسبة للشبان العرب . عقدت منظمة الشباب الروسي الكومسومول اجتماعا يهدف إلى رد اعتبار الشبان الروس . اتبعت منظمة الكومسومول لتحقيق هذا الغرض أسلوبا في غاية الغرابة والتخلف . قررت تكليف أحد الصحفيين بكتابة مقال يحكي فيه قصة فتاة روسية سماها لاريسا ، ادعى أنه قابلها صدفة خلال زيارته للبلدة التي تقيم فيها وحين رأته هرعت إليه مستنجدة وحكت له قصتها ، وأنها قد تزوجت في موسكو بعد قصة حب كبيرة من شاب يدعي محمود والذي اصطحبها معه إلى هنا وعندها اكتشفت أنه متزوج من خمس أخريات . ثم قرر محمود أن يتنازل عنها لجده حين لاحظ إعجابه بها مقابل

خمسة جمال. اعتقدت منظمة الكومسومول أن نشر هذه القصة سوف يعيد الأمور إلى نصابها وسوف يرفع من شأن الشبان الروس، ويعيد لهم فتياتهم مرة أخري إلى أحضانهم . ومن المدهش أن بعض الشبان العرب قد استشاطوا غضبا من المقال، ومن كاتبه وقرروا الاعتصام في مقر الجريدة حتى يصدر تكذيبا لم يتم .

على الجانب الآخر اعتقد بعض الروس كذلك، وهم المعروف عنهم حب القراءة في صحة القصة المنشورة . وفوجئت بالسيدة تاتيانا ديمتريفنا رئيسة المعمل الذي أجري فيه تجاربي، والتي تعاملني كابن لها تسألني عن مدى صحة هذه القصة الواردة في المقال . لم أجد إجابة على سؤالها سوى أخذ رأيها فيما لو تزوجت أنا من ابنتها ؟! هل تتصور إنني سوف أبيعها ؟! كنت أعلم يقينا بردها لذا استطردت بأنني أعرف أصدقاء لي في مصر ممن تزوجوا من أجنبيات من غير الروسيات ولم أسمع عن أحدهم أنه باع زوجته غير إنني لا أعرف كيف يصبح الحال لو كانت بينهن إحدى الروسيات وفهمت مداعبتي وضحكنا . تأكدت من أنها لم تصدق هذه القصة الخيالية وأنها ما زالت تحتفظ لي في نفسها بنفس المكانة وأن ثقتها في كلامي أقوى من الشائعات مهما كان مصدرها .

كان الطلاب المصريون رغم تفوقهم وتميزهم الملحوظ يفتقرون إلى الإلمام بالجوانب السياسية . وكان الطلبة الأجانب ينظمون بعض الندوات والمؤتمرات السياسية التي يحضرها الجميع بما فيهم المصريون . كان من الواضح أن المنظمين لهذه الندوات وتلك المؤتمرات يعملون بالتنسيق مع منظمة الكومسومول . ونظرا لضحالة الفكر السياسي لدى معظم الطلبة المصريين انفردت القلة ممن كانت لهم خبرة سابقة قبل حضورهم إلى موسكو أمثال الشاعر نجيب سرور بالحديث في هذه الندوات نيابة عن جميع المصريين . كان نجيب سرور قد تمكن خلال فترة قصيرة من

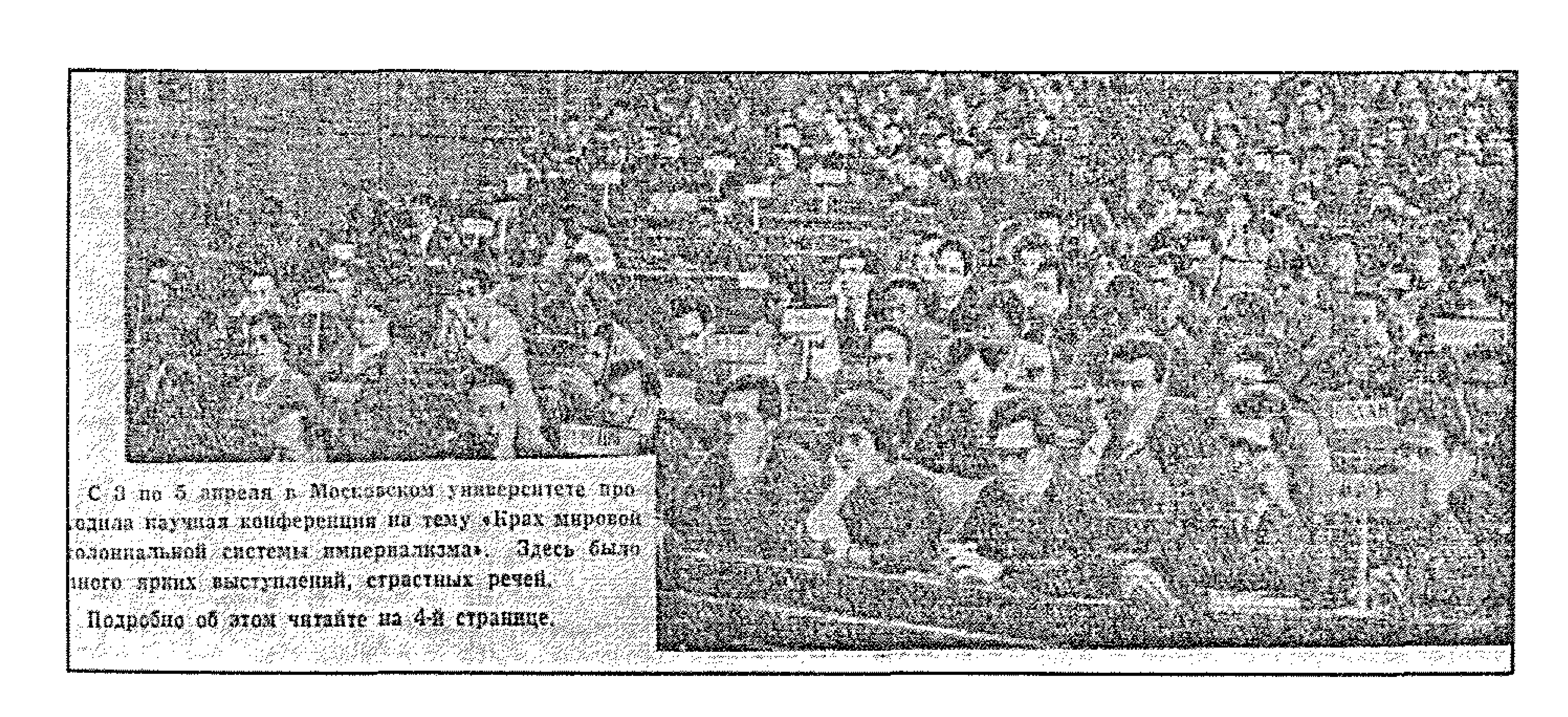
التأثير على بعض طلاب الثانوية العامة صغار السن ونجح في استقطابهم . وصل به الأمر إلى أن أقنع أحدهم بالوقوف على المسرح موجها انتقادات شديدة إلى الثورة المصرية وزعيمها جمال عبد الناصر . كان هذا الطالب تحديدا هو نفسه الذي سبق أن ورد الحديث عنه في واقعة مقايضة علبة السجائر الأمريكاني برباط العنق في براغ . أدت هذه الواقعة إلى غضب الطلبة المصريين الشديد وانتقل هذا الغضب بدوره إلى المكتب الثقافي الذي قام بسحب جواز سفر الطالب . غير أن وضع الطالب لم يتأثر نظرا لأن الروس هم الذين يتكفلون بكل شيء، وأن موقف المكتب الثقافي منه لا يقدم ولا يؤخر .

وصل أمر هذا الطالب واسمه عسل إلى القاهرة. في إحدى زيارات الدكتور عبد العزيز السيد وزير التعليم العالي آنذاك لموسكو والتي جاءت بالصدفة خلال شهر رمضان ، لاحظ المستشار الثقافي الذي كان صائما أن معالي الوزير يدخن سيجارة أثناء نزوله من الطائرة فما كان منه إلا أن طلب على الفور من أحد مرافقيه سيجارة وأشعلها متضامنا مع معالي الوزير .

انطلق الجميع بعد انتهاء إجراءات الوصول مباشرة إلى المكتب الثقافي، وهناك طلب الوزير من المستشار إحضار عسل له . خرج المستشار وأعطى الملحق الثقافي عشرة روبلات طالبا منه إحضار عسل للوزير غير أن الملحق توقف مترددا وتساءل أليس من الجائز أن يكون معالي الوزير عايز الطالب عسل ؟! فرد عليه المستشار في غضب عسل هَني، هنيَ استسلم الملحق الثقافي وذهب لإحضار العسل غير أن هذا الاستيقاف يبدو قد أحدث أثره بعد فترة لدي المستشار فما كان منه إلا أن استجمع شجاعته وتوجه لسؤال الوزير : «معاليك عايز عسل» «هني» أم الطالب عسل ؟ وهنا لم يتمالك الوزير نفسه وصاح فيه هني إيه يا حسن أنا عايز الطالب عسل ! هذه

الواقعة انتشرت بكل تفاصيلها بين المبعوثين وصار اسم الطالب عسل بسببها نارا على علم ومن ثم تم إنقاذه من براثن المكتب الثقافي وزبانيته ورد له جواز سفره وعادت إليه كرامته . أيقظت هذه الواقعة وعي الطلبة المصريين ووجدوا أن الواجب يحتم عليهم تمثيل بلادهم في كافة المحافل بصورة تليق بها وبهم . كان نصيبي من هذه اليقظة كبيرا.

فرض عليَّ الواجب الذي شعرت به تجاه الثورة التي آمنت بها مسؤولية الدفاع عنها في كافة المحافل والدفاع كذلك عن زعيمها جمال عبد الناصر الذي كنت في ذلك الوقت مستعدا أن أضحي في سبيله بحياتي أكثر من مرة .احتجت إلى تثقيف نفسي سياسيا حتى أقوم بهذه المهمة . استعنت في ذلك بالكتب المتوفرة في ذلك الوقت في المكتب الثقافي . أسعفني إتقاني للغة الروسية في الرد على كل من تسول له نفسه الافتراء على الثورة وزعيمها .



С 3 по 5 апреля в Московском университете про-
одила научная конференция на тему «Крах мировой
олониальной системы империализма». Здесь было
ного ярких выступлений, страстных речей.

Подробно об этом читайте на 4-й странице.

حضوري مؤتمر عن الاستعمار العالمي والإمبرالية

المنعقد في جامعة موسكو مندوبًا عن الطلبة المصريين



تمثيل مصر في حفل الطلاب الأجانب

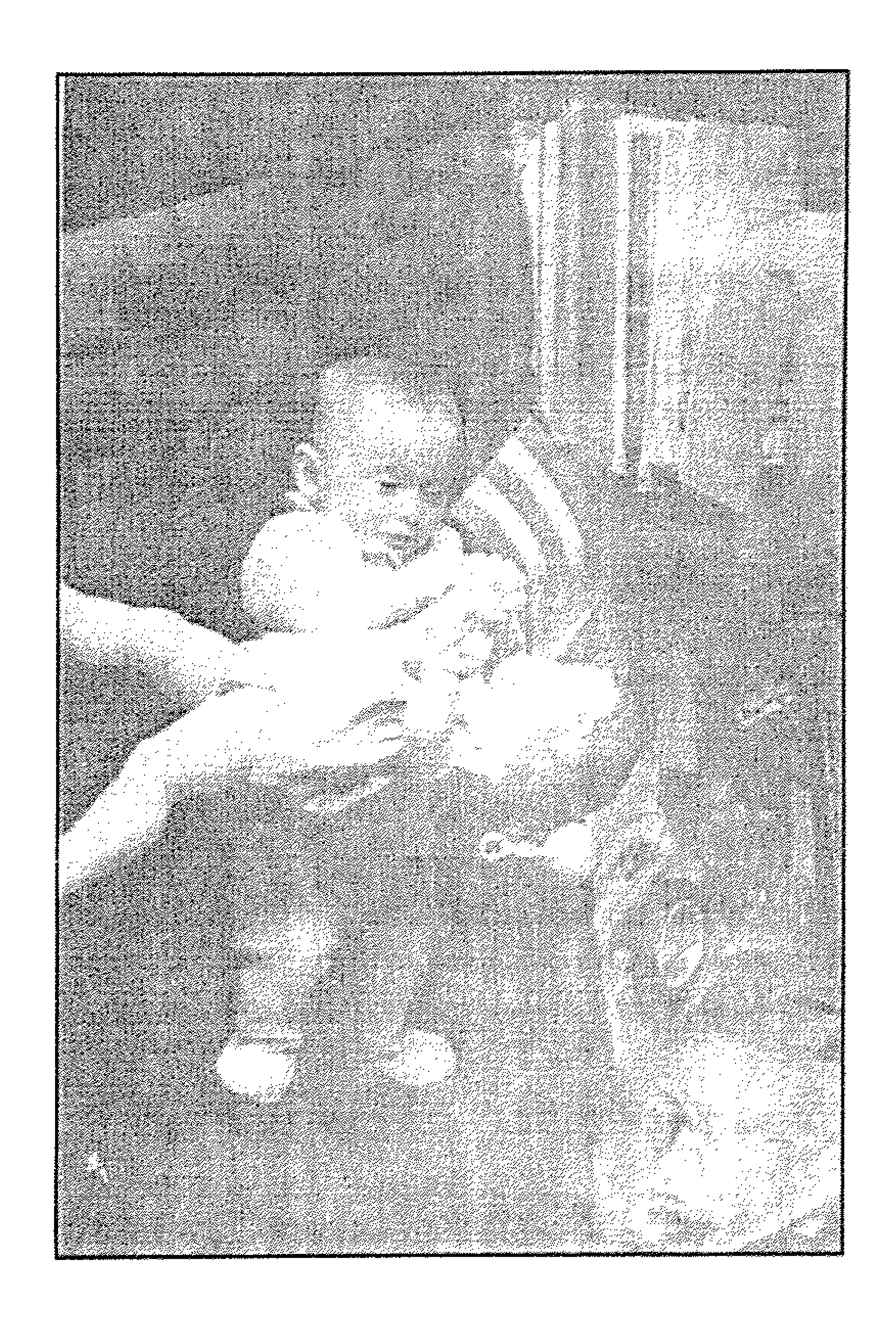
اعتمد الزملاء على في القيام نيابة عنهم بهذا الواجب الذي أتقنته وكان موقعي بين زملائي يختلف عن موقع عملاء المكتب الثقافي . كان ذلك يبدو واضحا بالذات عندما تكون الاجتماعات داخل جدران المكتب . وقد بدا ذلك جليا في الاجتماع الذي دعا إليه المكتب الثقافي لمناقشة اقتراح رفع مرتبات المبعوثين في الاتحاد السوفيتي أسوة برفع مرتبات المبعوثين في الدول الغربية . اعترضت في هذا الاجتماع على رفع المرتبات رغم صعوبة هذا الأمر، وبررت اعتراضي بمدي تأثير هذه الزيادة على عدد الفقراء في مصر حيث كان متوسط دخل الفرد في مصر في تلك الفترة هو خمسين جنيها فقط .

وعلمت فيما بعد أن موظفي المكتب الثقافي هم الذين دفعوا عملاءهم لشحن المبعوثين ودفعهم إلى تقديم الاقتراح بزيادة المرتبات حيث أن تلك الزيادة كانت

ستنعكس بالضرورة عليهم . ونجحت بفضل مساندة زملائي في إجهاض اقتراحهم وعدم تحقيق مآربهم. هذا في الوقت الذي كان قد قرر الطلاب الصينيون أن يتنازل كل منهم عن نصف راتبه حتى يتضاعف عددهم وتستفيد بلادهم . مرّ بعض المبعوثين بمشاكل عاطفية اجتماعية وإنسانية . استفحلت هذه المشاكل مع مرور الوقت وبالذات بعد أن رزقوا بأطفال مع تعذر إجراءات الزواج من الروسيات بعد أن أصدرت الجهات الروسية تعليمات إلى مكاتب الزواج بضرورة تقديم طالب الزواج المصري موافقة رسمية من الجهة التابع لها أي من المكتب الثقافي حتى يمكن إتمام إجراءات زواجه .

وقامت وزارة التعليم العالي المصرية بدورها بالتنبيه شفويا على المكتب الثقافي في موسكو بعدم منح أي موافقات لطالبي الزواج من الروسيات . أدي هذا الأمر إلى تفاقم الأوضاع الاجتماعية والإنسانية وإلي وجود أطفال مصريين غير معترف بوجودهم في كلتا الدولتين . اضطر العديد من هؤلاء إلى السعي في جميع أرجاء الاتحاد السوفيتي يبحثون عن أي مكاتب زواج بعيدة قد لا تكون قد وصلتها هذه التعليمات عسي أن يتم زواجهم وتوفيق أوضاعهم .كانت تربطنى صداقة قوية باثنين من الزملاء ممن لم يتمكنوا من توفيق أوضاعهم لذا رأيت من واجبي مساعدتهم على إتمام إجراءات زواجهم . أحضرت لهم ورقتين من أوراق المكتب الثقافي مختومتين عن طريق سكرتيرة المستشار الثقافي التي كانت تربطني بها علاقة ودية ليكتب كل منهما على إحداها البيانات التي يريدها وبذلك تم زواجهما وتوفيق أوضاعهم .

لا أنسى الموقف الإنساني لهذه السكرتيرة ولا أنسي نظرات العتاب في عينيها كأنها تسألني وهي تسلمني الورقتين كيف جالك قلبك ولم تطلب الورقة الثالثة ؟!



صورة ابنة أحد زملائي الذين ساعدتهم في توفيق أوضاعهم
إنها تعمل حاليًا طبيبة وعازفة فيولين

لم تمر مشكلة زواج المبعوثين المصريين من الروسيات مرور الكرام، وانتقلت هي الأخرى مثل مشكلة الطالب عسل إلى المسؤولين في القاهرة . ويبدو أن هذه المشكلة قد طرحت على مائدة البحث أمام اللجنة المنظمة لمؤتمر المبعوثين . اكتشف أعضاء اللجنة إغفالهم إدراج هذا الموضوع على أهميته في جدول أعمال المؤتمر وبالتالي لم تشمله محاضرات التوعية رغم تنوعها . لم يدر بخلد أي من المنظمين احتمال وقوع المبعوثين أثناء الدراسة في الحب . من هنا لم يعيروا أي اهتمام لهذا

الموقف عندما وضعوا برنامج المؤتمر . كانت منظمة الكومسومول هي الأسبق في هذا الشأن رغم أنها عندما تناولته بالدراسة قررت ارتكاب حماقة أدخلتها تاريخ العمل السياسي من أسوأ أبوابه ذلك حين اختلقت قصة وهمية تنم عن مدى استهانتهم بعقول مواطنيهم وبقدراتهم على الإدراك . أما في مصر فقد تفتق ذهن المنظرين لمؤتمر المبعوثين عن ضرورة إرسال الوزيرة حكمت أبو زيد لإلقاء محاضرة للمبعوثين تستكمل فيها ما غاب عنهم في برنامج المؤتمر في القاهرة . اجتمعت معالي الوزيرة بالمبعوثين وتحدثت فيهم عن أهمية ودور لغة الأم في تنشئة الأطفال وبناء الأسرة والمجتمع . وعندما تحدث المبعوثون معها عن الحب وعمايله نصحتهم بتغيير العتبة وأن هناك على سبيل المثال في الصينيات على حد قولها ما قد يغنيهم عن الروسيات . هكذا كان رأي الجانب المصري في معالجة هذه المشكلة العاطفية والاجتماعية والإنسانية . ورغم اختلاف الجانبين المصري والروسي في أسلوب معالجتهم للمشكلة تجدهم قد اشتركوا معا في اعتبار أن الإنسان يجب أن يكون بلا قلب . غير أن هؤلاء المبعوثين قد أثبتوا في حديثهم مع الدكتورة حكمت أبو زيد أن لغة القلوب أقوى وأصدق وأهم من لغة الأم، بل يجب أن تكون هي اللغة الأم .

أعلن المكتب الثقافي عن قرب موعد أسبوع الفيلم المصري في موسكو . وقد عول المكتب كثيرا وعولنا نحن أيضا معه على أن مهرجان الأفلام المصرية سوف يؤدي بالضرورة إلى تحسين صورة مصر وإلى تعميق فهم المواطن الروسي للمجتمع المصري . من هنا عقدنا العزم على دعوة أكبر عدد ممكن من أصدقائنا الروس والأجانب لمشاهدة هذه الأفلام . غير أن صدمتنا كانت كبيرة نظرا لسوء اختيار الأفلام المعروضة، والتي تبعد كل البعد سواء عن تمثيل المجتمع المصري، أو إلى تحسين صورة مصر في عيون الروس والأجانب . وبعد أن تأكد الروس والأجانب

بالصوت والصورة من انحلال وفساد المجتمع المصري كان استمرارنا في تمثيل التقوى والورع والبعد عن المحرمات من التمثيليات السخيفة . قلبت هذه الأفلام الصورة التي بذلنا جهدا كبيرا في غرسها وترسيخها في أذهان الروس رأسا على عقب . واستنكروا رفضنا مشاركتهم في شرب الأنخاب في أعياد ميلادهم بعد أن تأكدوا من انتشار الخمور بجميع أنواعها في جميع أوساط الشعب المصري .

الوحدة والانفصال :

تخطت ثورة يوليو حدود مصر ووصلت إلى جميع أرجاء العالم . اجتاحت الرغبة في التحرر كافة شعوب الأرض الواقعة تحت الاحتلال . كانت هذه الرغبة أقوى من جميع قوى القهر والطغيان . لم يجد الاستعمار أمام هذا المد الثوري الكاسح بدا من الرحيل متجرعا كأس الحسرة والهزيمة . بعثت ثورة يوليو الأمل لدول أمريكا اللاتينية فكانت الثورة في كوبا ولأفريقيا فكانت الثورة فى الكونغو وللعالم العربى فكانت الثورة فى الجزائر وليبيا والعراق واليمن .

ألهمت الثورة زعماء العالم الحر، فأسسوا منظمة دول عدم الانحياز ومنظمة تضامن الشعوب الإفريقية والأسيوية. إن نجاح الثورة وتبوءها تلك المكانة المرموقة لدى شعوب العالم الحر قد انعكس على العلاقات السوفيتية المصرية . واكب ذلك تعيين الدكتور مراد غالب – المدني الوحيد في تنظيم الضباط الأحرار – سفيرا لمصر لدى الاتحاد السوفيتي ، وهو الذي يعتبر بحق المهندس الحقيقي للعلاقات المصرية السوفيتية في عصرها الذهبي . إن الصدى العالمي الذي أحدثته ثورة يوليو كان دون شك أقوى لدى الشعوب العربية . لم يكن لدى القائمين بثورة يوليو أي مساهمات أو خبرات سابقة تذكر في الفكر والعمل القومي سوى مشاركتهم في حرب فلسطين، وكانت حركة القومية العربية قد تعمقت جذورها

منذ بدايات القرن العشرين في دول مثل العراق والشام وشرق الأردن . كان حزب البعث العربي الاشتراكي خلال فترة الخمسينيات هو المتحدث الرسمي باسم القومية العربية . كان يرفع شعار: دولة عربية واحدة ذات رسالة خالدة . استطاع مؤسسه ميشيل عفلق أن يتخطى إشكالية التناقض بين القومية العربية والإسلامية التي كان ينادي بها حلفاء الأفغاني ثم الإخوان المسلمون فيها بعد بصياغته شعارا عبقريا مؤداه إذا كانت العروبة هي الجسد فالإسلام هو روحها . كانت الشعوب العربية تتطلع إلى الوحدة . وكان وصول حزب البعث العربي الاشتراكي إلى دوائر التأثير والنفوذ في المجالس النيابية في سوريا من أهم عوامل قيام الوحدة بين مصر وسوريا في ٢٢ فبراير ١٩٥٨ . أصبح جمال عبد الناصر بعد هذا التاريخ رئيسا لدولة الوحدة التي أصبح اسمها الجمهورية العربية المتحدة . وأصبح شكري القوتلي الرئيس السابق لسوريا المواطن العربي الأول . أصبحت سوريا الإقليم الشمالي لدولة الوحدة وصارت مصر الإقليم الجنوبي لها . أصبح المبعوثون المصريون والسوريون في الاتحاد السوفيتي ينتمون لدولة واحدة يتوجهون إلى سفارة واحدة ومكتب ثقافي واحد . توطدت العلاقات الأخوية بين المبعوثين المصريين والسوريين رغم ضخامة عدد المبعوثين السوريين الوافدين عن طريق الترشيح من قبل الحزب الشيوعي السوري الذي أصبح محظورا بعد قيام الوحدة . أدى هذا التغيير في العلاقات بين المبعوثين المصريين والسوريين إلى تقوية الروابط بين جميع المبعوثين العرب . وصار المكتب الثقافي لجمهورية مصر العربية قبلة الطلاب العرب في موسكو . كانت الثورة الجزائرية في أوجها لذا كان حب المبعوثين العرب للمبعوثين الجزائريين ورعايتهم من الأشياء القليلة التي أجمع عليها جميع المبعوثين العرب . كان المبعوثون العرب يهتمون بكل ما يحدث في الوطن العربي من محيطه إلى خليجه . يبادرون بالترحيب بأي زائر من أي دولة عربية للاتحاد السوفيتي . أذكر حفاوتنا

واحتفالنا بالشهيد المهدي بن بركة الذي التقيت به بالصدفة في مسرح البالشوي وانتهزت الفرصة وحددت معه موعدا للالتقاء بالزملاء الذين احتفوا ورحبوا به معبرين له عن حبهم وإعجابهم بنضاله . عاشت الوحدة فينا كما عشنا نحن فيها.

كان نظام الحكم في سوريا قبل الوحدة يختلف عن نظام الحكم في مصر حيث كان يتسم في سوريا بشي من الحرية والتعددية الحزبية . كان حزب البعث العربي الاشتراكي هو الأقوى بين جميع الأحزاب السورية . كان شعار الحزب «وحدة حرية اشتراكية» يؤكد على أن رغبته في الوحدة تأتي في مقدمة أهدافه . كان حلم تحقيقه للوحدة يطغى على باقي أحلامه وطموحاته . من هنا وافق حزب البعث في سبيل الوحدة مع مصر على كافة شروط عبد الناصر . وضحى في سبيل ذلك بالحرية التي جاءت في المرتبة الثانية في شعاره . لم يكتف حزب البعث بما ضحى به بل أجبر باقي الأحزاب السورية هي الأخرى على تقديم حريتها قربانا للوحدة حيث توقفت رسميا عن ممارسة نشاطها بعد الوحدة .

كانت الوحدة بين مصر وسوريا هي أكبر إنجازات ثورة يوليو وحزب البعث العربي الاشتراكي . بل كانت هذه الوحدة بحق هي أهم إنجازات الأمة العربية إطلاقا في القرن العشرين . غير أن لا الثورة في مصر ولا حزب البعث في سوريا على ما يبدو قد رأوا ذلك . لم يرعوها لم يقدموا شيئا في سبيل الحفاظ عليها وبالذات من جانب الثورة في مصر . تدهورت أحوال الإقليم الشمالي وانحدرت فيه الأمور من سيء إلى أسوا . كانت المعلومات عن استياء بعض قيادات الجيش السوري من تصرفات الإدارة المصرية تتبدل كمعظم المعلومات التي تتعلق بالبلاد وأحوال العباد قبل وصولها إلى جمال عبد الناصر غير أنه من المؤكد أن التحذير الذي أرسله نيكتيا خروشوف إلى جمال عبد الناصر في إحدى المرات مع أحد الوفود المصرية

رفيعة المستوى والذي كان مفاده : «أن عبد الحكيم عامر يجلس في سوريا على خازوق» قد وصله . كان النظام في مصر يغط في سبات عميق مخدرا إثر شعوره بالنشوة لتحقيق الوحدة ولثقته المفرطة في حب الشعب السوري العظيم لزعيم الأمة العربية جمال عبد الناصر . وكان عبد الحكيم عامر على الجانب الآخر في سوريا هو أيضا مخدرا !. استمر هذا الوضع في سوريا ووصل اعتقادهم إلى أنهم ربما قد أخطأوا عندما رهنوا حريتهم مقابل الوحدة . جاء خبر الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦٠ مدويا كالزلزال كاسحا كل ما لدينا من آمال . كان حال الأحزاب في سوريا، وبالذات حال حزب البعث هو حال من يشارك في ذبح أعز ما لديه . جاء الانفصال نتيجة مؤامرة خارجية اشتركت فيها كل من المخابرات الإسرائيلية والأمريكية ورؤساء بعض الدول العربية .

انعكس الانفصال علينا انعكاسًا كبيرًا . مزق أوصالنا وشتتنا وأصبحنا نلهث وراء الأخبار بعد أن كنا نصنعها . أصبحنا فريسة للشائعات وصار كل منا يعزي الآخر في أعز ما كان لدينا وفقدناه . انفرط عقد الطلاب العرب مع مرور الأيام بعد أن سلمنا أنفسنا للأوهام . ذهب كل منا إلى مقره بعد أن كان المكتب الثقافي المصري قبلة كل العرب ومجمع الأحباب . أصبحت العلاقات الحميمة التي كانت تربطنا سرابا . وما زال بكاؤنا على اللبن المسكوب مستمرا إلى الآن بعد انقضاء ما يقرب من نصف قرن على الانفصال . نبكي على وحدة لم نصنها . وحدة لم نكن أهلا لها . كانت أكبر من أحلامنا وتفوق جميع قدراتنا .غير أن اللوم كل اللوم أوجهه إلى تلك الثورة التي آمنا بها بينما هي كفرت بنا .

الرسالة والحصول على الدكتوراه :

كان وصول الصندوق الذي يحتوي على خامات الحديد والمنجنيز والحجر

الجيري والدولوميت من مصر حافزا لي على العمل المتواصل والذي استمر خمس سنوات . بدأت بتصميم وتصنيع الأجهزة اللازمة لإجراء التجارب عليها . كنت أقضي فترات الانتظار بين التجهيز للتجارب في التنقيب في المراجع بمختلف المكتبات . مكتبة المعهد ومكتبة لينين التي تعتبر من أكبر مكتبات العالم ومكتبات المعاهد الروسية الأخرى داخل وخارج موسكو. كانت وزارة التعليم العالي في الاتحاد السوفيتي تساهم في بناء قدرات الباحثين في مختلف المجالات . كانت توفر لهم المراجع والدوريات العلمية سواء بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى الروسية نظير اشتراك زهيد . وقد اشتركت خلال فترة دراستي في الدوريات الصادرة عن المعهد الأمريكي لمهندسي الفلزات، وكانت تصلني شهريا باللغة الإنجليزية فور صدورها مقابل رسم اشتراك رمزي مقداره خمسة روبلات . هذا في الوقت الذي كان فيه راتبي الشهري ألف وخمسمائة روبل .



رحلة خارج موسكو تصادف وجود رحلة مدرسية وأبدوا الرغبة للتصوير معنا

كنت أسعى أيضا خلال فترات توقف التجارب لمقابلة بعض العلماء الروس الذين تعرفت عليهم من خلال المراجع ويعملون في نفس مجالي في المراكز البحثية التابعة سواء للجامعة أو الأكاديمية . سافرت كذلك خلال فترات التوقف وخلال الصيف للتدريب في العديد من مصانع الصلب في مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتي . حضرت خلالها بناء أكبر فرن عالي كان يتم بناؤه على مستوي العالم في هذه الفترة . من هنا تعرفت على طبيعة الحياة في الاتحاد السوفيتي، ووقفت على مدي اختلاف مستوي المعيشة ووفرة الاحتياجات المعيشية في المدن الكبيرة مثل مدينة موسكو ولينينجراد عنها في المدن الصناعية . لاحظت رغبه المواطنين الروس القوية في الانتقال للعيش في المدن الكبيرة . كان ذلك بالنسبة لهم أحلاما مستحيلة التحقيق بسبب القيود والقوانين المعمول بها في مثل هذه الأمور . كانوا يتحايلون على تلك القوانين بالزواج من الفتيات المقيمات في تلك المدن لكي يكتسبوا هم الآخرون حق الإقامة وينعمون بلذة الحياة . كنت فيما عدا ذلك أنهمك في عملي وأواصل إجراء التجارب في معمل القسم طوال أيام الأسبوع،أصل الليل بالنهار إذا تطلب الأمر ذلك . كنت أذهب لتناول الغذاء مع زملائي المصريين وفي بعض الأحيان مع زملائي الروس من قسم الأفران العالية . كانت أعمار طلاب الدكتوراه من الروس عادة ما تكون قرب الثلاثين بينما كنت أنا فى الرابعة والعشرين . حدث ذات مرة أثناء تناولنا الغذاء أن أثار أحدهم موضوع الفارق الملحوظ بين سني وسنهم . وظلوا يتساءلون تارة عما إذا كنت قد أنهيت المرحلة الجامعية وتارة أخرى عن عدد سنوات التعليم قبل الجامعي في مصر . كثرت أسئلتهم وطالت حيرتهم بالذات بعد أن تأكدوا من إنهائي الدراسة الجامعية، ومن أن مدة الدراسة قبل التعليم الجامعي في مصر اثنا عشر عاما أي تزيد عامين عن نظيرتها في روسيا،ظلوا يفكرون ويفكرون حتى كاد الشك يقتلهم . هنا رأيت أن أتدخل لأبدد الشك الجاحظ في

عيونهم . سألتهم عن عدد شهور السنة فردوا في صوت رجل واحد بأنها اثنا عشر شهرا وهنا قلت لهم أن السنة عندنا أربعة عشر شهرا سارع أحدهم وأخرج ورقة وقلم وقام بحساب سني وفق هذه المعلومة التي كانت غائبة عنهم والتي تغيب بالطبع عن أغلب البشر فوجدوا أن سني أصبح ثمانية وعشرين عاما وليس أربعة وعشرين كما أدعي فصاحوا في صوت واحد: أتاريك كبير واحنا مش عارفين؟ واختفى على الفور الشك الجاحظ من عيونهم لتظهر ابتسامة بلهاء على وجوههم . لم أكن أتصور أنهم بهذه السذاجة غير إنني قد اكتشفت أن النظام الروسي قد غرس في مواطنيه عن عمد هذا النوع من الثقافة حتى يسهل له توجيههم والسيطرة عليهم . غير أن ما كان يحيرني فيهم هو أنهم كانوا مدمنين للقراءة وتأكد لي أن الستار الحديدي الذي فرضته الدولة السوفيتية كان سلاحا ذا حدين فبقدر ما أفاد الحزب بتمكينه من السيطرة التامة على شعوبه بقدر ما أحدثه من أضرار بالغة تكشفت فيما بعد عندما أُرخِيَ هذا الستار وتعرف المواطنون على العالم الخارجي فسقطت جميع الأقنعة وسقط معها الاتحاد السوفييتي إلى الهاوية .

قمت بجانب إجراء الأبحاث بالتدريس لطلبة القسم، الأمر الذي أدي إلى دعوتي لحضور اجتماعات مجلس القسم. كان جدول أعمال المجلس يتضمن عادة مناقشة أحد المواضيع ذات الطابع السياسي، والمكلف بطرحها في كل مرة أستاذ بعينه . قام هذا الأستاذ في إحدى المرات بطرح موضوع الاعتداء الثلاثي على مصر للمناقشة، وقال بالحرف الواحد :« أنه لولا الإنذار الروسي لما كانت هناك حرية في مصر ». لم أتمالك نفسي من الغضب وقمت بالرد عليه قائلا :

كان حريا بك أن تقول لولا الشعب المصري ومقاومته الباسلة لما كانت هناك حرية في مصر. طالبته بالاعتذار، وعندما رفض امتنعت عن حضور اجتماعات

مجلس القسم . كان إجراء التجارب يتطلب مني في معظم الأحيان البقاء في المعمل أثناء الليل . كنت أتسلم في هذه الأحوال مفتاح ماستر يمكنني من فتح جميع حجرات ومعامل القسم وأقوم بإعادته عند مغادرتي المبني . كان يمر على أثناء سهري بعض الطلاب كان منهم من يتوقف ويبادلني أطراف الحديث . حدث في إحدى المرات أن استفزني أحدهم حين بدأ حديثه بالتعبير عن دهشته لوجود بعض المتعلمين الذين لا يزالون يعتقدون بأن عيسي كان موجودا رغم عدم ثبوت ذلك في التاريخ ! قررت أن أجاريه وسألتة : عن ماهية وسائل الإثبات التي يعتمدها ؟ أجاب دون تردد أن يكون له مؤلفات مثل لينين على سبيل المثال ونظرا لإصراره على أن الدين المسيحي ليس له أي أساس تاريخي وأنه من نسج الخيال والأوهام . رأيت أن أفحمه بسؤاله عن مدي معرفته عن واقعة كانت قد حدثت بالفعل قبل أيام في مدينة تاجانروك علمت بها من أحد زملائي حيث كان هناك يقضي فيها تدريبه، ثم تأكدت من حدوثها عندما سرب أحد المراسلين الأجانب خبرا عنها طرد على أثره من الاتحاد السوفيتي، والتي تتلخص في أن عمال تلك المدينة قاموا بمظاهرة يحتجون فيها على ارتفاع في الأسعار نتج عن مضاعفة الحكومة قيمة الروبل عشرة مرات وراح ضحية تلك المظاهرة خمسمائة عامل . عندما قررت أن أحكي هذه الواقعة لهذا المأفون الذي استفزني كنت بالطبع أتوجس شرا من ذكرها له وبالذات أنه سوف ينكر وقوعها أو معرفته بها . قلت له : يا زميلي إذا كنت تجهل ما يحدث في بلدك منذ أيام قليلة فكيف أراك متأكدا من أحداث مر عليها مئات السنين، وقعت في أماكن بعيدة لا تعرف عنها شيئًا ؟ كان ردي صادما وحدث ما توقعت فقد جاءني بعد ذلك أحد المسؤولين من مكتب الحزب في المعهد وكان من بين أعضاء القسم الذي أعمل به ويبدو أنهم قد كلفوه بسؤالي عن الحديث الذي دار بيني وبين هذا المأفون .وأحمد الله أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد .

بعد انتهائي من التجارب قررت القيام بكتابة ونشر بحثين قبل الشروع في كتابة الرسالة . كان عدم اهتمام الدكتور بوخفسنيف واضحا لي منذ بداية عملي تحت إشرافه . لذا تعودت على العمل مستقلا عنه ودون إشعاره بذلك . تجلى عدم اهتمامه حين سلمته بحثين ومكتوبا عليهما اسمه واسم الدكتور جوخافيدسكي ليراجعهما قبل إرسالهما للنشر في المجلة . غير إنني اكتشفت بعد ذلك أن أحد المحكمين قد أرهق من فرط تصحيحه الأخطاء اللغوية الموجودة بالبحثين ، وأخبر أستاذي بذلك فما كان منه إلا أن طلب مني أن أشكر المحكم على مجهوده في تصحيح الأخطاء اللغوية حين أراه وأقول له إننى قد أرسلت هذين البحثين إلى المجلة دون علمه.إن سلبية الإشراف قد أفادتني كثيرا إذ عودتني على الاعتماد على نفسي وأهلتني للإشراف على إجراء الأبحاث والرسائل العلمية الأمر الذي نحن في حاجة إليه في مصر بالذات في مثل هذه التخصصات الجديدة . بعد الانتهاء من التجارب وكتابة ونشر البحثين قررت الاجتماع مع دكتور جوخافيدسكي لنختار سويا عنوانا للرسالة .

كنت أدرك أن دراستي السابقة في كلية العلوم ورغم إني كنت قد استكملتها هنا بمعادلة هندسية لا تزال ينقصها الخبرة في صناعة الحديد والصلب،نظرا لحداثة هذه الصناعة في بلادنا . فكرت في المهمة التي تنتظرني في مصر وفى إنني سوف أكون عضوا في قسم هندسة التعدين بكلية الهندسة . لذا لم أدَعْ كما يقولون شاردة ولا واردة في تخصصي خلال السنوات الخمس التي قضيتها في الدراسة إلا وألممت بها حتى أكون متمكنا علميا وجديرا بتحمل المسؤولية ومثلا مشرفا للطلاب المصريين في الاتحاد السوفيتي.

اخترت ٢١ مارس عيد الأم موعدا لمناقشة الرسالة والحصول على الدكتوراه ،

وهذا في تقديري أقل ما يمكن أن أقدمه لأمي مقابل تحملها غيبتي طوال هذه الفترة . غير أنني فوجئت باعتراض إدارة الدراسات العليا بالمعهد على المناقشة ذلك لأن ملفي الموجود لديهم كان يخلو من الخطة البحثية الخاصة بالرسالة .هذه الخطة كان من المفروض أن يكون قد قدمها الدكتور بوخفسنيف منذ بداية عملي تحت إشرافه . وأن هذه الخطة هي إحدى الأوراق الأساسية التي لا يمكن بدونها السير في إجراءات المناقشة . لم أكن أتوقع أن يطلب الدكتور بوخفسنيف مني كتابة الخطة البحثية نيابة عنه ليوقعها هو ويرسلها إلى إدارة الدراسات العليا بالمعهد . من هنا جاءتني الفرصة، فقررت أن أضع ضمن هذه الخطة كل ما كنت أرغب في معرفته واستيعابه عن صناعة الحديد والصلب وبالذات الأبحاث التي يتم إجراؤها في المصانع ، وحددت لها فترة ستة أشهر ضمن الإطار الزمني للخطة البحثية على أن يتم ذلك بعد مناقشة الرسالة . وكعادته قام الدكتور بوخفسنيف بتوقيع الخطة البحثية وأرسلها إلى إدارة الدراسات العليا في المعهد دون أن يقرأها .

قام المعهد باتخاذ الإجراءات اللازمة لمناقشة الرسالة ووافق على تحديد ٢١ مارس تاريخا للمناقشة . قمت على سبيل الاطمئنان بالاستفسار عن الجزء الخاص الذي يتعلق بالتدريب في المصانع كما هو وارد في الخطة البحثية المعتمدة من الأستاذ المشرف . غير أن المعهد أصر على ضرورة مغادرتي الاتحاد السوفييتي فور انتهاء المناقشة . أشركت المكتب الثقافي في الموضوع وأقنعتهم بأهمية تنفيذ هذا البند الوارد في الخطة البحثية المعتمدة من المشرف وأقنعتهم بضرورة الكتابة إلى وزارة التعليم العالي في هذا الشأن. كلف المستشار الثقافي سكرتيرته بالكتابة إلى الوزارة وكانت علاقتي بها قد توطدت بعد موقفها الإنساني النبيل حين وافقت على تزويد صديقيّ بالأوراق التي مكنتهم من الزواج بزوجاتهم وتوفيق أوضاعهم وأوضاع أطفالهم .

من هنا لم تكتف السكرتيرة بكتابه المذكرة التي أبرزت فيها للوزارة أهمية الالتزام بتنفيذ ما جاء في الخطة البحثية وتطوعت بمتابعة وملاحقة المسؤولين في الوزارة بالمكالمات التليفونية حتى تمت استجابتهم لطلبي . قمت بمناقشة الرسالة بالفعل في عيد الأم ، وحصلت على الدكتوراه وأنا دون الخامسة والعشرين .وقضيت بعد ذلك فترة ستة أشهر في التدريب في مصانع الحديد والصلب واشتركت في عمل الأبحاث في المصانع، وأصبحت بذلك المبعوث الوحيد الذي استمرت إقامته في الاتحاد السوفيتي بعد حصوله على الدكتوراه ولمدة ستة أشهر .

خلال إجرائي التجارب في قسم الأفران العالية بمصنع زاباروجي للحديد والصلب التقيت بمجموعة من العمال المصريين الذين حضروا للتدريب في المصنع . كان العمال المصريون لا يتحدثون سوي اللغة العربية . وعلى الجانب الآخر كان مدربوهم لا يتحدثون سوى الروسية . لم يكن أمامي سوى التبكير بالذهاب إلى المصنع حتى أتمكن من الشرح لهم والإجابة على أسئلتهم قبل أن أبدأ تجاربي . استمرت علاقتي بهم بعد عودتي وكنت ألتقي بهم خلال زياراتي المتكررة لمصنع الحديد والصلب بالتبين .



الفصل الثالث

بداية الحياة العملية
١٩٦٣-١٩٦٤

العودة إلى أرض الوطن واستلام العمل في هندسة أسيوط :

عدت إلى أرض الوطن بالطائرة في ٢١/ ٩/ ١٩٦٣م بعد أن قمت بشحن كتبي وأمتعتي بالباخرة وأمضيت في الإسكندرية عشرة أيام كانت من أجمل أيام حياتي كانت فرحة عائلتي برجوعي لا توصف . التقيت بالطبع بجميع أقربائي وأصدقائي وأساتذتي . علمت بخروج صديقي عبد الحميد الخطابي من المعتقل الذي أمضى فيه ما يزيد على الخمسة سنوات . قمت بزيارته ، وحين علم إنني سوف أعمل في جامعة أسيوط أوصاني أن أقوم بزيارة صديقه ورفيق محبسه الشيخ أحمد شريت لأطمئن عليه وأبلغه تحياته وأشواقه . تعمدت أن يكون سفري إلى أسيوط واستلام عملي في يوم ميلادي الخامس والعشرين والذي صادف بداية العام الدراسي . قابلت لأول مرة الأستاذ الدكتور سليمان حزين مدير (رئيس) ومؤسس جامعة أسيوط الذي رحب بي وهنأني بسلامة الوصول . ذهبت بعد ذلك مباشرة واستملت العمل في مكتب الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم عميد كلية الهندسة وبعدها مباشرة ذهبت وقابلت الدكتور زكى حتحوت رئيس قسم هندسة التعدين في ذاك الوقت . كنت أقيم خلال تواجدي في أسيوط في استراحة أعضاء هيئة التدريس . أصبحت مع بداية الدراسة مسؤولاً عن تدريس جميع مواد هندسة الفلزات لطلاب أقسام التعدين والميكانيكا والكهرباء بجانب تدريس بعض المواد لطلاب شعبة الكيمياء التطبيقية بكلية العلوم .

الأستاذ الدكتور سليمان حزين مدير (رئيس) ومؤسس جامعة أسيوط :

تبلورت فكرة إنشاء جامعة في صعيد مصر ، وبالتحديد فى أسيوط في عهد الملك فاروق الأول. تم إيفاد عدد من المبعوثين إلى الخارج للحصول على الدكتوراه

للعمل لدي عودتهم في تلك الجامعة التي سميت جامعة محمد على. اتخذت الجامعة مقراً مؤقتاً لها في شارع الفلكي بمدينة القاهرة . كان الدكتور حسن إبراهيم أستاذ التاريخ الإسلامي هو المنوط به في تلك الفترة تسيير أمورها.عندما قامت الثورة تغير اسم الجامعة وأصبحت جامعة أسيوط . كان من بين رجال الثورة من اقترح تكليف الأستاذ الدكتور سليمان حزين بإدارة هذه الجامعة وبعثها إلى الحياة .

يشير تاريخ الأستاذ الدكتور سليمان حزين إلى أنه كان أول طالب التحق بالجامعة المصرية في ١٩٢٥ وحصل سيادته على ليسانس الآداب في الجغرافيا في يونيو سنة ١٩٢٩ بالإضافة إلى ليسانس الآداب في الاجتماع في سبتمبر من نفس العام ، وكان ترتيبه الأول في الليسانس. تبوأ سيادته العديد من المناصب الهامة التي لا يتسع المجال هنا لسردها أو الحديث عنها غير أن آخرها وإن لم يكن أرفعها هو منصب وكيل وزارة المعارف عام ١٩٥٤ .

ويرى البعض أن هذا المنصب الأخير كان السبب وراء اختياره مديرا لجامعة أسيوط . كان رجال الثورة حتى هذا التاريخ لا يزالون يأخذون بعين الاعتبار القواعد العامة والأعراف والتقاليد التي كانت متبعة في تلك الأيام عند اختيارهم من يشغلون المناصب العليا في البلاد. كان الأستاذ سيد يوسف – عديل جمال عبد الناصر - يلي الأستاذ الدكتور سليمان حزين في الأقدمية من هنا اقترحوا عرض منصب مدير جامعة أسيوط على الأستاذ الدكتور سليمان حزين حتى يتسنى لهم فيما بعد تعيين سيد يوسف وزيراً للتربية والتعليم . وقد حكى لي الأستاذ الكبير فتحي رضوان طيب الله ثراه ما يؤكد هذا المعنى ذلك عندما قدم الأستاذ إسماعيل القباني الذي كان وزيرا للمعارف في بداية الثورة استقالته تعبيرا عن استيائه من تصرف أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة – جمال سالم – وتمكن وقتها الأستاذ فتحي رضوان

من إقناع جمال عبد الناصر باصطحاب جمال سالم في زيارة للأستاذ إسماعيل القباني للاعتذار له حتى يسحب استقالته . كان رجال الثورة في بداية حياتهم يحترمون ويقدرون الوزراء المدنيين ويكنون لهم كل الاحترام والتقدير والذي قد استمر لحسن الحظ إلى أن تم تعيين الأستاذ الدكتور سليمان حزين مديراً لجامعة أسيوط. استطاع الدكتور سليمان حزين بحكم ذكائه أن يتكهن بالمغزى وراء اختياره فاشترط لقبوله هذا المنصب أن يخرج قرار إنشاء الجامعة إلى حيز التنفيذ ومنحه جميع الصلاحيات اللازمة لتأسيس جامعة حديثة تنقل الثورة إلى صعيد مصر وهو ما تم له وعن طيب خاطر . أصبح سيادته أول مدير للجامعة في عام ١٩٥٥ وسافر مع مجموعة من أعضاء هيئة التدريس واختار مبنى المدرسة الثانوية ليكون مقراً مؤقتا للجامعة في أسيوط . اعتمد سيادته على أعضاء هيئة التدريس الذين سبق إيفادهم لحساب جامعة محمد على والذين كانوا قد تم توزيعهم على بعض الجامعات. قام بتعيين أعداد كبيرة من حاملي الدكتوراه العاملين بمختلف المصالح والهيئات. قام بتحويل بعض البعثات الخارجية لحساب جامعة أسيوط كما قام بإيفاد أعداد كبيرة من البعثات وحفز بعض أعضاء هيئة التدريس من الجامعات الأخرى للانتقال للعمل في جامعة أسيوط حيث تتوفر الدرجات المالية اللازمة لترقيتهم . بدأت الدراسة في كليات العلوم والزراعة والهندسة عام ١٩٥٧ . وضع سيادته خطة إنشائية ومالية وزمنية دقيقة تمكن بواسطتها من إنشاء جامعة تضاهى مبانيها في جمالها ورونقها وشموخها أعظم الجامعات في العالم. إنها بحق وبلا فخر جامعة سليمان حزين .

أعضاء هيئة التدريس :

يتضح مما سبق أن أعضاء هيئة التدريس كانوا خليطاً غير متجانس كان منهم من جاء من خارج السلك الجامعي ، ومنهم من كان مبعوثا لحساب جامعة محمد على

واستقرت أموره في مكان آخر، وحضر مجبراً إلى أسيوط . ومنهم من كانت بعثته لحساب جامعة أخرى وتم تغيير مساره أو مصيره، وهو في الخارج رغما عن إرادته ومنهم من كان يشعر بالظلم في جامعته لتأخر ترقيته ووجد فرصته في الانتقال إلى جامعة أسيوط حيث وفرة الدرجات العلمية وبدأ يحلم بالعودة مرة أخرى إلى جامعته بعد حصوله على الترقية ومنهم المنتدبون من مختلف المؤسسات ومنهم من سافر في بعثة خارجية لحساب جامعة أسيوط وعاد حديثا لينضم إلى هذه الكوكبة وهو ما ينطبق عليّ ومن هم مثلى من الذين حصلوا على درجاتهم العلمية من مختلف الدول من إنجلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وأخيرا روسيا .

كان العدد الكلى لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة في عام ٦٣ حوالي المائة . لم يكن هذا العدد بالطبع كافيا لسد احتياجات كليات العلوم والزراعة والطب والصيدلة والتجارة والهندسة والطب البيطري التي كانت تحت الإنشاء. كانت معظم الكليات تعتمد على الأساتذة المنتدبين وكان أغلب أعضاء هيئة التدريس يقيمون في القاهرة . قامت الجامعة ببناء بعض المساكن داخل الحرم الجامعي والتي كانت بالطبع من نصيب الرواد الأوائل الذين رافقوا الأستاذ الدكتور سليمان حزين في رحلته الأولى عند إنشاء الجامعة. كان من المتوقع أن تعانى إدارة الجامعة من صعوبة التعامل مع هذه المجموعات غير المتجانسة، كما أن أعضاء هيئة التدريس أنفسهم كان يصعب تعامل كل منهم مع الآخر. كانت الشللية ومجموعات المصالح المشتركة هي السمة الغالبة لهم والصادمة في نفس الوقت للمنضمين حديثا إليهم ممن ليس لهم خبرة في الحياة العملية من أمثالي . كانت كل مجموعة منهم تحاول جاهدة التقرب من إدارة الجامعة لتحقيق مآربها غير المشروعة. كانوا يتبعون في سبيل ذلك كافة الأساليب التي نقلوها وجلبوها معهم من الجهات التي كانوا

يعملون بها قبل التحاقهم بالعمل في الجامعة .كان كل منهم يحاول الانضمام إلى المجموعة التي يعتقد في أنها الأقرب من مدير الجامعة وكان في سبيل ذلك يتقرب إلى أعضائها حتى يسمحوا له بالانضمام إليهم حين تلوح لهم الفرصة لضمه، وكان موقفي أمام هذه الظاهرة هو موقف المتفرج وأطلقت عليها لعبة الكراسي الموسيقية .

طلاب الجامعة :

كان نظام قبول الطلاب في الجامعات المصرية من خلال مكتب التنسيق محترماً وصارماً.علمت أن نجل أحد القيادات قد اضطر إلى البقاء في جامعة أسيوط لمدة عام دراسي كامل وهو الشرط المعمول به في ذلك الوقت ليتم نقله في العام التالي إلى جامعة القاهرة. لم يكن نظام التوزيع الجغرافي في القبول معمولا به في تلك الفترة،من هنا كان يوجد أعداد كبيرة من طلاب الجامعة من خارج محافظات الصعيد . كان هناك أماكن كافية في المدن الجامعية لجميع الطلاب الوافدين من خارج أسيوط . لم تكن في أسيوط وسيلة انتقال سوى العربة الحنتور. قررت الجامعة نشر ثقافة استخدام الدراجات كوسيلة للانتقال ساهمت الجامعة في اقتناء طلابها الدراجات، وخصصت لهم الأماكن المناسبة في كل كلية لترك دراجاتهم أسوة بسيارات الأساتذة . كان إقبال الطلبة والطالبات على ركوب الدراجات في أسيوط في بدايته أمر غير مألوف بالذات بالنسبة للطالبات غير أنه أصبح من الأمور العادية مع مرور الأيام، وأصبح ذلك أول بصمات الجامعة في المجتمع الأسيوطى.

الإفراج عن صندوق الكتب والأمتعة من جمرك الإسكندرية :

كلفت أحد أقاربي بمتابعة وصول الصندوق الذي شحنته بالباخرة من موسكو والذي يحتوى على أعز ما أملك. كان يحتوى على كتبي وأسطواناتي علاوة على

أمتعتي الشخصية. أبلغني قريبي بوصول الصندوق فأسرعت بالسفر إلى الإسكندرية نظراً لتلهفي على الكتب والأسطوانات التي اشتقت إليها لترطب حياتي في أسيوط. فوجئت بضرورة عرض الكتب والإسطوانات على الرقابة حتى يتم الإفراج عنها . قام قريبي بأخذ بعض الكتب من مكتبته وقابل المسؤول في هيئة الرقابة الذي وقع بما يفيد أن هذه الكتب وصلت من إنجلترا رغم أن بوليصة الشحن التي وقع عليها مكتوباً فيها وبوضوح أن الصندوق قد شحن من ميناء أوديسا بالاتحاد السوفيتي. كنت موجوداً مع قريبي عندما قام مسؤول الرقابة بالتوقيع وشعرت ساعتها كأن شعر رأسي كما يقولون يقف من هول الموقف وعلمت فيما بعد أن البديل لذلك كان إحضار جميع الكتب والإسطوانات مع موظف الجمرك إلى الرقابة بالإسكندرية التي تقوم بدورها بإرسالها مع مخصوص إلى المركز الرئيسي في القاهرة للاطلاع على الكتب والاستماع للأسطوانات حتى يقرروا ما إذا كانوا يسمحون بخروجها أم لا وفى الغالب لا يوافقون نظراً لأن جميعها كانت مشحونة من الاتحاد السوفيتي وبالتالي سوف يكون الأمر النهائي لمكتب مكافحة الشيوعية. كان ذلك هو المفروض أن يحدث معي رغم أنه في ذلك الوقت كانت كل أنواع الكتب بما فيها مؤلفات لينين وماركس وإنجلز وغيرهم موجودة على سور الأزبكية .... عجبي !

المهم تم الإفراج عن كتبي واسطواناتي، ولم أهتم كثيراً بأعمال السطو على الكتب الفنية، وبالذات أعمال الفنان الروسي شيشكين التي كما يبدو أنها نالت إعجاب بعض موظفي الجمرك فقاموا بخلعها واحتفظوا بها . وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فقد صادفت خلال شحن كتبى من موسكو أيضاً بعض الملابسات المضحكة ذلك حين وجد رجال الجمارك الروس أنني اشتريت أكثر من عشرين كتابًا لمناظر موسكو

فرفضوا التصريح بها إلى أن أقنعتهم بأنني سوف أقوم بإهدائها إلى أصدقائي في مصر وأن في ذلك دعاية لهم. ولا أنسى أنني أثناء مغادرتي مطار موسكو أن عثر رجل الجمارك في حقيبتي على مقال صيني مترجم إلى الروسية يشرح وجهة النظر الصينية في الخلاف القائم مع الاتحاد السوفيتي. كتب رجل الجمارك بعد أن سألني عن مصدر هذه المقالة تقريراً كتب فيه إنه اكتشف أثناء قيامه بتفتيش حقيبتي مقالا من جريدة صينية مترجما إلى اللغة الروسية. غير أن المقال كان في حقيقة الأمر في مكان ظاهر وضعته على عجالة حتى أستكمل قراءته فيما بعد. تدخل أحد زملائه وأقنعه بإلغاء تقريره والاكتفاء بمصادرة المقال. ولولا تدخل زميله هذا لكان زماني كما يقولون وراء الشمس . هكذا كان رجال الجمارك والرقابة على الجانبين في واد بينما العلاقات المصرية السوفيتية في واد آخر .

بدايتي في أسيوط :

تكون انطباعي عن نظام الحكم في مصر من خلال تواجدي وتعاملي مع مختلف القضايا الفكرية في الخارج بما في ذلك مواقفي المؤيدة للثورة ودفاعي عنها وعن زعيمها جمال عبد الناصر. من هنا كنت خلال أيامي الأولى منشغلا في تدقيق ومراجعة ذلك الانطباع الذي ترسخ في ذهني، ومقارنته بما أجده أمامي على أرض الواقع. لذلك قررت وللوهلة الأولى أن أتريث في الانضمام إلى الاتحاد الاشتراكي التنظيم السياسي الوحيد للثورة. كان رئيس القسم الذي أعمل فيه هو نفسه رئيس الاتحاد الاشتراكي في الكلية، وكان يغمرني بعطفه لذا قرر أن يكتب نيابة عني طلبا للالتحاق بهذا التنظيم غير أنني لم أعتبر نفسي رغم ذلك عضوا فيه وذلك لوجود فارق كبير بين الإنطباع الراسخ في مخيلتي عن الثورة، وذلك الشكل المشوه لها الذي وجدته عليها بعد عودتي. لم تمر فترة طويلة حتى اكتشفت صدق وسلامة

الانتقادات التي كانت توجه في الخارج للثورة والتي للأسف كنت أتصدى لها. واكتشفت كذلك إنني لم اكن على صواب عندما تصديت لهذه الانتقادات التي ثبت لي الآن صحتها. اكتشف أنني كنت مخدوعاً ورأيت أن الأمانة العلمية تلزمني الاعتراف بذلك . رأيت أن الواجب يحتم عليَّ أن أتصدى هنا في مصر لكل من تسول له نفسه القيام بتشويه الثورة. هكذا بدأت في اكتساب العداءات في الداخل بعد أن كنت قد تركتها ورائي خارج مصر، غير أنني مع ذلك تمسكت بحبي وإيماني بعبد الناصر قائد الثورة وزعيمها . أقنعت نفسي بأنه لا يدرى بما يحدث وبأنه لو عرف لسوف يكون له حتما تصرف آخر يعيد فيه الأمور إلى نصابها، ويعيد الثورة إلى شكلها الذي عرفته بها. غير إنني مع ذلك لم أمنع نفسي من الاستمرار في موقفي من الاتحاد الاشتراكي الذي حملته مسؤولية كل ما شاهدته من مصائب وانحرافات. رفعت شعاراً وصفت فيه الاتحاد الاشتراكي بأنه مجموعة من الجثث ويجب القضاء عليه. لم أتوقف عن ترديد هذا الشعار في مختلف الأوساط والمناسبات حتى أصبح موقفي معلنا ومعروفا لدى الخاصة والعامة في الجامعة. هكذا قدر لي وأنا على مشارف الخامسة والعشرين أن أعلن الحرب على التنظيم السياسي الوحيد للثورة وأنا هنا بعيد عن أهلي وأحبابي وغريب أيضا في وطني.

انغمست في عملي إذ تطلب تحضيري للمحاضرات مجهودا كبيرا نظرا لتعدد المقررات التي أقوم بتدريسها وتنوعها وعدم وجود ما يكفى من مراجع أستعين بها في التحضير . كنت مطالبا كذلك بتجهيز المعامل وإعداد التجارب للطلاب. اكتشفت أن الميزانية المخصصة لشراء الأجهزة والمعدات قد نفدت عن آخرها قبل استلامي العمل. ونظرا لحماسي الزائد ورغبتي القوية في تجهيز المعامل تقدمت باقتراح لجمع التبرعات شريطة أن تخصص حصيلتها لتحقيق هذا الغرض. وانتهى بي الأمر إلى

الاستعانة بزملائي في جامعة القاهرة والمركز القومي للبحوث الذين أعاروني بعض الأجهزة من معاملهم ليجرى عليها الطلاب في أسيوط بعض تجاربهم .

تذكرت ما أوصاني به صديقي عبد الحميد الخطابي أثناء زيارتي له في الإسكندرية فقمت بزيارة صديقه ورفيق محبسه الشيخ أحمد شريت، وأبلغته تحياته وأشواقه . كانت حياتي في أسيوط مليئة بالأحداث التي تبعث الأمل في نفسي وتقوى من عزيمتي لذا قررت أن أعتمد على الإمكانيات الذاتية في تجهيز المعامل . استفدت من إمكانيات الورش في الكلية .سافرت إلى القاهرة وعثرت في الصاغة بخان الخليلي على مخزن اشتريت منه أعدادا كبيرة من البواتق مختلفة الأحجام لاستخدمها في صهر المعادن.وأثناء زيارتي لأحد المصانع في القاهرة اكتشفت بالصدفة وجود براميل لديهم من الزجاج السائل وهو ما كنت أحتاج إليه لبناء الأفران في أسيوط. أعتقد إن البواتق والزجاج السائل الذى قمت بشرائه عام ١٩٦٤م لا يزال بعض منها موجودا حتى الآن في معامل قسم التعدين بهندسة أسيوط .

لا أنسى أنني في إحدى المرات وخلال عودتي من القاهرة تعرفت بالمهندس طه زكى رئيس مجلس إدارة شركة كيما في أسوان . ذكر لي سيادته أنهم في الشركة لديهم الإمكانيات لإنتاج الماء الثقيل ونظرا لما لهذه المادة من أهمية في المفاعلات النووية وجدت نفسي أسأله في دهشة وما الذي يمنعكم من إنتاجه ؟ فاجأني بقوله: إنه لم يطلب أحدا منه ذلك!، نفس هذه الإجابة جاءت على لسان أحد كبار العاملين في مصنع طلخا للسماد عندما تحدث معي أثناء زيارتي للمصنع عن مشكلة اختلاط غاز الكريبتون مع النيتروجين أثناء إسالة الهواء، وفصل منه النيتروجين لإنتاج غاز الأمونيا، وحين سألته لماذا لا تفصلون الكريبتون وبالذات إننا نقوم باستيراده في مصر كانت إجابته على سؤالي هي نفس إجابة المهندس طه زكى الذي أصبح وزيرا

للصناعة فيما بعد، وهى إنه لم يطلب أحداً منه ذلك!

كانت علاقتي بالطلاب قوية وحميمة وكان سني يقارب سنهم لمسوا فيّ حبهم وما زلت أرى أن الأستاذ الذي لا يحب الطلاب لا يجب أن يكون أستاذاً . كنت وما زلت أؤمن بمقولة طه حسين: العلم كالماء والهواء، ويجب أن يكون في متناول الجميع. من هنا اعترضت على سياسة الجامعة حين قررت عمل مجموعات تقوية بمقابل للطلاب القادرين، وأدى اعتراضي هذا إلى حرماني من الإقامة في استراحة الأجانب التي وجدت فيها الراحة والانسجام لقربها من الإستاد، وبالذات إنني اعتدت على ممارسة الرياضة التي أكسبتني لياقة بدنية كنت في أشد الحاجة إليها لمواجهة المجهود الكبير الذي كنت أبذله في مختلف المجالات. ولم أجد بداً من البحث عن سكن دائم لي في أسيوط بعد أن عاقبتني الجامعة على معارضتي للمجاميع وحرمتني من الإقامة في استراحة الجامعة المميزة، والتي كانت مخصصة للأجانب والتي كنت قد اعتدت على الإقامة فيها .



صورة مع معيدين قسم هندسة التعدين عام ١٩٦٤

كان تعيين المهندس أحمد نيازى معيداً فى القسم وتسجيله للماجستير تحت إشرافي خير معين لي على تجهيز المعامل وإعداد التجارب للطلاب وقد اخترت أن يكون موضوع رسالته عن تلبيد خام حديد الصحراء الشرقية .

نمى إلى علمي أن ابن الأستاذ الكبير الشهيد عبد القادر عودة طالبا في قسم الجيولوجيا بكلية العلوم، فأرسلت في طلبه، وأصبح فيما بعد معيدا في القسم كنت أرغب في تعويضه عن الظلم الذي وقع عليه وعلى أسرته من جراء الحكم الجائر بإعدام والده. توطدت علاقتي به وكان يلازمني في معظم الأحيان زميله محمد حبيب الذي أصبح هو الآخر معيدا في قسم الجيولوجيا كان كلاهما في تلك الأيام بعيدين كل البعد عن أي توجه ديني ينبئ بما وصلا إليه الآن . لكن هذه هي إرادة الله ومشيئته .

أسرة إخناتون :

الأستاذ الدكتورعبد الفتاح إسماعيل طيب الله ثراه هو أول من أنشأ نظام الأسر الطلابية فى الجامعات المصرية. أنشأها فى أول الأمر في كلية العلوم بجامعة الإسكندرية عام ١٩٥٤ بهدف تقوية الأواصر بين الأساتذة والطلاب والعمل على بث الروح فى الحياة الجامعية .انتقل نظام الأسر إلى باقي الكليات وإلى باقي جامعات مصر وعندما أصبحت فى عام ١٩٦٣ مدرساً فى هندسة أسيوط وجدت أن نظام الأسر قد أصبح من التقاليد الجامعية المقررة على الطلاب كما هي مقررة على الأساتذة . تميزت جامعة أسيوط عن باقي الجامعات بأنها سمحت بتكوين الأسر على مستوى الجامعة أي أن تتخطى حدودها الكلية بمعنى أن تضم طلابا من مختلف الكليات بصرف النظر عن الكلية التي ينتمي إليها رائد الأسرة . ربما كان ذلك انعكاسا لنظام الأقسام الموحدة التي تميزت به جامعة أسيوط عن باقي

الجامعات ونظرا لضآلة أعداد الطلاب وهيئة التدريس في الجامعة في تلك الفترة .

كنت مولعا بتاريخ مصر القديم وأذكر أنني ألقيت محاضرة باللغة الروسية عن تاريخ مصر القديم أثناء دراستي في الاتحاد السوفيتي وأذكر أنني قد أعجبت بشخصية إخناتون وسلطت عليه وعلى أفكاره الضوء أثناء محاضرتي. من هنا اقترحت عندما دعاني الطلاب لأكون رائدا لأسرتهم التي ضمت طلبة وطالبات من مختلف الكليات أن تحمل الأسرة اسم إخناتون . كان من الضروري بعد أن وافقوا على هذا الاسم أن يتعرفوا على تاريخ إخناتون وعلى الأسباب التي شجعتني على اختياره وكأنه قد أصبح بعد إطلاق اسمه على الأسرة شريكي في ريادتها . وكلمة إخناتون معناها الجميل مع قرص الشمس . إنه أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر والذي حكم مع زوجته نفرتيتي لمدة ١٧ سنة منذ عام ١٣٦٩ ق.م وحاول إخناتون توحيد آلهة مصر القديمة في شكل الإله الواحد « آتون » ونقل العاصمة من طيبة مقر الإله آمون إلى عاصمته الجديدة أخيتاتون أوتل العمارنة وهو أول من نادى بالتوحيد في تاريخ البشرية، وابتكر فكرة الأناشيد للمعبود بدلا من الصلوات له ويقول في أحد هذه الأناشيد :

أنت خلقت الجنين في بطن أمه	وأنت الذي يجعل من البذرة إنسانا
مهدئاً الجنين حتى لا يبكى	مرضعاً إياه في رحم أمه
معطيا النفس ما يحفظها	وأنت الذي تمد الجميع بحاجاتهم
وأنت الذي تهب كل حي رزقه	وتمنحه أيام حياته المعدودة
وخالق البشر يتكلمون بمختلف	اللغات ومانحا لها الحياة

ويقول في نشيد آخر .

إنك في قلبي وما من أحد يعرفك إلا ابنك إخناتون لقد جعلته حكيما بتدبيرك

وقوتك أنت أوجدت العالم وأقمت ما فيه لإبنك إخناتون ذي العمر المديد ولزوجه الملكية الكبرى . وهناك من يقول بأن إخناتون نبي من أنبياء الله، وذلك لشدة تشابه أناشيد إخناتون بمزامير داود .

نصب إخناتون نفسه خليفة الإله آتون على الأرض فكان بذلك هو الوسيلة الوحيدة بين الإله آتون والشعب الأمر الذى أضعف تماماً أي وجود لكهنة المعابد الذين كانوا يقومون بهذا الدور، وهو الأمر الذى أدى إلى انقلاب الكهنة على ديانته والقضاء عليه .

هكذا أصبحت رسالة أسرة إخناتون هي الأخرى مختلفة عن رسالات باقي الأسر في الجامعة ومن هنا كانت رحلتنا الأولى إلى تل العمارنة في محافظة المنيا حيث شاهدنا فيها بقايا عاصمة إخناتون .



رحلة مع طلاب أسرة إخناتون

زيارات المصانع :

تعتبر زيارات المصانع بالنسبة لي جزءا مكملا لتحضيري للمحاضرات. كان من الضروري أن أربط أثناء المحاضرة بين المعلومات النظرية التي أزود بها الطالب وبين تطبيق هذه المعلومات في الصناعة. كنت أتحدث خلال محاضراتي عن بعض الحالات التي شاهدتها في المصانع التي قمت بزيارتها في الاتحاد السوفيتي. رأيت أنه من الأفيد أن أتناول أثناء الشرح أمثلة من المصانع المصرية التى من المؤكد سوف يكون لها عظيم الأثر على الطالب وعلى استيعابه ومعرفته بحال الصناعة فى بلده وبالذات عند تخرجه.من هنا وضعت لنفسي خطة لزيارة المصانع المصرية. كانت مصانع الحديد والصلب والنحاس المصرية والعامة للمعادن هي المصانع التي بدأت زيارتها ، جاءت بعدها مجموعة المصانع الحربية التي لم أكن أعلم أنها أنشئت قبل الثورة ثم مصانع الحراريات. استمرت زياراتي للمصانع حتى شملت مصانع الغزل والنسيج، وصك النقود والتعبئة الدوائية ودباغة الجلود ومصر للكيماويات والترسانة البحرية، وورش القوات البحرية وشركة الرمال السوداء بالرأس السودة بالإسكندرية. وأثناء زيارتي لشركة الرمال السوداء عرض على المهندس جمال نجيب رئيس مجلس إدارة الشركة أن أجرى لهم دراسة عن إمكانية استخدام الجارنت أحد مكونات الرمال السوداء في تصنيع حجر الجلخ .استغرقت هذه الدراسة عامًا كاملًا وانتهيت فيها إلى عدم صلاحية استخدام الجارنت في هذا الغرض وقدمت لسيادته دراسة وافية حول طرق إنتاج حجر الجلخ، وعن الأغراض البديلة التي يمكن فيها الاستفادة من الجارنت. غير أن سيادته كما يبدو كان قد سبق أن أكد لوزير الصناعة في ذلك الوقت إمكانية إنتاجه لحجر الجلخ من الجارنت، وكان يبغى من ذلك الحصول على دعم مالي لشركته، وبقائه في منصبه. كان رجال الصناعة في ذلك

الوقت يتسابقون للحصول على قرارات بوقف استيراد ما يزعمون قدرتهم على إنتاجه. وحاول رئيس مجلس إدارة شركة الرمال السوداء مساومتي على تغيير تقريري الذي يرغب في الاعتماد عليه لإقناع وزير الصناعة بمشروعه الوهمي، وكان نتيجة رفضي أن حرمني من الحصول على أي مستحقات سواء ما يتعلق منها بالانتقال أو بتصنيع المعدات التي قمت بتصنيعها على نفقتي .

زيارة أستاذ أمريكي لهندسة أسيوط :

حضر الأستاذ الأمريكي دكتور باركس لإعطاء بعض المحاضرات في الكلية. دعا العميد أساتذة الكلية للاحتفاء به وكان عدد المدعوين لا يزيد عن العشرة كان من الطبيعي أن يؤكد العميد على ضرورة التحدث باللغة الإنجليزية مما أدى إلى قلة عدد المتحدثين .كان أغلب الحاضرين على قلتهم ممن أنهوا دراستهم في ألمانيا وأوروبا ويجتهدون بقدر إمكانهم الاشتراك في الحوار والترحيب بالأستاذ الزائر وكان واحد منا فقط لم يتمكن من الحديث باللغة الإنجليزية مما أدى إلى قيام أحد الزملاء بترجمة ما يعن له من حديث. بدأ العميد الجلسة بتهنئته لنا وقال : أهنئكم فقد وافق مدير الجامعة أخيراً على تأليفنا للكتب باللغة الإنجليزية. وتهلل الحاضرون لسماعهم هذا الخبر بمن فيهم الزميل الذي يحتاج مترجما. وجدت نفسي مندهشا ومستنكرا هذا الاستهلال وتذكرت قرار مجلس قيادة الثورة الخاص بتعريب العلوم وباستحياء شديد ومراعاة لوجود الضيف الكريم توجهت برجاء إلى الزملاء أن يقوموا بجانب تأليفهم للكتب باللغه الإنجليزية بالتأليف أيضا بالعربية نظراً لافتقار المكتبة العربية إلى الكتب العلمية والهندسية بالذات. وذكرتهم بأن قرار مجلس قيادة الثورة الخاص بالتعريب قد مضى عليه اثنا عشر عاماً دون تفعيل. فوجئت بثورة العميد والزملاء المتهافتين على منافقة كل من العميد

والأستاذ الأمريكي. وبعد الاجتماع أخبرني رئيس القسم الذي كان حاضراً بأن عميد الكلية سوف يرفع الأمر إلى رئيس الجامعة ، والى الجهات الأمنية مدعياً بأنني شيوعي.

ضمت شقتى التي استأجرتها في أسيوط مكتبتي التي تزخر بكتب في جميع الاتجاهات الفكرية والمذهبية، منها مؤلفات لحسن البنا وسيد قطب ولينين وكارل ماركس وإنجلز لذا كان يسهل لأمن الدولة اعتقالي ومصادرة كتبي التي اعتز بها وأرهقت بدنياً ومادياً في سبيل شرائها ثم نقلها إلى أسيوط. فكرت أن أخفى هذه الكتب غير إنني وجدت نفسي أحتقر نفسي ولم يخرجني من هذا الشعور سوى إصراري على بقاء الوضع على ما هو عليه وأن أرد على تهديد عميد الكلية بجملة طلبت من رئيس القسم أن ينقلها إليه وهى « أرجو أن تبلغ سيادة العميد أنه هو القديم وأنا الجديد والجديد حتماً ينتصر » وشعرت بعدها براحة كبيرة حيث أمدتني هذه العبارة بالأمل في الحياة والمقدرة على مواجهة المرائين والمنافقين، وكانت هذه الجملة هي محور حديثي فيما بعد مع الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل حين أتيحت لي الفرصة والتقيت معه بالصدفة .

أهالي أسيوط :

كان للأستاذ الدكتور سليمان حزين قول مأثور في شأن أهالي أسيوط كان يقول: إنك إذا حكّيت جلد المسيحي أو المسلم في أسيوط فإنك سوف تكتشف أن تحت الجلد أسيوطي. كان يعنى بذلك إن الفرق بين المسيحي والمسلم من أهالي أسيوط يكمن فقط في المظهر لا في الجوهر. بعد أن انتقلت للسكن في مدينة أسيوط واستأجرت شقة في شارع رمسيس الثاني بمنطقة (قلته) وهى منطقة أغلب سكانها من المسيحيين رأيت أن أنمى معرفتي بأهالي أسيوط من المسيحيين . قررت أن أقوم

بزيارة إحدى الكنائس وقمت لهذا الغرض بمرافقة أحد طلابي من المسيحيين في زيارته إلى الكنيسة. كانت المفاجأة كبيرة وصدمتي أكبر عندما عرفت وسمعت بأذني أن المسيحيين في مصر يدعون في صلواتهم لبنى إسرائيل . لم أقيِّم ذلك من الناحية الدينية إنما كان تقييمي له من الناحية السياسية لم أتحدث مع تلميذي عما كان يجول بخاطري أو عن انطباعي لكنني تمنيت من كل قلبي حيث لا أكن أي ضغينة أو كره للأخوة المسيحيين أن يقوموا بتصحيح هذا الأمر بأنفسهم، ويتوقفوا عن الدعاء لبنى إسرائيل في صلواتهم .

مرت الأيام والتقيت بأحد أساتذة المعهد الديني التابع لجامعة الأزهر في أسيوط وكان شابا يقاربنى في العمر كان اسمه الدكتور سيد طنطاوى كان كل منا يرغب في التعرف على الآخر، واستمرت علاقتنا إلى أن عرفت رأيه في موضوع إسرائيل واستشهاده بالقرآن الكريم الذي تنبأ بانتصار اليهود وأنهم سوف يتبوؤن مكانا عظيما .لم يدر بخلد سيادته إن إصراره على هذا الرأي بعد أن دعمه بالآيات القرآنية قد وضع نهاية لعلاقتنا، وهى بعد في بدايتها. هكذا لم يكن حظي مع رجال الدين الإسلامي أفضل منه مع رجال الدين المسيحي. كنت في هذه المرحلة من عمري أتفهم الأمور وأتقبلها على أساس موقفها من القضية الفلسطينية، وكنت وما زلت أرى أن مواقف المواطنين من القضية الفلسطينية يصلح ليكون مقياساً لوطنيتهم. وفى هذا الصدد أذكر أن أحد المواطنين الروس كان قد عبر لي عن دهشته أثناء حديثه معي من اهتمام المصريين بفلسطين... ! كان ردى على بساطته قد زاد من حدة دهشته حيث قمت أمامه باستنشاق شهيقا عميقا وأطلقته زفيراً طويلا وقلت له : يا عزيزي عليك أن تعرف إن الهواء الذي تنفسته كان من أجل فلسطين! من هنا كانت مواقف بعض المحيطين بي في مصر تكاد تخنقني وتقتل أنفاسي .

النشاط الطلابي :

اهتمت حكومة الثورة بالشباب وأنشأت لذلك وزارة خاصة تعتني بشؤونهم. اختاروا طلعت خيري وهو من رجال المخابرات السابقين - شقيقه الدكتور عزت خيري أصبح أمين عام المجلس الأعلى للجامعات - وزيرا لها. أنشأت الوزارة مديريات عامة للشباب في مختلف المحافظات. كما أنشأت وزارة التعليم العالي إدارات لرعاية الشباب في الجامعات يتبعها مكاتب في الكليات كان اهتمامي بالشباب متوافقا تماماً مع اهتمام الثورة بهم غير أنه كان مختلفاً في الأسلوب الذي كان متبعاً سواء في مديرية الشباب أو في رعاية الشباب. غير أنني تمكنت إلى حد ما خلال شبكة العلاقات القوية التي كونتها في كلتا المنظومتين من تحقيق ما أصبو إليه.



استلام شهادة تقدير من عميد كلية أسيوط ١٩٦٥م

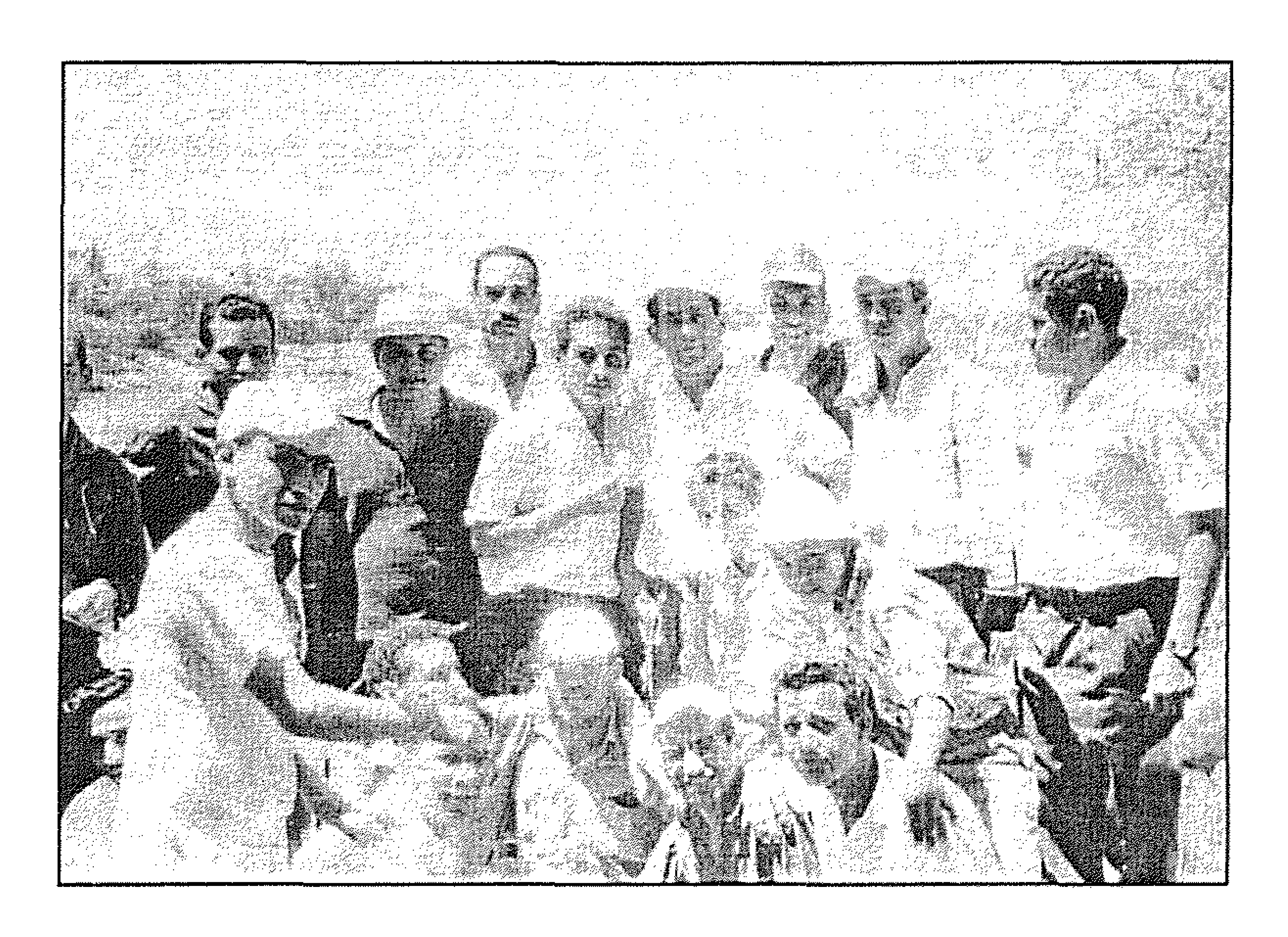
امتدت شبكة علاقاتي فشملت بعض الأندية في أسيوط وعلى وجه الخصوص نادى البلدية ونادي الشبان المسيحيين وبعض الأندية الشعبية في المراكز المتاخمة لمدينة أسيوط .كانت تربطني علاقات قوية مع كل من أحمد فرغلي ووفائي خليل من مديرية الشباب بأسيوط . أصبح الأول فيما بعد عضوا في مجلس الشعب عن حزب العمل وصحفي في جريدة الأخبار . تمكنت من خلالهما توظيف إمكانات المديرية في دعم نشاط ألعاب القوى في المدارس والأندية .

كنت وما زلت أرى إن الاهتمام بنشر هذه الرياضة فى مصر يجب أن يأتي على رأس أولويات جهاز الرياضة والشباب، وبالذات إن العمل على نشر هذه اللعبة لا يحتاج إلى اعتماد ميزانيات ضخمة أسوة بباقي اللعبات، حيث لا يحتاج من يمارسها في البداية إلى مدرب أو مدير فني كما تحتاج باقي اللعبات، ويستطيع من يمارس هذه الألعاب أن يختار ما يناسبه منها علاوة على أن هذه اللعبة تعتبر بكل المقاييس هي البنية الأساسية لكل الرياضات الأخرى . كان شقيق الأستاذ وفائي خليل مدرساً للموسيقى في إحدى مدارس أسيوط وتم إقناعه بالتطوع لتدريب فريق الجامعة وأصبح هذا الشاب فيما بعد أحد الفنانين المرموقين في مصر إنه الفنان العالمي يحيى خليل عازف الدرامز .

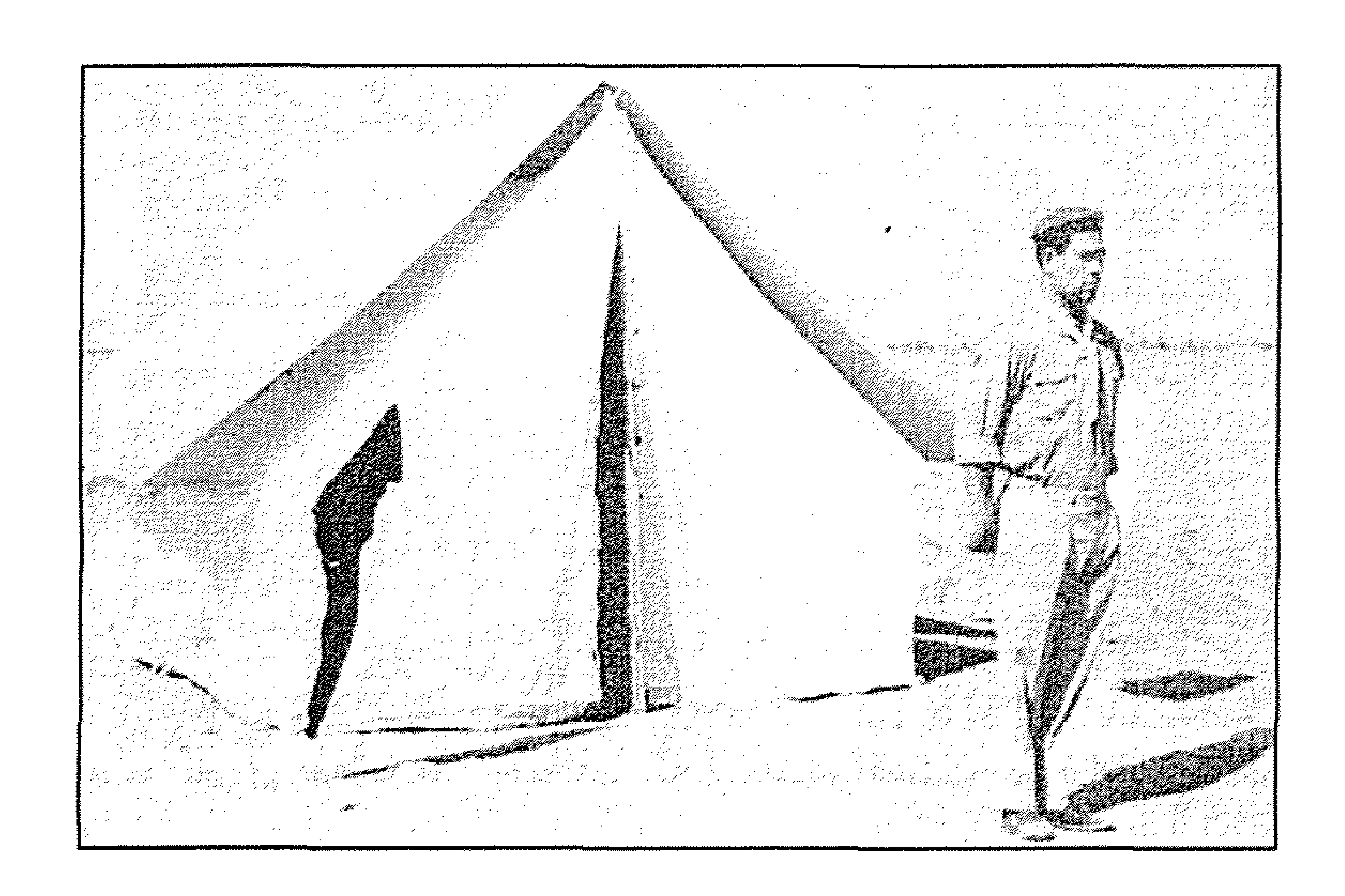
تم اختياري نتيجة لعلاقاتي وخبراتي السابقة في الأنشطة الرياضية مشرفا على منتخبات الجامعة في كرة القدم والملاكمة وألعاب القوى غير أنني أصبحت أيضاً بناء على رغبة الطلاب مشرفاً على فريق الجوالة في الجامعة.

ضمت هذه الفرق طلابا من مختلف الكليات واظبت على ممارسة كرة القدم وألعاب القوى وكنت أتدرب مع منتخب الجامعة في هذه اللعبات. أعجبتني مهارة اللاعب شريف خشبة الطالب وقتها في كلية الزراعة، وتوطدت علاقتي به، إنه

رحمه الله والد الشاب هادي خشبة لاعب النادي الأهلي والمنتخب الوطني السابق.



مع فريق الجوالة برأس البر عام ١٩٦٥م



معسكر الجولة برأس البر ١٩٦٥م

ومارست اللعبات التي تخصصت فيها من ألعاب القوى عندما كنت طالبا في جامعة الإسكندرية، وهى المسافات الطويلة والمتوسطة وكنت أنهى تدريبي في كل مرة بحمل أثقل طالب في الفريق – بطل الرمي فاروق طه الطالب بكلية العلوم، وألف به محمولاً على كتفى دورة كاملة للتراك ٤٠٠ متر – تعلمت أهمية هذا التدريب منذ كنت في روسيا عندما التحقت بفريق جامعة موسكو في ألعاب القوى وكنا نحمل وقتها أكياسا مملوءة بالرمل مصممة خصيصاً لهذا الغرض. إن سجلات مسابقات أسبوع شباب الجامعات عام ٦٤ تشهد بأن منتخب جامعة أسيوط للملاكمة قد حاز لأول مره في تاريخه على المركز الثاني بينما كنت أنا المدير الفني للفريق. أذكر أن الطالب حمدي من كلية الطب وبطل الجامعة في وزن الوسط كان يعانى من ألم في رسغه، وكاد هذا الألم أن يمنعه من خوض المباراة النهائية على اللقب. أخذت الطالب إلى عيادة الدكتور ألبير في أسيوط الذي تكرم وقام بالكشف عليه دون مقابل وأقنعه بإمكانية إعطائه حقنة مخدرة قرب الرسغ بحيث يتمكن من خوض المباراة دون أن يشعر بالألم وطمأنه بأنها لن تسبب له أي مضاعفات. قام الدكتور ألبير بالفعل بالمهمة وحضر إلى نادى البلدية حيث أقيمت المباريات النهائية في بطولة الجامعات للملاكمة ، نظرا لأن الحقنة المخدرة كان من الضروري أن تُعطى للطالب قبل المباراة بوقت قصير ليصل مفعولها إلى أقصاه وقت المباراة. حاز الطالب حمدي كأس أفضل لاعب في هذه البطولة واحتلت جامعة أسيوط المركز الثاني بين الجامعات، ولم تحدث أي مضاعفات للطالب، وقام الدكتور ألبير بكل هذه الخدمات دون مقابل سوى إحساسه بالسعادة لمساهمته في حصول جامعة أسيوط على المركز الثاني في أسبوع شباب الجامعات .

تميز أعضاء فريق الجوالة بقدرات قيادية كبيرة حيث تربوا على الاعتماد على

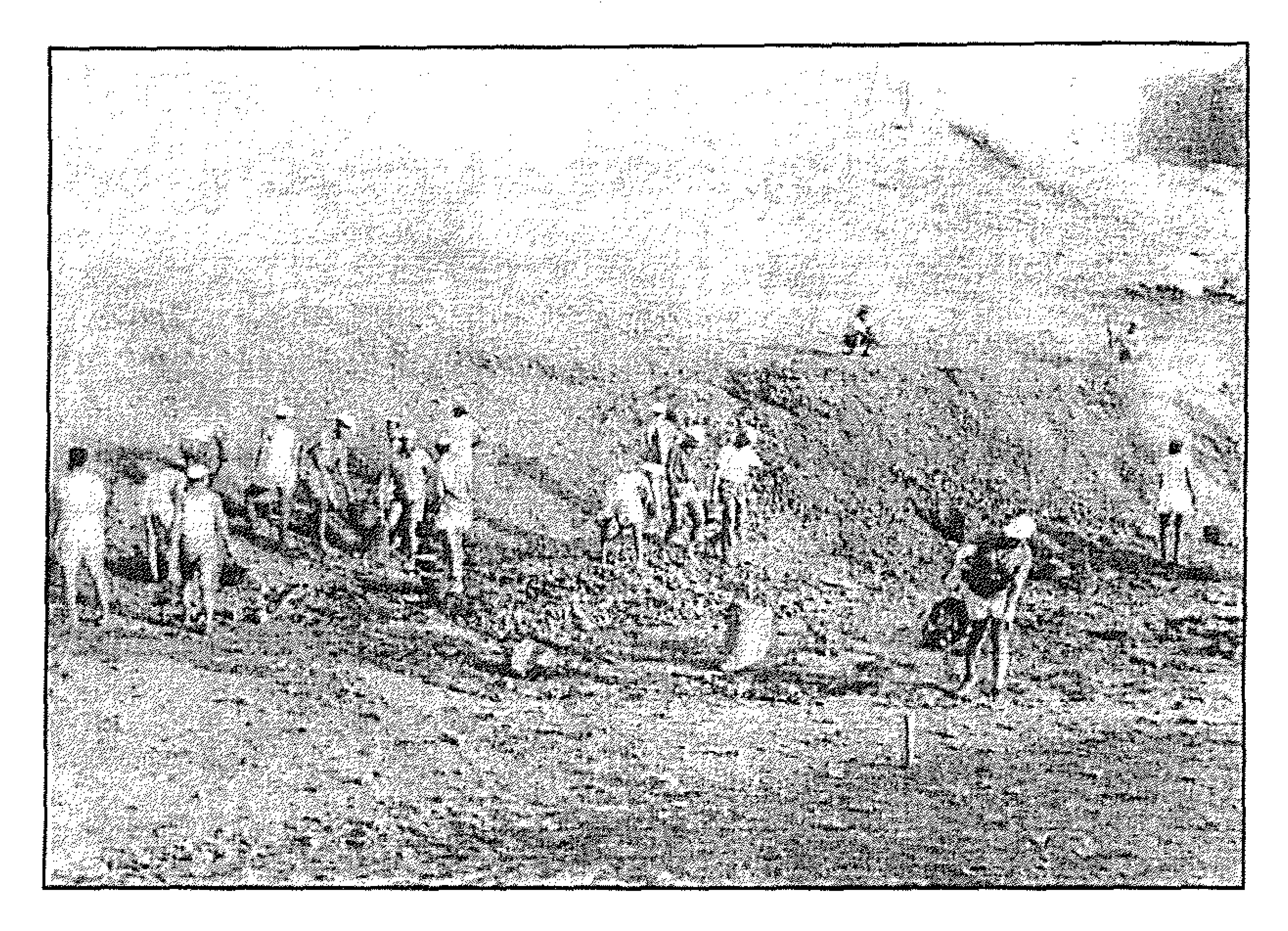
أنفسهم تقريباً في كل شيء. كان أغلب قيادات فريق جوالة الجامعة حسن حسن السيد (حسن سكوير) - حلمي زيادة ، رمسيس طلاباً في كلية الهندسة. من هنا فرضوني مشرفا على الفريق رغم عدم خبرتى السابقة سواء في مجال الكشافة أو الجوالة لكن الحب الذي شملني به أعضاء فريق الجوالة أغناني عن أي خبرات قد أحتاج إليها. كان فريق الجوالة ينظم سنويا معسكرا في منطقة رأس البر وكانوا يقومون ببناء المعسكر ونصب الخيام وساري العلم وتجهيز وإعداد كل ما يتعلق بالحياه اليومية داخل المعسكر وخارجه. كانت تعقد داخل المعسكر حفلات السمر كل مساء وكان البرنامج يتضمن العديد من المسابقات والرحلات والندوات .

اختارتني الجامعة للإشراف على معسكر عمل في أسوان، كانت مهمة المعسكر بناءاً على طلب مديرية الشباب في أسوان هي ردم بركة الدماس كان أعضاء فريق الجوالة هم المجموعة الأساسية التي قامت بالتنظيم والإعداد لهذا المعسكر. وسافرنا إلى أسوان في صيف عام ١٩٦٥ وأقمنا في مدرسة قريبة من بركة الدماس التي كلفنا بردمها. كان الفريق مدكور أبو العز محافظاً لأسوان في تلك الفترة وأصدر تعليماته لتسهيل كل شيء وأي شيء للمعسكر. أذكر إنني أثناء تلك الفترة قمت بتأليف بعض الشعارات وقام الطلبة بكتابتها على لافتات من القماش تشبه لافتات الانتخابات المزورة التي تتم الآن . وتم تعليقها في معظم شوارع أسوان .

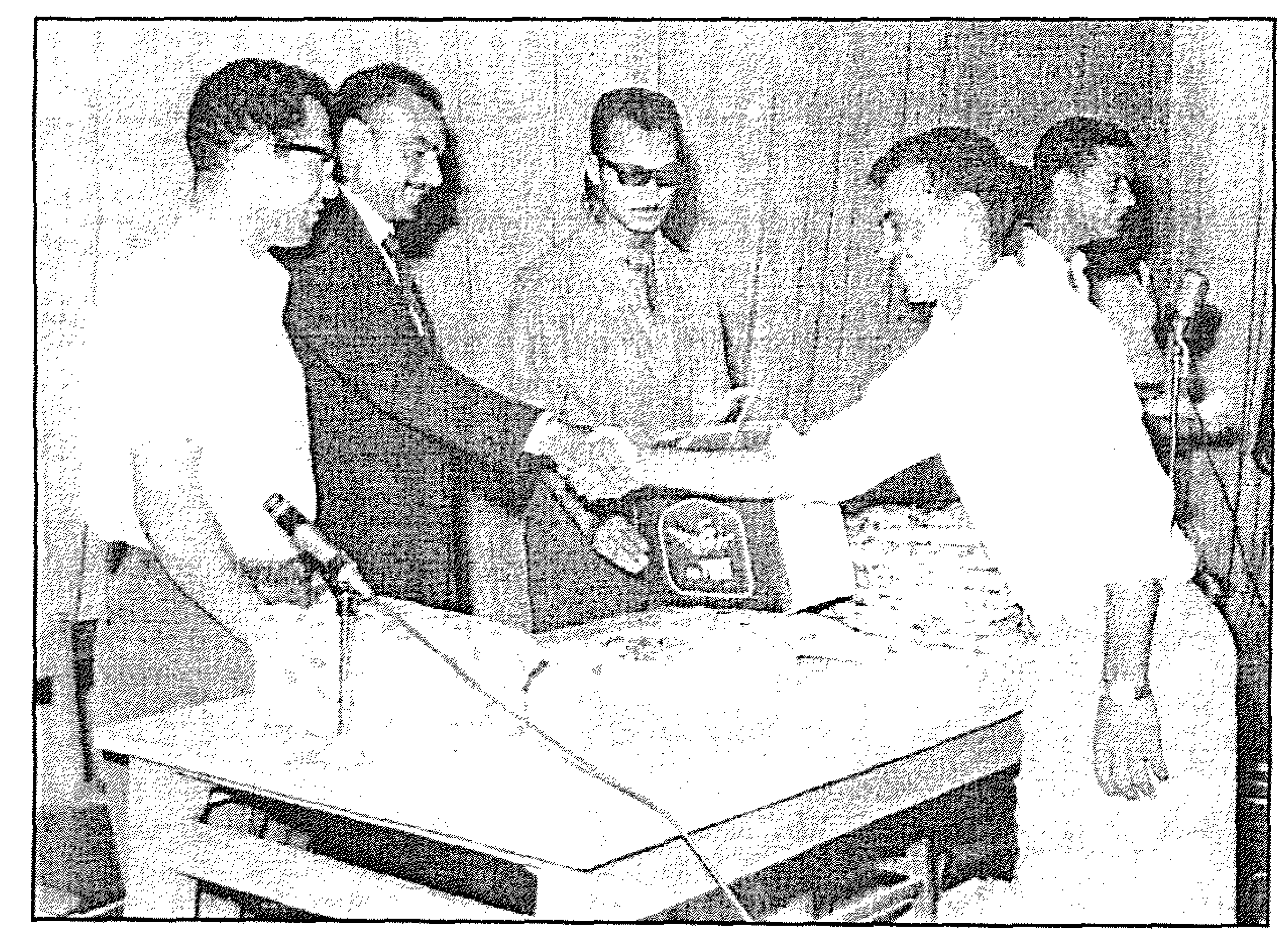
اعتقد الناس في حينه أن هذه الشعارات من أقوال جمال عبد الناصر لأنه لم يكن هناك من كان يجرؤ في هذه الفترة أن يرفع شعارا ليس من تأليف عبد الناصر أذكر منها الآن اثنين فقط أحدهما : «إن الاشتراكية هي ردم البرك وتشجير الطرق ».

والثاني :« إن معسكرات العمل هي المكان الوحيد الخالي من الأرستقراطية .» وبالطبع مرت عملية تعليق هذه الشعارات في شوارع أسوان بسلام رغم أنها كانت

لا ترقى بأي حال من الأحوال لأن تكون من أقوال الرئيس جمال عبد الناصر .



معسكر عمل في أسوان لردم بركة الدماس ١٩٦٥م



الفريق مدكور أبو العز محافظ أسوان يكرم المشاركين في معسكر العمل

حضر سيادة المحافظ مدكور أبو العز الحفل الختامي للمعسكر وشارك سيادته في توزيع الجوائز وقرر مكافأتنا بتخصيص سيارة تنقلنا لزيارة ميناء مرسى علم على البحر الأحمر قبل مغادرتنا مدينة أسوان. كانت مرسى علم من أجمل المناطق التي وقعت عليها عيناي لم نستطع مقاومة رغبتنا في الغوص ومشاهدة الشعاب المرجانية وصيد الإسفنج، ومازلت أحتفظ ببعض مما جلبته منها حتى الآن.

حفل زفاف لطفي وآمال :

لا زلت أذكر رغم مضى ما يزيد على الأربعين عاماً أسماء بعض الطلاب الذين كانت تربطني علاقة قوية بهم ومازلت أبحث عنهم حتى الآن. سالت دموعي من عيني عندما رأيت صورة أحدهم منشورة حديثاً فوق نعيه في جريدة الأهرام كان هذا الطالب من أنبغ الطلاب الذين صادفتهم في هندسة أسيوط إنه باسم نسيم. وكان باسماً في صورته، وكالنسيم في حياته دمعت عيناي لأنني تذكرت ما وقع عليه من ظلم عندما تخطوه ولم يعينوه معيداً في القسم رغم إنه كان الأحق . سالت دموعي لأنني لم أتمكن من إنصافه أو درء الظلم عنه بسبب غيابي عن القسم خلال الفترة التي تخرج فيها ومن يومها وأنا أبحث عنه لأطمئن عليه ولأحاول تعويضه عما وقع عليه من ظلم ولكن للأسف فات الميعاد. مازلت أذكر المهندس حسن سكوير وحلمي زيادة وعبد المنعم فطيم .

كان عبد المنعم فطيم طالباً في الصف الثاني بقسم الهندسة الكهربائية، وكنت أدرس له مقرر هندسة الفلزات، كان شقيقه لطفي فطيم من بين الشيوعيين المعتقلين في معتقل الوادي الجديد. اكتشف منعم فيّ ما كان يعوضه عن غياب شقيقه. اكتشف جميع الطلاب في ذلك الوقت أنني أحمل أفكاراً غير تقليدية ، وأنني أتميز عن زملائي الآخرين بالجرأة في الحق والحرص عليه وحسن معاملة الفراشين

والطلاب علاوة على أن سني كان قريباً من سنهم. تطورت علاقة عبد المنعم فطيم بي لدرجة إنه ألح في دعوته لي للتعرف على أسرته في القاهرة. كانت أسرته تقيم في حي شبرا وتتألف من أب وقور وأم حنون وأخت متزوجة من أديب ناشئ في ذلك الوقت سطع نجمه فيما بعد وأصبح من أشهر وأعظم كتاب هذا العصر. ورغم خفة دم أعضاء الأسرة وامتلاكهم ناصية المداعبة كنت ألمح الحزن يملأ عيونهم ونبرات الأسى في حديثهم عن ابنهم الأكبر الغائب الحاضر بينهم. كان هذا الابن هو لطفي فطيم المعتقل في مكان ما بالوادي الجديد لا شيء إلا لأنه كان يحلم بأن تكون بلاده كما يتمناها هو، أي أن اعتقاله قد تم لأن أحلامه كانت تتعارض مع أحلام الآخرين. كان منعم يعتبر عودتي ظافراً غانماً من الاتحاد السوفيتي دون أن ينالنى أي سوء أو أذى وممارستي الأفكار الاشتراكية في الجامعة في العلن هي بمثابة بشرة خير له ولأهله. من هنا رأى أن ينقل هذه البشرى إلى أهله في شبرا كنوع من العزاء والتصبير. وأعتقد أنني شاركته بالفعل شعوره وشعورهم واعتبروني فرداً من أسرتهم.

كان لطفي وهو ما زال بعد طالباً في كلية الآداب بجامعة عين شمس قد وقع في حب « آمال » وهى فتاة من إحدى الأسر العريقة، كان حبهما سامياً وقوياً لم تؤثر فيه العواصف ولا المعتقلات. كانت آمال قوية بحبها وقاومت جميع محاولات الأهل والمعارف الذين سعوا إلى التفريق بينها وبين حبيبها الذي لا يرون أملا قريبا في عودته. تمسكت آمال بحبها وسلم أهلها برغبتها رغما عن إرادتهم. كانت آمال هي المكافأة الإلهية التي منحها الله للطفي حين صدر قرارا بالإفراج عنه هو وزملائه، ذلك عندما اشترط نيكيتا خروشوف رئيس جمهورية الاتحاد السوفيتي على جمال عبد الناصر أن يتم الإفراج على جميع الشيوعيين المعتقلين في جميع سجون مصر قبل حضوره الاحتفال بتحويل مجرى النيل. من هنا أدى تحويل مجرى النيل إلى تحويل مجرى حياة لطفي وآمال.

تمت دعوتي أنا الآخر لحضور حفل زفاف لطفي على آمال . كان حضوري هذا الحفل فرصة نادرة حيث تعرفت خلالها على بعض قيادات الحركة الشيوعية في مصر والذين رافقوا العريس في المعتقل وأفرج عنهم بناء على قرار نيكيتا خروشوف .

شارك في إحياء الاحتفال واحد منهم إنه الفنان محمد حمام الذي اكتشفت موهبته في الغناء أثناء فترة اعتقاله. حضر حفل الزفاف الدكاترة فؤاد مرسى وعبد العظيم أنيس وفايق فريد وسيد عويس والأساتذة فيليب جلاب، ومحفوظ عبد الرحمن. كان لي الحظ أن أتعرف وأتحدث مع كل هؤلاء المناضلين الشرفاء الذين يمثلون صفوة أهل الثقافة والفكر. استمرت علاقتي مع البعض منهم مع الدكتور عويس رائد علم الاجتماع في مصر والذي أهداني كتابه « رسائل إلى الإمام الشافعي »، استمرت كذلك علاقتي مع عالم الاقتصاد المرموق الأستاذ الدكتور فؤاد المرسى الذي جمعتني به فيما بعد بعض اللقاءات في اللجنة المصرية للتضامن. كنت استمتع بمتابعة قراءة عمود الأستاذ فيليب جلاب « دبابيس » بجريدة الأهالي كما كنت أتابع أخبار ومقالات عالم الرياضيات الأستاذ الدكتور عبد العظيم أنيس الذي سوف يرد ذكره في جزء لاحق من هذا الكتاب . وما زلت أتحين الفرصة للقاء الأستاذ الدكتور فايق فريد أطال الله في عمره. وأعتز باستمرار علاقتي إلى الآن مع الكاتب الكبير والمرموق محفوظ عبد الرحمن .

استأنف لطفي فطيم بعد أن هدأ سره بزواجه من حبيبة عمره دراسته في قسم علم النفس والفلسفة بكلية الآداب بجامعة عين شمس، وكان تلميذًا للأستاذ الدكتور فؤاد ذكريا . كان لطفي فطيم يدعوني من حين لآخر لزيارته في منزله العامر وأصبحت علاقتي بعائلة فطيم من خلاله هو بعد أن كانت من خلال تلميذي منعم حيث كنت أنا ولطفي متقاربين في السن والتفكير . توفى لطفي فطيم وكثيراً ما

أفتقده وأفتقد تلميذي منعم الذي كان السبب في تعرفي على هذه الباقة من المناضلين من أهل الثقافة والفكر .

ثقافة قبول الآخر:

كانت ولا زالت تربطني العلاقات ببعض الشيوعيين والإخوان المسلمين والمسيحيين. كان للأسف من يراني مع أصدقائي من الشيوعيين يعتقد إنني منهم ولا يكتفي بذلك بل يعمل على نشر رأيه هذا بين معارفه وزملائه . كان يحدث نفس الشيء في حالة مشاهدتي مع أصدقائي من الإخوان المسلمين. كان تعليقي في الحالتين إن ذلك شرف لا أدعية. كانت الحركة الشيوعية خارج مصر وداخلها تعاني من الانقسامات بسبب اختلافات غير جوهرية. كان يحدث نفس الشيء بين المنتمين إلى التيار الإسلامي أو التيار المسيحي. كان كل فصيل لا يطيق الاختلاف مع الفصيل الآخر رغم أنهم جميعا يرددون الجملة المشهورة « إن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية » كنت أطبق في حياتي هذه الجملة عمليا وتمكنت من الاحتفاظ بالود مع كل زملائي الذين خالفوني في الرأي وكنت دائما أردد على مسامعهم قول فولتير إبان الثورة الفرنسية : « إني أخالفك الرأي لكنى على استعداد بأن أضحى بحياتي في سبيل أن تقول رأيك » كان خلافي مع الشيوعيين جوهريا ورغم ذلك احتفظت بصداقتهم فأنا أرفض كل أشكال الديكتاتورية فما بالك بديكتاتورية البروليتاريا التي يعتمد عليها نظامهم . كنت أختلف معهم لاعتقادهم بأن الدين أفيون للشعوب ذلك لأنني أرى أن الدين هو أقصر الطرق وأيسرها نحو الاستقامة وإتمام مكارم الأخلاق كما أنني أرى أن كافة العقائد التي تصر على نفى الأخر هي الأولى بأن توصف بأنها أفيون الشعوب أليست النازية على سبيل المثال هي الأجدر بهذا الوصف ؟! .

شهدت القرون الوسطى فى أوروبا العديد من الحركات التى تعتمد على نفى الآخر. كان كل منها يمثل بالآخر ويسعى إلى القضاء عليه. كان ذلك يحدث في أوروبا في الوقت الذى كان فيه الإسلام يرفع راية التسامح ويرحب بالآخر، ولا أدل على ذلك من ترحيب المسلمين في بلادهم باليهود الفارين من الاضطهاد الذي تعرضوا له فى أوروبا وعلى وجه الخصوص في أسبانيا. غير إننا نجد أن المسلمين حاليا قد بدلوا مواقعهم مع الدول الغربية ذلك عندما انغلقوا على أنفسهم وقفلوا باب الاجتهاد بالضبة والمفتاح على عقولهم . هذا وفى الوقت الذى نرى فيه الحركة الشيوعية العالمية قد غيرت موقفها من الدين ووافقت على قرار تولياتى سكرتيرعام الحزب الشيوعي فى إيطاليا بعدم وجود تعارض بين اعتناق الشيوعية واعتناق الدين وأدانوا كذلك اغتيال الزعيم الشيوعي البارزليون تروتسكى فى منفاه الاختياري فى المكسيك لاختلافه فى الرأي مع جوزيف ستالين سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفيتي. وأيضا فى الوقت الذي نجد فيه مجلس الكرادلة في روما يجتمع من أجل مناقشة اقتراح قدمه أحد أعضائه يرى فيه ضرورة إلغاء فكرة الجنة والنار فى الديانة المسيحية حيث أن هذه الفكرة من وجهة نظره قد أدت إلى ابتعاد الشباب عن الكنيسة واجتمع المجلس وناقش الاقتراح ورفضه دون أن يمس الكاردينال مقدم الاقتراح أى أذى، لم يفصلوه من مجلسهم ولم يسيئوا إليه بل ربما يكونون قد شكروه لحرصه على نشر المسيحية بين الشباب هذا فى الوقت الذي نجد فيه بعض القيادات المحسوبة على الإسلام فى مصر تقود الحملات لتكفير أئمة الثقافة والفكر من أمثال الدكتور طه حسين وعلى عبد الرازق ونجيب محفوظ وحامد أبو زيد ونوال السعداوي إلى آخره من حَملة راية التقدم والتغيير فى مصر. من هنا ترسخ إيماني بحرية الفكر التى أصبحت لي أملا أرجو أن يتحقق فى مصر ولكل المصريين.

الفصل الرابع

بوادر الانشقاق
وبداية الصراع
١٩٦٤-١٩٦٥

اجتماع مدير الجامعة بأعضاء هيئة التدريس مع بداية العام الدراسي :

كان الأستاذ الدكتور سليمان حزين قد اعتاد على عقد اجتماع مع بداية كل عام لجميع أعضاء هيئة التدريس بالجامعة. كان يستمع سيادته في هذا الاجتماع إلى آرائهم واقتراحاتهم وطلباتهم. كان البعض للأسف يتحين هذا الفرصة للتقرب من مدير الجامعة ذلك بأن يقوم بالتلصص على زملائه الذين يفكرون في الحديث وتقديم الطلبات إلى مدير الجامعة. كان هؤلاء البصاصون يعدون العدة لإجهاض مقترحاتهم ومصادرة مطالبهم. كانوا يعتقدون في أنهم عندما يتطوعون بالقيام بهذا العمل يكونون قد خدموا مدير الجامعة ويصبحوا بذلك عنده من أهل الحظوة. نما إلى علم أحدهم وهو أستاذ كبير بكلية الهندسة بأن زميله الأستاذ الدكتور عبد الوهاب إسماعيل الأستاذ بقسم الهندسة الكهربائية سوف يتحدث في الاجتماع وسوف يقترح أن تشترك الجامعة في الدوريات العلمية العالمية. فما كان منه إلا أن أحضر معه في الاجتماع عدداً من المراجع ليرد بها على طلب الدكتور عبد الوهاب إسماعيل، ويثبت بذلك لمدير الجامعة سعة إطلاعه وعدم الحاجة إلى الاشتراك في الدوريات العالمية. قام الدكتور عبد الوهاب إسماعيل وعرض وجهة نظره وأكد على ضرورة اشتراك الجامعة في الدوريات العلمية العالمية عندئذ قام له زميله وتصدى له ملوحاً ببعض المراجع التي أحضرها معه ظناً منه أنه سوف يفحمه ويمنعه من تحقيق رغبته. اعتقد الزميل الهمام أنه يكون بذلك قد قدم خدمة لمدير الجامعة يستحق عليها الثناء والتقدير. غير أن الدكتور عبد الوهاب إسماعيل قد فاجأ الجميع وأطاح بالابتسامة البلهاء التي كست وجه زميله عندما قال بأعلى صوته (أقسم بالله أن لو «أينشتين» جاء هنا لكان مصيره هو نفس مصير الأستاذ.....) ضجت القاعة بالضحك وثار الأستاذ لكرامته حيث شعر باللهجة

التهكمية التي جاءت على لسان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب إسماعيل. انفض الاجتماع وكانت نتيجته أن أصبحت العبارة التي قالها عبد الوهاب إسماعيل عن زميله تتردد في كلية الهندسة، وربما حتى الآن. هذا وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن هذا الزميل الهمام أصبح فيما بعد عميداً لكلية الهندسة وتم نقل الدكتور عبد الوهاب إسماعيل الحاصل على درجة الدكتوراه في الرادار من أرقى جامعات سويسرا إلى ديوان عام وزارة التعليم العالي. هكذا تأكدت بعد عام واحد من عودتي بأن قانون العملة أصبح يطبق في مصر على أصحاب المؤهلات العالية. ويبدو أن السياسة المعتمدة عند اختيار شاغلي المناصب العليا أصبحت : المواطن الرديء يحل محل المواطن الصالح .

القاهرة :

كانت إقامتي في بداية حياتي العملية موزعة بين الإسكندرية وأسيوط. كان قلبي في الإسكندرية وعقلي في أسيوط. تبدلت حياتي بعد العام الأول وأصبحت القاهرة هي المركز الرئيسي حيث اجتمع قلبي وعقلي معاً. كنت في كل مرة أذهب فيها إلى الإسكندرية وكذلك عند عودتي أتوقف في القاهرة . كنت أجد فيها بعضاً مما افتقدته في موسكو. كنت أتابع حفلات الأوبرا والحركة المسرحية التي كانت خلال الستينيات في أوج عظمتها. تعرفت في هذه الفترة بالأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد والتي أسرتني بكرمها ودعتني إلى منزلها وقدمتني إلى أفراد أسرتها. كانت كريمة في غاية الكرم ورقيقة في غاية الرقة ومحبه لمصر ولشعبها إلى حد القداسة. كنت وأنا أجلس في محرابها أشعر كأنني ومصر كيان واحد هكذا يكون شعور الإنسان عندما يقترب منها وينال شرف زيارتها والجلوس معها والاستماع إليها. لبت دعوتي فيما بعد لزيارتي في أسيوط وسوف أتناول هذه الزيارة بالتفصيل في

فصل آخر .

تعرفت خلال هذه الفترة أيضا بالكاتبة الكبيرة أبكار السقاف وشقيقتها الفنانة ضياء، والذي قدمني لهما صديقي الدكتورعبد المحسن صالح أستاذ البيئة بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية. كانت أبكار من تلامذة الكاتب الكبير عباس العقاد وأهدتني كتابها تاريخ بنى إسرائيل. كانت رحمها الله صاحبة رأى وفكر مستنير ومتميز ولها كتاب في غاية الأهمية قدمت فيه دراسة مستفيضة عن المقارنة بين الأديان. كنت في نفس الوقت مستمراً في تنفيذ البرنامج الذي وضعته لزيارات المصانع والتي كانت تقع معظمها في مناطق قريبة من القاهرة ، في حلوان والمعادى وشبرا ومسترد. بدأ اهتمامي في هذه الفترة باستخدام الطاقة الشمسية والاستفادة منها كمصدر نظيف ومتجدد للطاقة. تطلب هذا الأمر منى زيارة هيئة الأرصاد للحصول على الإحصائيات الدالة على عدد ساعات سطوع الشمس خلال العام في مختلف أنحاء مصر. كنت أداوم على زيارة زملائي في القاهرة الذين عادوا تباعاً من الاتحاد السوفيتي والتحقوا بالعمل في جامعات القاهرة وعين شمس والمركز القومي للبحوث ومصلحة الكيمياء .

لقائي مع الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل:

أثناء سفري من القاهرة إلى الإسكندرية بالقطار تصادف أن كان الجالس بجواري هو الأستاذ الكبيرمحمد حسنين هيكل. كانت شهرته في ذلك الوقت تسبقه أينما حل. وكانت شخصيته قد ملأت عليَّ قلبي وعقلي. تبادلنا التحية والحديث. عبرت له بالطبع عن إعجابي بمقالاته التي كانت تنشر في أهرام الجمعة بعنوان «بصراحة». شجعني على استمراري في الحديث . كان يصغي لحديثي بشغف كبير تملؤه الرغبة والتطلع إلى معرفة المزيد عن هذا الجيل. رأى إنني قد أكون أحد نماذج

هذا الجيل الذي من المفترض أن تعقد الثورة عليهم الآمال في تحقيق النمو والازدهار والاستمرار. أطلعته في حديثي على بعض المتناقضات التي صادفتني منذ عودتي من الخارج، عرضت عليه رغبتي في كتابة تجربتي على هيئة مقالات ينشرها الأهرام واخترت عنوانها « الصراع بين القديم والجديد في البحث العلمي في مصر » أكدت له على استعدادي دفع تكاليف النشر. استوقفني مبتسماً ومؤكداً لي إن كل مقالة تنشر في الأهرام يدفع الأهرام لصاحبها أجراً وليس العكس. اقترح على أن أقوم بزيارته فور عودته من رحلته التي سوف يصاحب فيها الرئيس جمال عبد الناصر إلى السعودية وأعطاني قبل أن نفترق تليفوناته في القاهرة. كانت سعادتي بهذا اللقاء كبيرة. بدأت بعدها مباشرة ترتيب أفكاري التي سوف أتناولها في المقالات التي وعدته بها ووعدني بنشرها في صفحة الرأي. اتصلت بسيادته بعد عودته ورحب بمقابلتي. كان الدكتور سامي عزيز وقتها يقوم بأعمال مدير مكتبه نظراً لغياب مديرة مكتبه السيدة نوال المحلاوى.

رحب بي الدكتور سامي عزيز، وقابلت الأستاذ هيكل هذه المرة في مكتبه بمقر الأهرام القديم في شارع مظلوم. اصطحبني سيادته إلى قسم المعلومات بالأهرام وقدمني لرئيسه الأستاذ صلاح جلال. وأصبحت بعد ذلك زبوناً دائماً على قسم المعلومات بجريدة الأهرام. كان الموضوع الذي شرعت الكتابة فيه يتطلب الرجوع إلى الطبعات القديمة للأهرام، والغوص في تاريخ الحركة العلمية في مصر وتاريخ البعثات منذ أيام محمد على باشا وحتى الآن. قابلت سيادته مرة أخرى وعرضت عليه رؤوس المواضيع التي أنوي الكتابة فيها، كنت ألمس تشجيعه لي على الاستمرار في الكتابة، وفوجئت مرة لدي خروجي من مكتبه بالدكتور سامي عزيز يسلمني شيكاً بمبلغ ستين جنيهاً مقابل خمسة مقالات في صفحة الرأي. لم أكن أتصور أن

يصرف لي أجراً عن المقالات الخمسة مقدماً وفور اتفاقي مع الأستاذ هيكل على كتابتها. أدى ذلك إلى زيادة حماسي وحرصي على الانتهاء منها وتسليمها لسيادته في أقصر وقت. كان الأستاذ لطفي الخولي في ذلك الوقت مشرفاً على صفحة الرأي. وعلمت من الأستاذ هيكل أن المقالات قد سلمت له لنشرها في صفحته التي يشرف عليها. كنت أعاني من الحرج بسبب متابعتي التي وصلت إلى حد الإلحاح. وشعرت أنني كنت أفضل لو وافق الأستاذ هيكل على اقتراحي بأن أقوم أنا بالدفع وليس الأهرام لذا وجدت نفسي مضطراً لتوضيح الأمر للأستاذ لطفي الخولى بأنني أتابع نشر هذه المقالات نظراً لأهمية هذا الموضوع بالنسبة لي وليس بهدف الحصول على أجر النشر حيث إنني قد تسلمته مقدماً. لم أستمر بعد ذلك في متابعة الموضوع بسبب سفري إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولم أحاول الاتصال بالأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل الذي كان إعجابي به ومازال يزداد يوماً بعد يوم وأكن له كل الحب والتقدير وأدعو الله أن يمد لنا فى عمره وأن يستمر في عطائه لنستزيد من فكره وعلمه وأدبه وثقافته. إن أمثال محمد حسنين هيكل لا يتكررون وأشعر حتى الآن بسعادة غامرة لأنني التقيت به وأشعر بفخر لأنني تحدثت معه وحاورته وأنه أصغى إلى ومنحنى فرصة الإبحار في تاريخ الحركة العلمية والوطنية في مصر .

شعبة الأفران الصناعية بقسم الهندسة الميكانيكية :

قرر قسم الهندسة الميكانيكية بالكلية افتتاح شعبة للأفران الصناعية لطلاب البكالوريوس. لم يكن لديهم فى قسم الهندسة الميكانيكية من يستطيع التدريس للطلاب أو الإشراف على مشروع تخرجهم. فوجئت برئيس قسم الهندسة الميكانيكية يتصل بي ويرجوني أن أساعدهم في هذا المأزق بأن أتولى مسؤولية التدريس والإشراف على مشروع التخرج لطلاب شعبة الأفران الصناعية بالقسم.

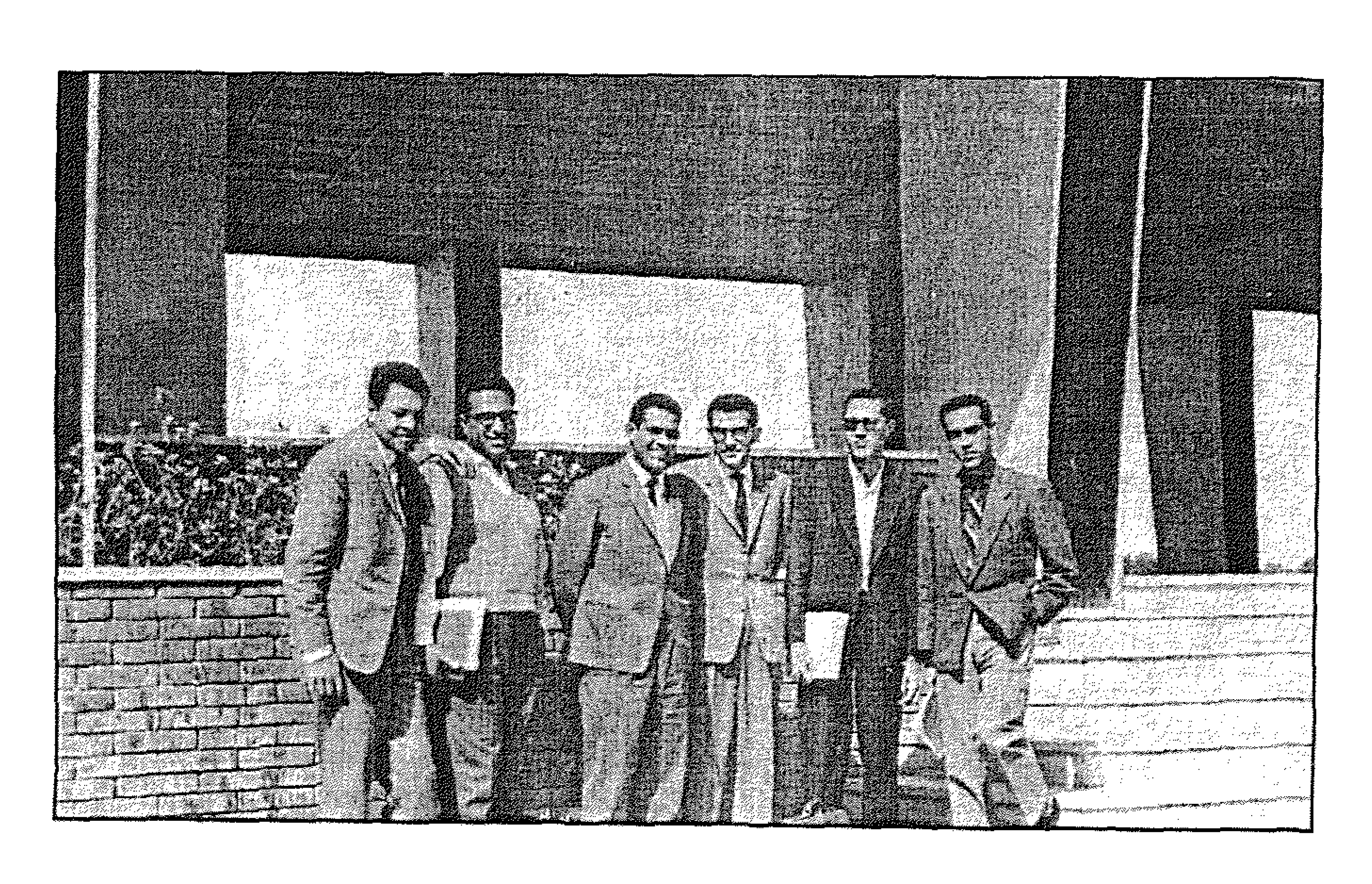
عندما اقترحوا فى قسم الهندسة الميكانيكية فتح هذه الشعبة تصوروا آنذاك أن من يقوم بتدريس مقرر انتقال الحرارة يمكنه أن يتولى هذه المسؤولية. غير أنهم فوجئوا بأن الأفران الصناعية هي أحد أقسام مصانع الحديد والصلب وبالتالي فإن الأقرب إلى تدريسها وتولىِّ مسؤولية هذه الشعبة هو العبد لله المتخصص الوحيد في مصانع الحديد والصلب في الكلية. لم أرد طلب قسم الهندسة الميكانيكية ووافقت على تحمل مسؤولية التدريس لطلابهم والإشراف على مشروعهم بالإضافة إلى الأعباء التدريسية الأخرى التي أقوم بها وهى كما سبق أن ذكرت مقرر هندسة الفلزات لطلاب أقسام التعدين والميكانيكا والكهرباء بالإضافة إلى بعض المقررات لطلاب الكيمياء التطبيقية بكلية العلوم.



صورة مع طلاب بكالوريوس العلوم في الكيمياء التطبيقية ١٩٦٤

غير أنني عندما وافقت على تحمل هذه المسؤولية رأيت ضرورة وضع ثلاثة شروط لكي أقبلها أول هذه الشروط كان عدم تدخل قسم الهندسة الميكانيكية في

الطريقة التي أراها مناسبة لإعداد الطلاب. وثانيهما موافقة القسم على قضاء الطلاب فترة تدريب كاملة في مصانع الحديد والصلب ومصانع الحراريات خلال الدراسة، وثالثها الموافقة على ندب من أختاره من بين العاملين بمصنع الحديد والصلب للإشراف على تدريب الطلاب في المصنع . استجاب قسم الهندسة الميكانيكية لجميع الشروط وقمت باختيار موضوعٍ في غاية الأهمية يصلح ليكون مشروع التخرج للطلاب. كانت وزارة الصناعة في ذلك الوقت تفكر جدياً في إجراء توسعات كبيرة في مصنع الحديد والصلب حتى يصل إنتاجه إلى ١,٧٥٠ مليون طن سنوياً من الصلب. قررت أن أترجم رغبة وطموحات وزارة الصناعة واخترت أن يكون مشروع التخرج لطلاب شعبة الأفران الصناعية لقسم الهندسة الميكانيكية بجامعة أسيوط، هو توسيع مصنع الحديد والصلب بحلوان ليصل إنتاجه إلى ١,٧٥٠ طن صلب في العام .



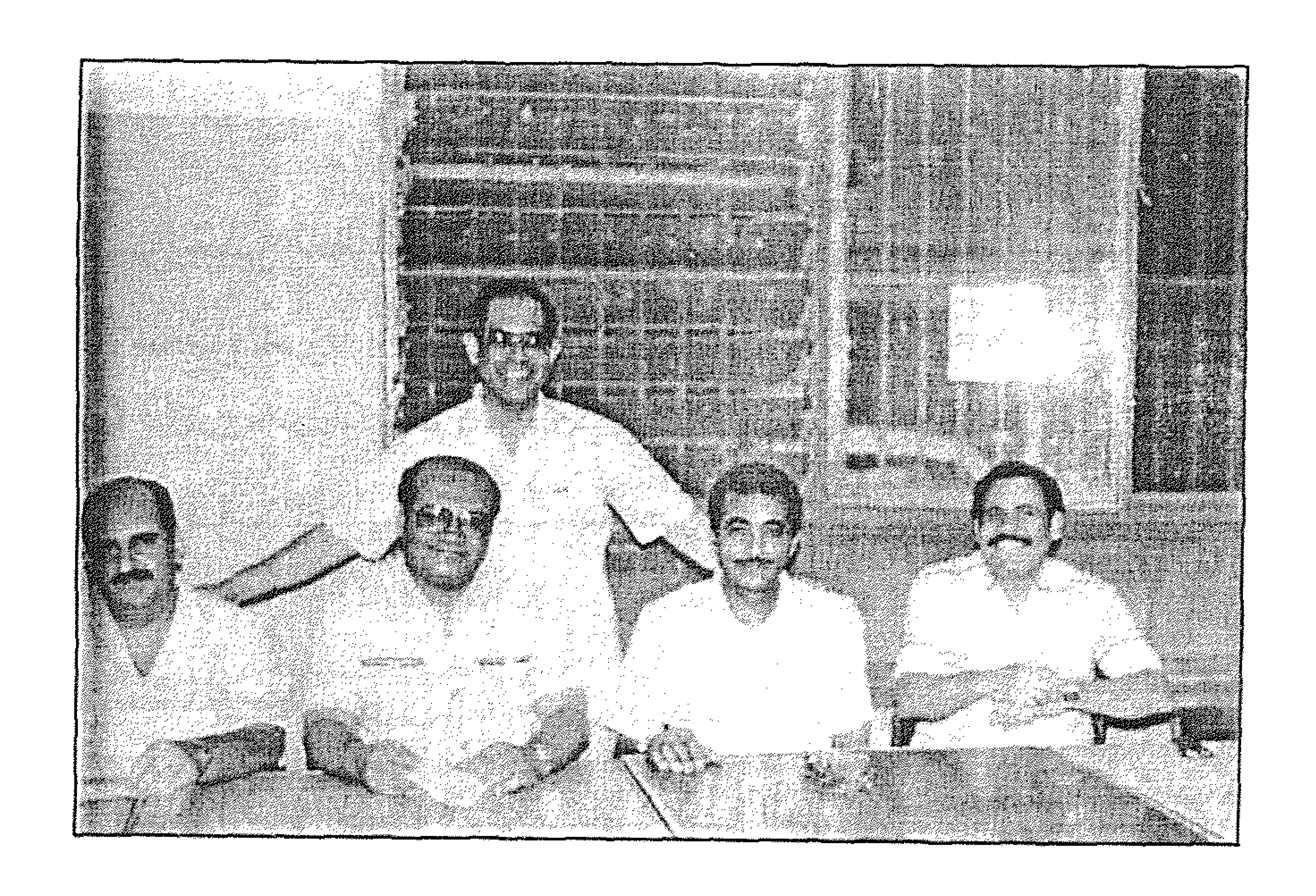
صورة مع طلاب شعبة الأفران الصناعية

اكتشاف خام حديد الواحات البحرية :

يعتبر خام حديد أسوان الذي حظى بالغناء والتهليل من الخامات متوسطة الجودة من حيث نسبة الحديد واحتوائه على نسبة مرتفعة من الفوسفور. كما أن المهندسين القائمين على المناجم كانوا بعيدين كل البعد عن أسلوب التنجيم السليم في التعامل مع الخام. كانوا يتعمدون حصد الخام من المناطق الغنية ويتركون المناطق الفقيرة دون استغلال الأمر الذي أدى إلى نضوب الخام الغنى ولم يتبق منه في المناجم سوى الخام الفقير الذي لا يصلح للاستخدام في الأفران العالية بمصنع الحديد والصلب في حلوان. من هنا أصبح لزاماً على القائمين على المصنع البحث عن مصدر آخر لخام الحديد حتى يستمر المصنع في العمل والإنتاج. كما استنفرت جميع أجهزة الدولة ذات العلاقة بالموضوع وأخذت تبحث عن مصدر آخر لخام الحديد حتى لا يتوقف المصنع عن العمل. كانت هيئة المساحة الجيولوجية هي أهم الجهات التي اهتمت بهذا الموضوع، وأرسلت بعثتها الاستكشافية في جميع أنحاء مصر للبحث عن خام حديد تناسب مواصفاته متطلبات الأفران العالية في مصنع الحديد والصلب. كانت البعثة التي سافرت إلى الواحات البحرية واستقرت فيها هي أكثر البعثات حظاً من غيرها وكان الجيولوجي عبده البسيونى أحد أفراد هذه البعثة هو الذي اكتشف خام الحديد في منطقة الجديدة التي أنقذت مصنع الحديد والصلب وأصبحت منذ نهاية الستينيات حتى الآن هي المصدر الرئيسي والوحيد لخام الحديد اللازم لتشغيل الأفران العالية التي يعتمد عليها تشغيل باقي أقسام المصنع. لم يكن خام حديد الواحات البحرية من الخامات الغنية، وكان يحتوى هو الآخر على بعض الشوائب أخطرها النسبة المرتفعة نسبياً من الملح والمنجنيز، لكن المثل يقول حمارتك العارجة .... كان الحل البديل لمواجهة مشكلة نضوب خام أسوان هو اللجوء

إلى الاستيراد وهو ما يمكن أن يؤدى هو الآخر إلى إغلاق المصنع.

هذا ومن الجدير بالذكر أن ما قام به الجيولوجي عبده البسيونى والذي أدى إلى إنقاذ مصنع الحديد والصلب من التوقف أدى أيضاً إلى مجازاته تأديبياً وخصم خمسة عشر يوماً من راتبه حيث أنه كان قد تجاوز في اكتشافه الإجراءات المتبعة في هذا الشأن ذلك عندما قام بجميع خطوات البحث دون علم رؤسائه. أرسلت وزارة الصناعة عينات كبيرة من خام حديد الواحات البحرية إلى الاتحاد السوفيتي لتجرى عليها الدراسات اللازمة قبل إقرار استخدامها في الأفران العالية في مصر. وبادرت بدوري وحصلت على بعض العينات لتقييمها أنا الآخر في معامل قسم هندسة التعدين في أسيوط.



مع معيدي قسم هندسة التعدين ١٩٦٥



مع العاملين بقسم هندسة التعدين ١٩٦٥م

كان من حسن الحظ أنه قد تم تعيين معيداً ثانياً في القسم في هندسة الفلزات وقام بالتسجيل لدرجة الماجستير تحت إشرافي وحددت له نقطة بحثه لتخدم هذه الدراسة . كانت اختياراتي عند التفكير في نقاط البحث في ذلك الوقت تنحصر في تصنيع الخامات المصرية وفى استفادة مصر بما حباها به الله من مصادر للطاقة المتجددة .

كشك الموسيقى :

أذكر تلك الأيام الجميلة التي قضيتها في كلية العلوم بجامعة الإسكندرية وأذكر حديثنا مع العالم الكبير والكاتب العالمي دكتور يوسف عز الدين عيسى. أذكر متابعتنا لحديثه ومناقشة أعماله الأدبية ومتابعة برنامج الموسيقى الكلاسيكية الذي يقدمه الأستاذ الدكتور حسين فوزي أستاذ علوم البحار في البرنامج الثاني الذي شاهد

بداية الكاتب العبقري بهاء طاهر. ألهمني ذلك بأهمية الدور الذي يجب على أستاذ الجامعة القيام به تجاه طلابه فقررت الاشتراك مع عدد من المعيدين من مختلف الكليات من المتذوقين للموسيقى الكلاسيكية في تأسيس ما أطلقنا عليه مجازاً كشك الموسيقى كنا نجتمع في إحدى قاعات الجامعة القديمة، ويحضر معنا من يرغب من الطلاب لنستمع إلى أشهر المقطوعات الموسيقية وأقربها إلى تذوق المصريين مثل شهر زاد والدانوب الأزرق وباليه سبارتاكوس ... إلى آخره من المقطوعات الكلاسيكية الخفيفة والتي أصبحت بفضل البرنامج الثاني مألوفة ومستساغة لدى الغالبية من المصريين .

اتحاد ألعاب القوى بمحافظة أسيوط :

أدت علاقتي بمديرية الشباب وإشرافي على منتخب الجامعة في ألعاب القوى وممارستي للعبة في نفس الوقت وعلاقتي بمختلف الأندية في أسيوط إلى ترشيحي وكيلاً لاتحاد ألعاب القوى لمنطقة أسيوط.

الاتحاد المصرى لألعاب القوى للهواة
منطقة أسيوط

البطولة العامة السنوية لمحافظة اسيوط فى العاب القوى
تحت رعاية
السيد / محمد سعد الدين زايد محافظ اسيوط

يتشرف وكيل المنطقة بدعوة سيادتكم لحضور البطولة العامة السنوية « رجال - آنسات » التى ستقام على ملاعب استاد الجامعة فى المواعيد التالية:
الخميس ٢٨ مارس سنة ١٩٦٥ من الساعة ٢٫٣٠ بعد الظهر تصفيات
الاثنين ٢٩ مارس سنة ١٩٦٥ من الساعة ٢٫٣٠ بعد الظهر تصفيات
ومن الساعة ٥٫٣٠ مساء العرض العام للفرق المشتركة ونهائى المسابقات وتوزيع الماداليات والجوائز ؟

وكيل المنطقه
دكتور / السيد عبد الرسول

بطاقة دعوة لحضور بطولة ألعاب القوى في محافظة أسيوط

كان العميد حلمي خشبة رئيسا للاتحاد.أصبحت مسئوليتي كبيرة بعد أن توليت هذا المنصب تجاه نشر اللعبة في مختلف المدارس والأندية . قمت خلال تلك الفترة بزيارة العديد من المدارس لحثهم على الاهتمام باللعبة أذكر زيارتي لمدرسة خديجة يوسف للبنات وكيف أن مديرة المدرسة قد انبهرت لحماسي ولإقدام شاب مثلي على زيارة المدرسة ومقابلة مديرتها التي كان يشاع عنها الجدية والصرامة. لم تتردد في الموافقة على اشتراك الطالبات تحت إشراف مدرسة التربية الرياضية بالمدرسة في مسابقات ألعاب القوى التي كنت بصدد تنظيمها في أسيوط .

بطولات ألعاب القوى في أسيوط :

وجهت الدعوة للعديد من الأندية والمدارس للاشتراك في البطولة المفتوحة لألعاب القوى في أسيوط اشترك في هذه المسابقة فريق من الجامعة وفرق من المدارس والأندية بأسيوط كان أشهر هذه الفرق فريق نادي الشبان المسيحيين والذي كانت المنافسة بينه وبين فريق الجامعة على أشدها . أقنعت الجمعية الشرعية الإسلامية في أسيوط أن تشترك هي الأخرى بفريق يمثلها في هذه البطولة وأعرتهم لهذا الغرض بعض اللاعبين من الجامعة لسد العجز في فريقهم. قمت في هذا الشأن بالتنسيق بالطبع مع مديرية الشباب ومجلس مدينة أسيوط ودعوت المحافظ سعد زايد لحضور مراسم افتتاح البطولة والذي تكرم وأمر فرقة موسيقى الشرطة بالحضور لعزف السلام الجمهوري حضر حفل الافتتاح الأستاذ الدكتور مدير الجامعة واللواء نايل شوكت الجمال رئيس مجلس مدينة أسيوط. أصبحت قائماً بأعمال رئيس الاتحاد نتيجة إصرار العميد حلمي خشبة على الاستقالة من رئاسته دون إبداء أي أسباب رغم إلحاحي ورجائي له بالعدول عنها. تم عرض موضوع الاستقالة على مجلس إدارة اتحاد اللعبة في القاهرة والذي كان يرأسه في ذاك الوقت

الأستاذ عادل زين وهو أحد أبطال اللعبة السابقين، ويشغل منصب مدير مكتب وزير الشباب طلعت خيري. كان عادل زين أثناء الاجتماع يشير من طرف خفي بمكانته لا بصفته رئيساً للاتحاد إنما بصفته مديراً لمكتب طلعت خيري. اعتمد المجلس قيامي برئاسة اتحاد ألعاب القوى بأسيوط وداومت على تنظيم المسابقات والبطولات على مستوى المحافظة ونشر اللعبة في مختلف المدارس والأندية والجمعيات .

لجوء فيصل عبد القادر عودة إلى المخابرات المركزية الأمريكية والعمل تحت رايتها:

نشرت جريدة الأهرام في صحفتها الأولى خلال شهر يناير ٦٥ خبراً جاء فيه على لسان أحد قيادات المخابرات المركزية إنهم قد حققوا انتصارا على المخابرات المصرية لأنهم قد تمكنوا من استقطاب الرجل الثاني في المخابرات المصرية الذي أصبح يعمل الآن معهم. استطردت جريدة الأهرام وذكرت فى نفس الخبر وعلى لسان أحد المسؤولين بالمخابرات المصرية ما يؤكد على أن الشخص الذي تدعى المخابرات الأمريكية بأنه الرجل الثاني في المخابرات المصرية ليس سوى عميل صغير يدعى فيصل عبد القادر عودة.وأن فيصل هذا لا هو الرجل الثاني ولا يحزنون وليس سوى مدرس في إحدى المدارس كانت ترسله المخابرات المصرية في إعارات إلى مختلف الدول العربية بغرض كشف قيادات الإخوان المسلمين الذين كان معظمهم أصدقاء وزملاء لوالده .

أحدث نشر هذا الخبر زلزالاً في تفكيري تذكرت على أثره ممانعة والدي لمشروع زواجي من إحدى كريمات الشهيد عبد القادر عودة، والتي كنت قد طلبت يدها بالفعل من أخيها خالد وندمت على تمسكي بقراري أمام رفض والدي. كنت أرى في قراري هذا بعض العزاء لهذه الأسرة التي ظلمت وفقدت أعز ما لديها غير أنني بعد أن قرأت هذا الخبر رأيت أن قراري سوف يفقد نبل مقصده وسوف يتم ترجمته

على أنه تأييد لما قام به فيصل بلجوئه إلى العمل مع المخابرات المركزية الأمريكية التي كنت أعتبرها الوجه الآخر للموساد. تزامن نشر هذا الخبر مع وفاة والدي في يناير سنة ١٩٦٥ وكأنه رحمة الله عليه أراد أن يساعدني بموته في الرجوع عن مشروع المصاهرة وعدم إتمامها. قمت بالاعتذار لخالد مبرراً اعتذاري بوفاة والدي ولكوني أصبحت بعد وفاته مسؤولاً عن أسرتي، وحدث ذلك على رصيف محطة أسيوط عندما كان يقوم خالد بتوصيلي لركوب القطار لحضور مراسم الدفن وأخذ العزاء في وفاة والدي في الإسكندرية .

زيارة عبد الناصر لأسيوط – تفاحة نيوتن :

لا أذكر بالتحديد موعد هذه الزيارة رغم أنها غيرت مجرى حياتي كل ما أتذكره إنها كانت في بدايات عام ٦٥ شملت زيارته لجامعة أسيوط كلية الهندسة انقطع التيار فجأة أثناء زيارته للكلية غير أن هذه الحادثة مرت مرور الكرام وتم إعادة التيار وكأن شيئاً لم يكن. استمرت زيارة الرئيس للكلية دون حدوث هرج أو مرج أو خروج عن مقتضيات الأمن. توجه سيادته بعدها مباشرة لحضور المؤتمر الجماهيري الذي تم إعداده في إستاد الجامعة. كان السرادق مكتظاً بالمواطنين الذين ملأتهم مثلى روح التضحية والفداء لقائد الثورة. لم تكن تحركات جمال عبد الناصر تحظى بترتيبات أمنية ضخمة كالتي نشاهدها اليوم رغم ما اتسم عصره بكافة أنواع الظلم والطغيان والتعذيب في السجون والمعتقلات . اعتمد عبد الناصر على حب الناس أكثر من اعتماده على رجال الأمن. هرعت كافة القيادات وراءه في منظر مثير للسخرية والضحك لحرصهم على أن يصلوا قبله رغم قصر المسافة بين الكلية والإستاد ليكونوا في انتظاره للترحيب به. أذكر أن أساتذة كلية الزراعة عندما قرروا مساهمتهم في إبداء الحفاوة بزيارة عبد الناصر للجامعة قاموا باستزراع الشعير في

بعض الأماكن نظراً لسرعة إنبات الشعير وحتى تخضر هذه المساحات قبل موعد الزيارة. نجح أساتذة الزراعة في تحقيق هدفهم باستزراع الشعير غير أنني لم أعرف مقدار المكافأة التي حصلوا عليها نتيجة قيامهم بهذا العمل الخارق. كنت حريصاً على حضور اللقاء الجماهيري وبالذات وأنهم كانوا قد خصصوا لأعضاء هيئة التدريس مكاناً مجاوراً للمقصورة التي يجلس فيها الرئيس ومعه المحافظ ومدير الجامعة وبعض القيادات الأخرى وكانت أول مرة لي أرى فيها عبد الناصر عن قرب، وكنت حتى هذه اللحظة على استعداد بأن أضحى بحياتي أكثر من مرة في سبيله إذا تطلب الأمر ذلك. كنت أمنى نفسي دائماً باليوم الذي يعرف فيه مقدار التشوه الذي حدث للثورة، ويقف بنفسه على ما يرتكب باسمها في البلاد من آثام . وبينما كانت تدور كل هذه الأفكار فى ذهني قام سعد زايد محافظ أسيوط – الذي كانت تربطني به علاقات سابقة من خلال رئاستي لاتحاد ألعاب القوى وحضوره المسابقات التي أقمتها ومن خلال رئاسته هو لاتحاد الدراجات – يخطب في الجماهير المحتشدة مرحباً بالرئيس. كان من ضمن ما قاله في خطبته أشياء غيرت مجرى حياتي كان تأثيرها على كتأثير التفاحة التي سقطت على رأس نيوتن ذلك عندما قارن سعد زايد فى خطبته بين عبد الناصر وبين كل الأنبياء واحدًا واحدا وبالطبع كانت نتيجة هذه المقارنة دائما في صالح عبد الناصر،...... ووصل الأمر إلى قيام واحد من بين الجمهور المحتشد في أرض الملعب وهتف « ذهب محمد جاء جمال». كنت متأكداً من شعوري بأن عبد الناصر سوف يمنعه من مواصلة الكلام والاسترسال في التملق المجوج، وحتى لا يكون ذلك بمثابة رسالة موجهة من قائد الثورة إلى الجماهير يحثهم فيها على النفاق والرياء. لم يقم عبد الناصر للأسف بما كنت أنشده منه. تأكدت بعد هذه الواقعة من أن عبد الناصر يعلم بمخازي نظام حكمه وبمقدار التشوه الذي حدث لثورته وأنه تقاعس عن عمل أي شيء لتصحيح سواء مسارها

أو تنقيتها من الأدران والخبث الذي ملأها بل الأدهى من ذلك أنه احتضن سعد زايد وقبله بعد الانتهاء من خطبته أمام الألوف المؤلفة من الجماهير، وبعد أيام قليلة قرأت خبراً عن حركة تنقلات بين المحافظين وكنت مازلت حسن النية بعبد الناصر فتصورت أنه قد يعزله غير أنه قام بترقيته وعينه محافظاً للقاهرة ثم وزيراً للإسكان. كان أثر هذه الواقعة على كأثر التفاحة التي سقطت على رأس نيوتن وأدى سقوطها إلى تغيير جوهري في علم الميكانيكا وإن ما حدث من سعد زايد وسكوت عبد الناصر عليه، بل تأييده له كان سبباً في قطع شعرة معاوية وأصبحت لا أرى أملا في هذه الثورة وأنه لابد لمصر من ثورة أخرى تنقذها من براثن هؤلاء الطغاة المرائين والمنافقين والفاسدين والمفسدين. هذا وإحقاقاً للحق فإن الأستاذ سامي شرف عندما تحدثت معه عن هذه الواقعة قال لي : إنه كان حاضراً لهذه الواقعة في أسيوط وسمع خطبة سعد زايد وأكد لي أن جمال عبد الناصر قام ببستفته على حد قوله قبل أن يعينه محافظاً للقاهرة، وعندما ألمحت له بأن عبد الناصر قام بترقيته وعينه محافظاً للقاهرة كانت إجابته على استطرادي في الحديث «أصله محافظ !»

رغم أن هذه الواقعة قد غيرت رأيي في عبد الناصر لكنها لم تقلل من حبي له لأنني كنت أرى فيه البطولة والطهارة والانحياز إلى الشعب ومعاداة الاستعمار والهيمنة .

استطاع عبد الناصر أن يدخل قلوب الملايين من العرب والمصريين كما أنه كان مهابا من كل من عرفه. من هنا توفر فيه كلا الشرطين لا شرطا واحداً التي تحدث عنهما ميكافيللى في كتابه الأمير. كان من الممكن أن ينقل عبد الناصر مصر والعالم العربي إلى مصاف الدول الديمقراطية غير أنه فضل أن يكون ديكتاتوراً. وبالتالي فإنه يتحمل نتيجة لذلك جميع مثالب نظامه ومن هنا اعتبرت عبد الناصر مسؤولاً عن ضياع الثورة بعد أن سلمها لمن لا يؤمنون بها .

هذا ومن الجدير بالذكر أن كثير من التفاح قد سقط على رؤوس مختلف العباد في مختلف الأماكن والأزمنة لكن نيوتن وحده هو الذي تأثر بسقوط التفاحة على رأسه وأحدث ما أحدث من تغيرات جوهرية في علم الميكانيكا. كذلك فإن الألوف المؤلفة في أسيوط قد استمعت إلى خطبة سعد زايد ولم يتأثروا بها غير أنني الوحيد من بينهم التي أدت هذه الخطبة إلى تغيير مجرى حياته. من هنا فإنني كل ما أتذكر هذه الواقعة أقول بيني وبين نفسي منك لله يا سعد زايد!.

نستنتج مما سبق أن الحكم على الأمور في حقبة عبد الناصر لم يستند على المرجعية الثورية رغم رفعهم في ذلك الوقت شعار الشرعية الثورية. كانت الشرعية الثورية من وجهة نظر حكومة الثورة هي ما يأتي على هوى عبد الناصر وبطانته. كانت هذه الحقبة تتميز بعدم تحديدها للحق الذي يستحقه المواطن، فكان المواطن أي مواطن إما أن يأخذ أكثر من حقه وإما أن يأخذ أقل من حقه. من هنا ذهب البعض إلى وصف هذه الحقبة بعصر المغلوبين انتشرت وقتها مقولة يا بخت من بات مغلوب ولا بات غالب.

التنظيم الطليعي :

داومت خلال هذه الفترة على قراءة مجلة الكاتب التي عبرت عن اليسار المصري. وبعد ظهور مجلة الطليعة عام ٦٥ برئاسة تحرير لطفي الخولى أصبح لدينا مجلتان يعبران عن اليسار كانت المقدمة التي يكتبها لطفي الخولى فى الطليعة تشير بوضوح إلى الدعوة إلى تأييد جمال عبد الناصر فى مختلف آرائه ومواقفه. الأمر الذي جعلني أسأل نفسي: ماذا لو أخطأ جمال عبد الناصر؟! لم يمض على تساؤلي هذا وقتا طويلا ليأتي من يزف لى نبأ اختياري عضواً فى التنظيم الطليعي، وعلى مستوى القاهرة. كان الذي زف لي هذا النبأ يتوقع منى أن أعبر له عن شكري وامتناني وأن

تنفرج أساريري بالفرح والحبور. غير إنني فاجأته بسؤالي واستفساري عن مهام عضو التنظيم الطليعي الذي أصبحت عضواً فيه. كانت إجابته على سؤالى فى منتهى الوضوح حيث قال إن مهمة عضو التنظيم الطليعي هى الدفاع عن فكر وآراء جمال عبد الناصر وهنا تذكرت السؤال الذي كان يلح على دائماً ولا أجد من أوجهه له وهو « ماذا لو أخطأ جمال عبد الناصر؟» كاد محدثي يجرى من أمامي عند سماعه سؤالى حتى لا يضبط متلبساً بسماعه هذا الكلام. انتهت علاقتي بمحدثي وانتهت ثقتي فى التنظيم الطليعي غير أنه من المدهش أن معظم زملائي في جامعة أسيوط ظلوا يعتقدون فى أنني عضو بارز فى هذا التنظيم ويعتبرون إنكاري لذلك إنما هو على سبيل التمويه وبناءً على التعليمات الصادرة فى هذا الشأن .

زيارة السفير البريطاني لجامعة أسيوط :

كان الأستاذ الدكتور سليمان حزين من المهتمين بمد جسور الصداقة والتعاون بين جامعة أسيوط والجامعات فى الخارج. قام سيادته في هذا الصدد بدعوة السفير البريطاني لزيارة جامعة أسيوط. كان من الطبيعي أن يدعو مدير الجامعة ضيفه للغذاء. وكان من الطبيعي أن يقام حفل الغذاء فى مقر نادى هيئة التدريس بالجامعة. كان مجلس إدارة النادي قد أتخذ قراراً مسبقاً بأن يتناول أعضاء هيئة التدريس الغذاء فى الطابق الأول بالنادي وأن يخصص الطابق الثاني للجلوس فقط وتعاطى المشروبات وعدم تقديم الوجبات فيه ، من هنا احتفظ الطابق الثاني برونقه ونظافته وفخامته، مما حدا بمدير الجامعة إلى التفكير فى إقامة حفل غذاء الضيف الكبير في هذا الطابق أي في الطابق الثاني من النادي .

قرر مجلس إدارة النادي عقد اجتماع طارئ قرر فيه عدم السماح للسفير البريطاني بتناول الغذاء في الطابق الثاني، وأكد في هذا الاجتماع على تمسكه بقراره بتخصيص

الطابق الأول لتقديم الوجبات. لم يكتف أعضاء مجلس الإدارة بذلك بل قاموا بإثارة أعضاء هيئة التدريس ضد مدير الجامعة وضيفه، وحولوا الموضوع إلى أزمة حقيقية. إلى هذا الحد وصل الأمر بأعضاء هيئة التدريس ، أخذتهم الجلالة وتصوروا أن موقفهم هذا ينبع من شعورهم المعادى لأحد رموز الاحتلال الممثل في السفير البريطاني. غير أنني استطعت في ظل هذه الهوجة أن أقف على الدوافع الحقيقية وراء موقف مجلس إدارة النادي والتي لم تكن سوى رغبتهم في الاستمرار في لعبة الكراسي الموسيقية التي سبق وأن أشرت إليها، كان أعضاء مجلس إدارة النادي من بين الذين يحلمون بأن يكونوا ضمن المقربين من مدير الجامعة ولما لم يتحقق لهم ذلك قرروا أن يستعرضوا قوتهم وسيطرتهم وكانت هذه المناسبة هي فرصتهم لإظهار ذلك. أي أن المعركة فى الأساس كانت بين فريقين من أعضاء هيئة التدريس كل منهما يرغب في التقرب إلى مدير الجامعة ، وحيث أن اللي سبق أكل النبق، قررت المجموعة الأخرى أن تتبع أسلوب بنا فيها لا اخفيها . وبكل أسف كانت سمعة مصر وجامعة أسيوط وأعضاء هيئة التدريس ضحايا هذه اللعبة .

بروتوكول التعاون بين كليات الهندسة بجامعات وسط الولايات المتحدة الأمريكية وهندسة أسيوط:

يعود الفضل في إبرام هذا البروتوكول إلى الأستاذ الدكتور سليمان حزين مدير الجامعة في ذاك الوقت. عَكَسَ هذا البروتوكول رغبة التعاون بين الأطراف وبالذات رغبة جامعة أسيوط في تطوير التعليم الهندسي فى مصر. تضمن البروتوكول العديد من البنود الضرورية لتطوير هندسة أسيوط، وأن يشمل هذا التطوير الطلاب والهيئة المعاونة وأعضاء هيئة التدريس والمعامل والمختبرات والمكتبة. أذكر من هذه البنود على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

ـ حضور بعض الأساتذة من كليات الهندسة المعنية من الولايات المتحدة كأساتذة زائرين إلى جامعة أسيوط للتدريس فى كلية الهندسة لمدة عام أو أكثر على أن يلتزم الجانب الأمريكي بدفع مرتباتهم وأجور سفرهم وتقوم جامعة أسيوط بتوفير السكن اللائق بهم .

– يزود الجانب الأمريكي هندسة أسيوط بأعداد كافية من المراجع والكتب والمجلات العلمية لحسن سير الأداء الجامعي للطلاب والمعيدين وأعضاء هيئة التدريس بالكلية .

ـ يقدم الجانب الأمريكي سنوياً خمس منح للمعيدين لاستكمال دراستهم فى الولايات المتحدة الأمريكية والبقاء إذا لزم الأمر حتى حصولهم على درجة الدكتوراه ويتحمل الجانب الأمريكي خلال هذه الفترة مرتباتهم ومصاريف دراستهم . على أن يتحمل الجانب المصري مصاريف انتقالهم من وإلى مصر.

ـ يقدم الجانب الأمريكي سنوياً خمس منح أستاذ زائر لأعضاء هيئة التدريس بالكلية ويلتزم الجانب الأمريكي بصرف راتب رمزي لهم خلال إقامتهم بالولايات المتحدة الأمريكية على أن يتحمل الجانب المصري أجور سفرهم من وإلى مصر .

ـ يقوم الجانب الأمريكي بتزويد الكلية ببعض الأجهزة اللازمة لتطوير معاملها ووضع وتنفيذ البرامج اللازمة لرفع مستوى الطلاب والهيئة المعاونة فى اللغة الإنجليزية .

كانت هذه هي أهم البنود الواردة في البروتوكول الذي تم إبرامه بين جامعة أسيوط وجامعات وسط الولايات المتحدة الأمريكية وأن أطرافه الحقيقيين هم كليات الهندسة في الجانبين ويتم تنفيذه مع بداية العام الدراسي ٦٥/ ٦٦. كانت هيئة المعونة الأمريكية في القاهرة هي الممثل الرسمي للجانب الأمريكي، وهى المنوط بها

الإشراف على تنفيذ بنود هذا البروتوكول، كما كانت جامعة أسيوط هي الممثل الرسمي للجانب المصري في هذا البروتوكول، ولا يطلب منها بناء على هذا البروتوكول سوى دفع مصاريف انتقال مرشحيها من وإلى أرض الوطن .

مشروع التخرج لطلاب شعبة الأفران الصناعية :

علمت برغبة القائمين على صناعة الحديد والصلب في إجراء بعض التوسعات في مصنع الحديد والصلب بحلوان. كانت شركة كروب فى ألمانيا الغربية هي التي أجرت كافة الدراسات الفنية والأعمال التنفيذية لإنشاء المصنع الحالي الذي كانت طاقته التصميمية في حدود ربع مليون طن صلب فى العام. عرض الاتحاد السوفيتي فى بداية الستينيات أن يقوم بعمل كافة الدراسات الفنية والأعمال التنفيذية اللازمة لتطوير وتوسيع المصنع ليصل إنتاجه إلى مليون وسبعمائة وخمسين ألف طن. أي أن يكون مقدار الزيادة فى إنتاج المصنع هي مليون ونصف طن صلب في العام. تم تشكيل لجنة تضم كبار العاملين في المصنع وعدد من ذوى الخبرة غير أنه لأمر ما أغفل المسؤولين في مصر الاستفادة من المتخصصين في هذه الصناعة ممن أنهوا دراستهم فى الاتحاد السوفيتي ويتقنون بالطبع اللغة الروسية. وللأسف سافرت اللجنة للتفاوض والتعاقد تنقصها بعض الخبرات المصرية المتاحة من حملة الدكتوراه في صناعة الحديد والصلب من الاتحاد السوفيتي. عرفت بأمر هذه اللجنة فيما بعد من أحد أعضائها الأستاذ الكبير حامد السنباوى الأستاذ بقسم المناجم بجامعة القاهرة والذي كان منتدباً للتدريس فى قسم التعدين بهندسة أسيوط . غير أنني قبل أن أعرف موضوع تشكيل اللجنة وسفرها وأهدافها كنت قد قررت نتيجة إحساسي بنبض صناعة الحديد والصلب فى مصر أن يكون مشروع التخرج لطلاب شعبة الأفران الصناعية بقسم الهندسة الميكانيكية بهندسة أسيوط هو نفسه مشروع

التوسعات المزمع إنشائها فى مصنع الحديد والصلب بحلوان كان عنوان مشروع الطلاب « نحو زيادة إنتاج مصنع الحديد والصلب بحلوان إلى مليون وسبعمائة وخمسين ألف طن فى العام » واكب ذلك اكتشاف خام حديد الواحات البحرية. من هنا كان خام حديد الواحات البحرية منطقة الجديدة هو الخام الذي روعي استخدامه فى الأفران الجديدة المزمع إنشاؤها بالمصنع . أشركت معى فى هذا المشروع المرحومين الدكتور أبو بكر مراد المدير الفني لمصنع الحديد والصلب والمهندس كليمان كبير مهندسي الأفران العالية فى ذاك الوقت. توصلنا من خلال الدراسة إلى تحديد الحجم المناسب للأفران العالية المطلوب إنشاؤها فى المصنع. تضمن المشروع كافة الرسومات التفصيلية للأفران بجميع أجزائها وملحقاتها مع حساب المدخلات والمخرجات وانتهت الدراسة إلى اختيار الأفران العالية بحجم ١٥٥٠ متر مكعب وهى من الأفران المستخدمة فى ذلك الوقت فى بعض مصانع الحديد والصلب بالاتحاد السوفيتي، الأمر الذي يعنى توفر الخبرات السوفيتية بالنسبة لإنشاء وتشغيل هذه الأفران. ويعنى كذلك وفرة ملحقاتها وقطع الغيار لها وكافة الأجهزة اللازمة للقياس ومتابعة العملية الإنتاجية. هذا ومن الجدير بالذكر أن الدراسة التي أجريت فى روسيا لهذا الغرض قامت هي الأخرى على أساس استخدام نفس خام حديد الواحات البحرية التي قام الطلاب باستخدامه فى حساباتهم غير أن الدراسة السوفيتية بكل أسف نظراً لظروف خاصة بهم، ونظراً لعجز المفاوض المصري انتهت إلى اختيار حجم الفرن ١٠٣٣ متر مكعب وهو أيضاً من بين أحجام الأفران المستخدمة فى بعض مصانع الحديد والصلب هناك غير أنه لم يعد مستخدماً فى ذاك الوقت نظراً لصغر حجمه، وعدم جدواه اقتصاديا. اعتمدت اللجنة المصرية بكل أسف نتائج الدراسة المقدمة من الجانب الروسي دون أن تبدى أي اهتمام بالدراسة التى قدمناها وكانت فى متناول أيديهم حيث تعمدت أن يشترك

معي كبار العاملين بمصنع الحديد والصلب بحلوان ويؤسفني أن أؤكد هنا أن مصنع الحديد والصلب بحلوان لم يحقق حتى الآن ما كان يصبو إليه من هذه التوسعات ولم تصل طاقته الإنتاجية فى أي وقت من الأوقات إلى الطاقة التصميمية التي وعدت الدراسة الروسية بها . ومازالت الطاقة الإنتاجية لمصنع الحديد والصلب حالياً فى حدود المليون طن وأؤكد هنا أن بناء الأفران الأكبر ذات الحجم ١٥٥٠ متر مكعب، كان سيؤدى حتما إلى تحقيق مصنع الحديد والصلب ما كان يصبو إليه وأن يصل إنتاجه إلى ما يزيد على المليون ونصف طن من الصلب فى العام .

مرة أخرى أعود إلى حديثي مع الدكتور حامد السنباوى رحمه الله الذي كان عضواً فى اللجنة المصرية التي سافرت إلى روسيا للتفاوض والتعاقد مع الجانب الروسي والذي أكد لي فى حديثه مدى افتقار أعضاء اللجنة إلى المعلومات الأساسية التي كان من الممكن أن تساعدهم فى التفاوض مع الجانب الروسي، الأمر الذي أدى إلى موافقتهم على كل البنود التى فرضت عليهم ، ترى هل فيه تهريج أكثر من كده ؟!



الفصل الخامس

احتدام الصراع والمعجزة
١٩٦٥-١٩٦٦

الأستاذ الدكتور سليمان حزين وزيراً للثقافة :

بدأ العام الدراسي بدون الاجتماع التقليدي الذي عودنا عليه مدير الجامعة مع بداية كل عام تغيب هذه المرة صاحب الدعوة حيث أصبح وزيراً للثقافة. خسرت جامعة أسيوط من أسسها، وكسبت وزارة الثقافة من يبنيها أصطحب الأستاذ الدكتور سليمان حزين معه إلى وزارة الثقافة عدداً من الموظفين الأكفاء أتذكر منهم الأستاذ حسين مهران الذي أصبح فيما بعد رئيساً لمؤسسة الثقافة الجماهيرية . ترك الأستاذ الدكتور سليمان حزين منصبه في جامعة أسيوط لكنه ترك فيها بصمته التي لن يمحوها الدهر. عاصرت بحكم عملي في بعض الجامعات العربية والمصرية عدداً من رؤساء الجامعات يزيد عددهم عن عشرة رؤساء لم أر بينهم من تصل قامته إلى نصف قامة الأستاذ الدكتور سليمان حزين. من هنا أرجو أن يأتى اليوم الذي يجتمع فيه مجلس جامعة أسيوط، ويقرر إطلاق اسم سليمان حزين على جامعته .

الأستاذ الدكتور حسين فهيم مديراً لجامعة أسيوط :

عندما تسلمت العمل في جامعة أسيوط كان الأستاذ الدكتور حسين فهيم عميداً لكلية العلوم ثم عين عام ٦٤ وكيلاً للجامعة فمديراً لها عام ٦٥ ثم انتقل في نفس العام الأستاذ الدكتورالتهامي عبد الرحمن موسى وكيل جامعة القاهرة إلى جامعة أسيوط وكيلاً لها ثم تم تعيين الأستاذ الدكتورعبد الوهاب البرلسى الذي وضع اللبنات الأولى لكليتي الطب والصيدلية هو الآخر وكيلاً للجامعة، وأذكر له معي موقفاً طريفاً حين شاهدني لأول مرة في الجامعة وفوجئت به يربت على كتفى ويسألني عن السنة التي أدرس فيها بالكلية، وأنقذني من هذا الموقف المعيد الذي كان يعمل معي المهندس أحمد نيازى والذي كان يكبرني فقط في الحجم وقدمني لسيادته كنا حين نلتقي نتذكر هذه الواقعة ونضحك .

التهامي عبد الرحمن موسى في أسيوط :

انتقل الأستاذ الدكتور التهامي عبد الرحمن موسى للعمل وكيلاً للجامعة بعد أن كان وكيلاً لجامعة القاهرة. كان ذلك مدعاة للجدل والتكهنات بين أعضاء هيئة التدريس بجامعة أسيوط. اعتقد البعض أنه نقل مغضوباً عليه بينما اعتقد الآخر إنه نقل ليصبح مديراً للجامعة بعد أن يبلغ الأستاذ الدكتور حسين فهيم سن التقاعد. من هنا بدأت لعبة الكراسي الموسيقية من جديد. كل من فاتته الفرصة في السابق يسعى بسرعة وقبل فوات الأوان إلى الانضمام للمجموعة الجديدة التي بدأت تلتف حول الدكتور التهامي عبد الرحمن موسى. كان التهامي أستاذاً مساعداً في قسم الحيوان بكلية العلوم بجامعة الإسكندرية عندما تم اختياره مستشاراً ثقافياً في موسكو عام ١٩٥٨ من هنا جاءت معرفة كل منا بالآخر – كنت أعلم عن علاقته بأسرة كمال الدين حسين والتي ربما كانت وراء شغلِهِ هذا المنصب الكبير – تمت ترقيته أستاذاً أثناء عمله في موسكو ثم عين وكيلاً لجامعة القاهرة، من هنا كان التنبؤ بشغله منصب مدير الجامعة منطقياً. أشار أثناء زيارته لكلية الهندسة إلى معرفتنا السابقة أيام كان مستشاراً ثقافياً في موسكو، وكان يستشهد في حديثه بي عندما يحتاج إلى تأكيد ما يقوله . سبب لي ذلك الكثير من الحرج وبالذات عندما وصلت لعبة الكراسي الموسيقية إلى ذروتها. جاءني بعدها الأستاذان عبد الحميد خليل وكمال العقاد معاً يطلبان ودي رغم أنهما في مقام أساتذتي. كانوا يطلبون نصيحتي في كيفية الوصول إلى دهاليز التهامي والاستئثار به دون غيرهم . أذكر إنني ذهبت في اليوم التالي إلى مكتب الدكتور التهامي لأمر يتعلق ببرنامج زياراتي للمصانع فوجدت على غير العادة اللمبة الحمراء مضاءة على بابه. لم يكن ذلك متبعاً من قبل في جامعة أسيوط . عودنا الدكتور سليمان حزين على أن مكتبه مفتوح للجميع في كل

الأوقات. أدهشني ما رأيته في مكتب الدكتور التهامي غير أن ما أذهلني بالفعل هو أنني فوجئت بعد طول الانتظار بالأستاذين اللذين كانا يطلبان نصيحتي قد نجحا بدونها عندما رأيتهم خارجين تكسو وجوههم الابتسامة والفرحة وبدت وقتها على وجهي الصدمة والحسرة. ساعدهم الدكتور التهامي فيما يسعون إليه ووضعهم على أول الطريق، وتبوأ أحدهم فيما بعد منصب وكيل الجامعة والآخر مديراً لإحدى الجامعات كان الدكتور التهامي بدوره هو الآخر مشتركاً في لعبة الكراسي الموسيقية على مستوى آخر بالطبع وقرر في الوقت المناسب أن ينتقل من مجموعة كمال الدين حسين إلى مجموعة المشير غير أنه وكما يقولون ما يقع إلا الشاطر وحيث أن الزمن غدار فكما راحت أيام كمال الدين حسين بدأت كذلك مجموعة المشير في الضعف والذبول، ولينتهي أمرها إلى الزوال. هكذا لم يكتب للتهامى أن يشغل منصب مدير جامعة أسيوط كما يتضح لنا فيما بعد .

محور أحمد كامل والبرلسى وماجد فخر :

تم تعيين أحمد كامل محافظاً لأسيوط بعد أن أصبح سعد زايد محافظاً للقاهرة كانت تربطه علاقة قوية مع كل من الدكتور ماجد فخر، الذي أصبح أميناً للدعوة والفكر في الاتحاد الاشتراكي في أسيوط والأستاذ الدكتور عبد الوهاب البرلسى الذي أصبح وكيلاً للجامعة. كانت لعبة الكراسي الموسيقية من نصيب الدكتور التهامي وحده، لأنه وحسب تقدير معظم المشتركين في اللعبة هو الذي كانت عليه العين. من هنا تفرغ الدكتور البرلسى لعمله الذي يجيده وواصل علاقته بأحمد كامل وماجد فخر، وجميعهم من ذوى العلاقات والاتصالات المهمة .

بداية تنفيذ البروتوكول :

قام الجانب الأمريكي من جهته بتنفيذ جميع بنود البروتوكول التي تخصه. حضر

بالفعل عدداً من الأساتذة الأمريكان إلى أسيوط، وقاموا بتدريس بعض المقررات لطلاب قسمي الميكانيكا والكهرباء. قاموا بتزويد الكلية بأعداد كبيرة من المراجع والكتب والدوريات. أصبحوا خلال فترة قصيرة من نسيج الكلية والأسرة الجامعية في أسيوط. حضر معهم بعض الخبراء في وضع برامج تدريس اللغة الإنجليزية للطلاب وأعضاء الهيئة المعاونة، لرفع درجة استيعابهم وبالذات وأن اللغة المعتمدة في التدريس في جميع كليات الهندسة في مصر هي اللغة الإنجليزية. جاء الدور على الجانب المصري أي على هندسة أسيوط لتقوم بدورها في تنفيذ البنود الخاصة بها فقامت بترشيح عدد خمسة معيدين للسفر للحصول على درجة الدكتوراه وترشيح خمسة من أعضاء هيئة تدريس للسفر كأساتذة زائرين لمدة عام ابتداء من العام الدراسي ٦٦/ ٦٧ . تم ترشيحي ضمن أعضاء هيئة التدريس للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية أستاذاً زائراً. كان الأساتذة الخمسة بالترتيب هم يحيى السيد ، نبيل مطش ، السيد عبد الرسول ، عوض صالح ، وجيه الدخاخني .

الرغبة في تشويه وهدم إنجازات الأستاذ الدكتور سليمان حزين :

أراد الدكتور التهامي أن يثبت أقدامه ليصبح المدير القادم للجامعة. جاء وصول الأستاذ الدكتور حسين فهيم مدير الجامعة إلى سن الستين إشارة له للانقضاض على هذا المنصب بالذات بعد أن أصبح بوصفه أقدم الوكيلين قائماً بأعمال مدير الجامعة وله كافة صلاحياته. من هنا بدأ تفكيره في تشويه تاريخ من سبقوه، لم يجد أفضل من مهاجمة البروتوكول الذي تم توقيعه في عهد الأستاذ الدكتور سليمان حزين. لم يتمكن بالطبع أن يهاجم بنود البروتوكول؛ لأنها كانت جميعها في صالح جامعة أسيوط. من هنا تفتق ذهنه على مهاجمة البروتوكول سياسياً ، وبالذات وأن

العلاقات المصرية السوفيتية كانت في سبيلها إلى الازدهار مرة أخرى. كان معسكر التهامي واعياً تماماً لهدفه، وكان إعلان تطبيق برنامج تدريس اللغة الإنجليزية للطلاب والهيئة المعاونة والذي تضمن حضور الأساتذة الأمريكان في بعض المحاضرات مع الطلبة للتعرف على مدي استخدام اللغة الإنجليزية في التدريس بمثابة إشارة البدء في تشويه البروتوكول والتشكيك في أهدافه. أشاعوا في هذا الصدد بأن أساتذة اللغة ليسوا سوى عملاء للمخابرات المركزية. لاقت هذه الإشاعة هوى في نفوس أغلب الأساتذة وبالذات أنهم لا يوافقون على الإطلاق على حضور أيٍّ من كان محاضراتهم بغرض تقييم مستوى لغتهم الإنجليزية في التدريس. عقد التهامي وبطانته عندئذ العزم على مواصلة العمل من أجل إلغاء البروتوكول أو تعطيل تنفيذه كأضعف الإيمان.

منظمة الشباب :

كان الطلاب القائمون على النشاط في الجامعة، ومنها النشاط السياسي في ذلك الوقت هم من طلابي كانوا يكنون لي كل الحب والتقدير، ومنحوني لقباً كبيراً لا أستحقه، « رائد الأمل». كانوا يصرون على إضافة هذا اللقب لاسمى عندما يقدمونني فى حفلاتهم غير آبهين باعتراضي. كانوا يتعمدون جلوسي في الصفوف الأولى المخصصة لكبار الزوار وقبل مقاعد العمداء . أدى هذا الأمر إلى بعض التكهنات منها إنني مرشح لشغل منصب كبير في منظمة الشباب. أدت هذه الإشاعة إلى أن عميد الكلية الذي لم يكن أبدا على وفاق معي أصبح يشير إلى في مختلف المناسبات بالبنان ويثني دائماً على آرائي ، سبحان الله !.

تأكدت هذه الإشاعة عندما طلب مقابلتي الأستاذ الدكتور ماجد فخر أمين الدعوة والفكر في الاتحاد الاشتراكي والمقرب من المحافظ. بدأ ماجد فخر حديثه

معي بتهنئتى على ترشيحي في منصب كبير في منظمة الشباب شكرته ورجوته أن ينقل شكري مع رجاء قبول اعتذاري. لم يكن قد مضى وقت طويل على رفضي عضوية التنظيم الطليعي .

اجتماع الاتحاد الاشتراكي في كلية الهندسة :

عقد الاتحاد الاشتراكي بالكلية اجتماعا دعاني لحضوره غير إنني قررت عدم الحضور لأنني لم أعتبر نفسي في يوم من الأيام عضواً فيه. كما أنني رفضت الانضمام إلى كافة التنظيمات السياسية لحكومة الثورة غير إنني فوجئت بحضور بعض الزملاء وبعض الطلاب إلى مكتبي يرجوني الذهاب معهم لحضور الاجتماع وتأييد طلبهم بالتحقيق في الإهمال الجسيم الذي تسبب في ضياع آلاف الجنيهات على الكلية. لم أستطع أن أتمسك بموقفي وأرفض طلبهم، فذهبت معهم وطلبنا مناقشة الموضوع. كان رئيس الاجتماع هو ذاته رئيس قسمي حيث كان يشغل منصب أمين الاتحاد الاشتراكي في الكلية وكان قد قام بضمي للاتحاد الاشتراكي وكتب بيده استمارة عضويتي. رفض سيادته مناقشة الموضوع مبررا رفضه بأنه لم يكن مدرجا في جدول الأعمال. هنا طلبت طرح الموضوع للتصويت على إدراجه فيما يستجد من الأعمال. تم التصويت وتم عرض الموضوع ومناقشته والموافقة على طلب التحقيق في الموضوع واعتبرت أن دوري قد انتهي عند هذا الحد .

لم أكن أتصور أن يؤدى تجاوبي ومساعدتي لبعض الزملاء والحصول على موافقة الحاضرين على طلب التحقيق في الموضوع إلى زعزعة عرش السلطة إلى درجة أنهم قرروا استمرار الاجتماع حتى حضر في اليوم التالي كل من محافظ أسيوط أحمد كامل والقائم بأعمال مدير الجامعة الدكتور التهامي، وجلسوا سويا على المنصة مع أمين الاتحاد الاشتراكي للكلية ومعهم القيادات العسكرية والمدنية . كان ذلك التصرف

بمثابة إعلان الحرب على الذين تجرؤوا وأصروا على تحريك المواضيع النائمة رغماً عن إرادة أمانة الاتحاد الاشتراكي في الكلية .

لا أنسى كيف تحول الاجتماع إلى معركة كلامية بيني وبين المحافظ، وبيني وبين الدكتور التهامي واتهامهم لي بالتطرف والانحراف وأنني بعد أن خدرت الحاضرين بكلامي عن حب الوطن والمصلحة العامة قاموا كالمنومين بالتصويت على هذا القرار الباطل الذي لا يخدم سوى مجموعة من المنحرفين أنا على رأسهم .كان الأستاذ الدكتور جلال يحيى أستاذ التاريخ الحديث بالجامعة يقوم بتدريس مادة الاشتراكية العربية لطلاب الجامعة. وكانت تربطني به صداقة شخصية وفكرية لذا قرر حضور هذا الاجتماع وعندما رأى الهجوم الكاسح الذي أتعرض له أراد أن يساعدني وهم بالحديث، عندئذ تصدى له أحد ما سحي الجوخ ولاعقي الأحذية موجهاً كلامه للسيد المحافظ مشيداً بعبقريته مؤكداً على أنه أي المحافظ هو الأحق بتدريس الاشتراكية العربية لطلاب الجامعة وليس أمثال الدكتور جلال يحيى. انتهى الاجتماع بعد أن ألغوا القرار الذى وافقوا عليه في الاجتماع السابق والخاص بطلب التحقيق في وقائع الإهمال التي نتج عنها ضياع آلاف الجنيهات على كلية الهندسة والجامعة. وهكذا احتدم الصراع .

توابع الاجتماع :

جاء هذا الاجتماع معبراً وبصدق عن المهزلة السياسية التي كنا نعيشها في حقبة عبد الناصر . كان من الواضح أنه يعتمد على العناصر المضادة للثورة في تنفيذها. إن استمرار الثورة أي ثورة لابد أن يعتمد على الثوريين .إن الثورة يقتلها الانتهازيون والمفسدون.إن الثورة أي ثورة يجب أن تضع نهاية للظلم والاستبداد والطغيان. شهد الاجتماع هجوماً كاسحاً من المنصة على وعلى من أيدوني وقمت ومن معي بالرد عليهم غير أن ذلك لم يغير شيئاً وألغوا من طرف واحد القرار السابق على

تواضعه والذي كان مجرد طلب التحقيق في الإهمال الذي أدى إلى ضياع أجهزة بآلاف الألوف على الكلية.

فى اليوم التالي لهذا الاجتماع مباشرة وجدت على مكتبي خطابًا موجهاً لي من سيادة العميد يقول فيه «الأستاذ الدكتور/ السيد محمد عبد الرسول نحيطكم علما بأن امتحان مادة هندسة الفلزات لطلاب الصف الثاني بقسم الهندسة الميكانيكية قد مضى عليه يومان وحيث أنكم لم تتسلموا حتى الآن أوراق الإجابة من لجنة رصد الدرجات لذا نرجوا سرعة استلامها ...»، يحفظ في ملف خدمته هذا هو نفس العميد الذي كان يشير إلى قبل الاجتماع بالبنان بعد أن تأكد إنني لن أتبوأ أي منصب في منظمة الشباب كما كان يشاع في ذلك الوقت. أراد أن ينتقم ويأخذ حقه مني ثالث ومثلث عن كل كلمة مدح قالها في حقي. أراد أن يصلح الخطأ الذي وقع فيه فأرتكب خطأ أفدح. أخذت خطابه وذهبت به إليه أعرفه بخطئه سألته عن سبب إرساله لي هذا الخطاب فقال لي بالحرف الواحد: « إنك أدخلت السياسة في الكلية » وكان ردى عليه منطقياً جداً وهو : « إنك أنت الذي بعملك هذا قد أدخلت السياسة في الكلية لأنه كان عليك أن ترسل هذا التنبيه لرئيس لجنة الامتحان وليس لي وأنت تعرف إن رئيس اللجنة هو رئيس القسم ورئيس الاتحاد الاشتراكي في الكلية ولست أنا »، وأضفت« وإنني لكي أثبت لك خطأك أعلن أمامك بأنني لن أتسلم الأوراق ولن أقوم بتصحيحها . تدخل رئيس القسم وكنت أكن له بعض الحب والتقدير، ووافقت على أن يقوم هو باستلام أوراق الإجابة من لجنة الرصد، وأقوم أنا بالتصحيح ثم يقوم هو بتسليمها إلى اللجنة مرة أخرى. هذا الخطاب مازال حتى الآن موجودا في ملفي رغم مضى خمسة وأربعين عاماً عليه. إن الذي قام به عميد الكلية لم يكن سوى أحد المؤشرات على الإجراءات العدائية التي

بدأت الجامعة اتخاذها ضدي لإرهابي، وإرهاب من يؤيدوني . قمت بدوري بالرد في مجلة الحائط التي كنت أشرف على تحريرها باسم أسرة إخناتون التي أسستها في الكلية، وضمت طلاباً من مختلف كليات الجامعة وكتبت في افتتاحية إحدى المقالات بيتاً من الشعر ألفته بعد الاجتماع المشؤوم قلت فيه :

لا لن تشتروا منى السكوت

لن تشتروا صمت الفؤاد إلا بطلقة

ينساب دمى فى الحقول

يروى للفتيان ثورة

هكذا كان ردى عليهم، وعلى مؤامرتهم الدنيئة ضد الثورة التي كان من المفروض أن يكونوا أمناءً عليها وفى العدد التالي من مجلة إخناتون كتبت :

يا ناسفين الجبال ، يا محولين أنهار

يا عازقين الجناين ، يا منورين الخنادق

هاتولى كل البنادق ، كل البرود أملاه

في جوفي وأحشى ضلوعي

ومرة واحد أنفجر

يهز صوت الانفجار كل الجبال

يصحي أهل الكهف

والسكارى والحيارى

كلهم يصحوا ويعرفوا

إيه الحكاية م البداية للنهاية

هكذا كان ردى عليهم . وازدادت رغبتهم في التمثيل بي والانتقام منى حتى أكون عبرة لكل من تسول له نفسه الوقوف في طريقهم. قرروا منعي من السفر إلى الولايات المتحدة حيث كنت من بين المرشحين للسفر في مهمة أستاذ زائر مع بداية العام الدراسي سنة ٦٦/ ٦٧ . كانت أوراق الترشيح قد خرجت من الجامعة منذ بضعة أسابيع ووصلت إلى وزارة التعليم العالي. أخذت الجامعة في هذا الشأن قرارين الأول يؤدى إلى وقف تنفيذ البروتوكول حين أعلنت عدم موافقتها على تحمل مصاريف سفر المرشحين من وإلى أرض الوطن كما هو منصوص عليه في البروتوكول والثاني خاص بي وحدي وهو أن يقوم كل مرشح بتسليم جدوله لزميل آخر في الكلية قبل سفره، وكنت أنا الوحيد من بين المرشحين الخمسة الذي لا يوجد في الكلية من يمكنه استلام جدولي، كان هذا الشرط كالحق الذى يراد به باطل إذ كان المعمول به أيام الأستاذ الدكتور سليمان حزين هو أن تقوم الجامعة بندب أحد الأساتذة من خارج الجامعة حتى لا يحرم عضو هيئة التدريس المنفرد في تخصصه من السفر والاستفادة من المهمة العلمية. هكذا أرادت إدارة الجامعة بما لديها من جبروت أن تمنعني من السفر للنيل منى والتنكيل بي وتأديبي على حد قولهم غير أنهم نسوا قول الله سبحانه : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ صدق الله العظيم.

حدوث المعجزة ! وسفرى رغم أنف إدارة الجامعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية :

سافرت إلى القاهرة لمتابعة خط سير أوراق ترشيحي للسفر . كنت مصراً على هزيمتهم، وإفساد مخططهم الذي قرروا فيه الانتقام منى لمعارضتي لهم والتشفى فيَّ لرفضي جميع عروض الترويض التي قدموها لي. من هنا جاء اهتمامي بإنهاء

إجراءات الترشيح والسفر . كان سفر المواطنين المصريين إلى الخارج يتطلب في ذلك الوقت الحصول على تأشيرة خروج. كان هناك نوعان من تأشيرات الخروج، إحداها تأشيرة خروج ط.ب للمسافرين إلى بلاد تقع داخل مجال الطائرات والبواخر العربية أي لا تحتاج تذكرة السفر إلى أي عملات أجنبية. والثانية تأشيرة خروج عادية يحصل عليها المسافر إلى بلاد تقع خارج مجال الطائرات والبواخر العربية وتتحمل الدولة في هذه الحالة تكاليف جزء من التذكرة بالعملة الأجنبية . من هنا كان الأمر يتطلب حصولنا على تأشيرة عادية. كان المسافر في تلك الأيام لا يسمح له بتحويل أكثر من خمسة جنيهات قد تصل إلى عشرة جنيهات عند السفر إلى بلاد بعيدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكانت تعادل فى ذاك الوقت اثنين وعشرين دولارًا أمريكيا .

كانت جامعة أسيوط في عصر الدكتور التهامي قد تميزت عن باقي الجامعات المصرية باتباع الأساليب الإرهابية في تعاملها مع أعضاء هيئة التدريس ومنها القيام بإلغاء سفر عضو هيئة التدريس وإعادته من على سلم الطائرة إذا تراءي لها ذلك . ولا أنسى ما حدث بالفعل مع الدكتور وفيق البشلاوى الذي قررت الجامعة منعه من السفر وقام رجال أمن المطار بإنزاله من الطائرة .

ذهبت إلى القاهرة مرة أخرى في رحلة للبحث عن أوراق ترشيحي التي سبق وأرسلتها الجامعة إلى وزارة التعليم العالي. كانت المفاجأة – وهذه هي المعجزة الأولى – حين اكتشفت أن أوراق زملائي الأربعة قد أرسلت ممهورة بموافقة الوزير لاعتمادها من رئيس الوزراء زكريا محيي الدين في ذلك الوقت. بينما أرسلت أوراق ترشيحي بعد اعتمادها من الدكتور الشيمى وكيل أول الوزارة والذي كان مفوضاً من قبل الوزير بالتوقيع إلى إدارة البعثات حيث أن التفويض بالتوقيع لا يكفى

لعرض الأوراق على رئيس الوزراء. تصورت في بادئ الأمر أن هذا الخطأ يحتاج إلى التصحيح مما يؤدى إلى تعطيلي وأنا في أشد الحاجة إلى الإسراع في السفر. لم أكن أدرى وقتها بأن الله معي وإنه قد تدخل وجعل أوراق ترشيحي تذهب بالخطأ إلى إدارة البعثات حتى تتحقق المعجزة. قابلت مدير عام البعثات ووجدت فيه إنساناً بشوشاً ومتعاوناً إلى أقصى الحدود شجعتني مقابلته على أن أرضى بالواقع وأمضي في إتمام إجراءات السفر من خلال إدارة البعثات. تحدثت معه عن تاريخ البعثات وعن بعض المواضيع المشوقة التي كنت قد ألممت بها من خلال تعاملي مع قسم المعلومات بجريدة الأهرام. لمست اهتمامه بحديثي ورغبته في معرفة المزيد. سلمني قرار الموافقة على السفر . كانت إدارة البعثات تقع في الدور السابع بمجمع التحرير بينما تقع إدارة الجوازات في الدور الثالث من نفس المجمع . نزلت على السلم للحصول على تأشيرة الخروج، ولاحظت الحرفين ط ، ب على التأشيرة فسألت ضابط الجوازات عن معناها وعرفت عندئذ فقط دلالات تأشيرات الخروج التي سبق أن تحدثت عنها. عرفت منه أيضاً إنني أحتاج إلى تأشيرة عادية وأن المنوط به منح هذه التأشيرة في مصر هما اثنان أحدهما رئيس الوزراء – وفهمت هنا أيضاً لماذا أرسلت أوراق زملائي إلى مكتب رئيس الوزراء – والثاني هو مدير عام إدارة البعثات. شكرته وصعدت بسرعة وقابلت المدير العام وشرحت له الأمر ووافق دون تردد على تعديل تأشيرته السابقة، ومنحنى تأشيرة خروج عاديه. نزلت مسرعاً إلى ضابط الجوازات، وأصبحت عندئذ أحمل على جواز سفري تأشيرة خروج عادية أستطيع السفر بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

حصلت على تأشيرة الخروج العادية قبل زملائي حيث كانت أوراق ترشيحهم لا تزال فى انتظار موافقة رئيس الوزراء عليها. إن إتمام هذه الخطوة والتي أدت إلى

نجاحي في الحصول وبسرعة على تأشيرة الخروج العادية يعتبر بحق من المعجزات، غير أنني اكتشفت بعد هذه المعجزة أنني مازلت في حاجة إلى معجزة أكبر للحصول على تأشيرة الدخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية. فوجئت بعد ما جمعت كل مدخراتي وقمت بشراء تذكرة السفر – كان سعرها في ذلك الوقت مائتي جنيه مصري فقط – باعتراض المسؤول الأمريكي عن تنفيذ البروتوكول لقيامي بدفع ثمن التذكرة وتمسكه بضرورة تنفيذ البروتوكول الذي ينص على أن يتحمل الجانب المصري مصاريف السفر وليس المرشحين. كنت أتصور إنني جزء من الجانب المصري قبل ذهابي إليه. وأسقط في يدي عندما تبين لي مدى إصراره على تنفيذ هذا البند. قررت أن أعود مرة أخرى إلى مدير عام البعثات الأستاذ جلال قريطم بعد أن لمست فيه سعة الأفق والرغبة في التعاون لما فيه مصلحة البلاد والعباد. طرحت عليه فكرة قيام إدارة البعثات بمهمة الجانب المصري في تسفيرنا نحن الأساتذة الخمسة ومعنا الطلاب الخمسة المسافرين من أجل الحصول على درجة الدكتوراه، وبذلك يمكنه إضافة البعثات العشرة إلى الخطة السنوية لإدارته دون أن تتحمل الوزارة أي أعباء مالية سوى تذكرة السفر. أعجبته الفكرة وقبلها في الحال غير أنه أضاف إنه لكي يتم ذلك لابد أن يحصل على موافقة الوزارة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لابد من خطاب يفيد أن جامعة أسيوط ليس لديها الميزانية اللازمة لشراء التذاكر العشرة.

كنت قد أحطته علما بتمسك الجانب الأمريكي بأن يتحمل الجانب المصري مصاريف السفر غير أنني وجدت نفسي مضطراً إلى مصارحته كذلك بأن جامعة أسيوط لن ترسل له هذا الخطاب حتى لو أدى الأمر إلى ضياع البعثات العشرة على مصر. رأيت في عينيه الرغبة في المساعدة والعمل على إنقاذ البعثات العشرة من

الضياع فقام بالفعل بالاتصال في حضوري بالوزارة، وحصل على موافقتها على قيام إدارة البعثات تحمل مصاريف السفر وضم البعثات العشر إلى خطتها السنوية. ألهمني سبحانه وتعالى بفكرة لحل مشكلة الخطاب الذي يحتاج إليه مدير البعثات من جامعة أسيوط، وكان اقتراحي في هذا الشأن غريباً وعبقرياً في نفس الوقت حيث قلت له : ماذا لو أقنعت الجانب الأمريكي بالكتابة لك بما يؤدي إلى المعنى الذي تريده . وافق على اقتراحي وذهبت فوراً إلى المسؤول الأمريكي وبادرته بسؤالي : «ماذا لو اقترحت عليك حلا يؤدى إلى تنفيذ البروتوكول – كنت أدرك حرصه على تنفيذ البروتوكول حيث كان ذلك هو سبب بقائه في مصر – واستطردت بقولي : «ماذا لو قمت أنت بالكتابة إلى مدير عام البعثات تقترح عليه أن تتحمل البعثات ثمن شراء تذاكر الطائرة للمبعوثين العشرة تنفيذاً للبروتوكول » ..أكدت له بالطبع إنني قد فاتحت مدير عام البعثات في هذا الأمر وأنه قد وافق على هذا الحل وينتظرني الآن لتسليمه هذا الخطاب. تحمس المسؤول الأمريكي لهذا الاقتراح وسلمني دون تردد الخطاب المطلوب الذي سلمته بدوري لمدير عام البعثات، وكانت هذه هي المعجزة الثانية في هذا الشأن والتي لولاها لضاعت عشر بعثات إلى الولايات المتحدة على جامعة أسيوط .

عدت إلى الإسكندرية بعد أن نجحت في حل أصعب مشكلتين احتاجت كل واحده منها إلى معجزة، ولم يبق لي بعد ذلك سوى الإعداد للسفر. فوجئت في الإسكندرية ببرقية من جامعة أسيوط كانت في انتظاري يطلب فيها رئيس القسم حضوري فوراً إلى أسيوط نظراً لبدء العام الدراسي. تذكرت ما فعلته الجامعة من قبل مع الدكتور وفيق البشلاوى. عدت إلى القاهرة ووجدت أن إجراءات شراء تذكرة السفر عن طريق إدارة البعثات حبالها أطول من قدرتي على الانتظار. ذهبت

وقابلت صديقي الدكتور فتح الله الشيخ الذي كان يعمل في مصلحة الكيمياء، وكان منتدباً للتدريس في قسم التعدين بهندسة أسيوط وطلبت منه أن يسافر وبسرعة إلى أسيوط ويشيع هناك خبر سفري حتى تفقد الجامعة الأمل في عودتي وتصرف النظر عن اتخاذ أي إجراء يكون من شأنه منعي من السفر. وذهبت في نفس الوقت واشتريت مرة أخرى تذكرة السفر وكنت حريصاً هذه المرة أن تبدأ رحلتي من الإسكندرية حتى أجنب من يودعني من أهلي مشاهدة لا قدر الله نزولي من الطائرة مصحوبا برجال أمن المطار. ذهبت إلى المسئول الأمريكي الذي فوجئ مرة أخرى بشرائي التذكرة غير أنني أكدت له مقدرتي على استرداد ثمن هذه التذكرة وأضفت إنني مضطر للسفر في أسرع وقت !. لمس في كلامي الصدق وتجاوب معي ومنحنى تأشيرة الدخول ومعها أول شيك بمبلغ ٢٧٠ دولارًا وفق بنود البروتوكول المعمول بها في هذا الشأن. كانت هذه آخر المعجزات التي حدثت لي قبل سفري إلى الولايات المتحدة الأمريكية. استقبلني أصدقائي في مطار القاهرة في السادس من أكتوبر سنة ١٩٦٦ قادماً من الإسكندرية بعد أن ودعت أهلي بسلام وودعني أصدقائي في اليوم التالي حين أقلتني الطائرة المتجهة إلى لندن ومنها إلى واشنطن. طلبت من زملائي إرسال برقية إلى جامعة أسيوط تفيد سفري عندما يشاهدون الطائرة تحلق في عنان السماء. هكذا وبفضل المعجزات الثلاث نجوت من المكائد التي دبرتها إدارة الجامعة للنيل منى والتنكيل بى حتى أكون عبرة لغيري ولكل من تسول له نفسه التصدي للإرهاب الذي تمارسه. وتذكرت قوله سبحانه وتعالي : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ صدق الله العظيم .



مذكرات
أستاذ جامعة

المقاومة والصمود والتغيير
(أسلوب حياة)

الفصل السادس

بين أسيوط ومانهاتن كانساس
والسفر إلى أمريكا
١٩٦٦-١٩٦٧

الثورة وتوابعها :

كانت الثورة بحق هي الملهمة لجميع الثورات التي حدثت خلال حقبة الخمسينيات والستينيات والتي شملت العديد من دول العالم الثالث الذى كان يتطلع إلى الحرية والاستقلال. كانت القاهرة خلال هذه الفترة هي عاصمة الثورة العالمية وملتقي الثوار من جميع أنحاء العالم . كان من الطبيعي أن يتفاعل المواطن المصري مع هذه الثورات، وأن يساهم في الترحيب والاحتفاء بجميع زعمائها .

لا أنسي حتى الآن الزيارة التي قام بها القائد العظيم الشهيد أرنستو جيفارا لمصر. مازلت أحتفظ بكتابه عن حرب العصابات، والذي قام بترجمته ناهض منير الريس من فلسطين وقامت بنشره دار ومطابع الشعب بالقاهرة وقام الاتحاد العام لطلبة فلسطين بكتابة مقدمته. ولا أنسى ما جاء على لسان هذا الثائر العظيم الذي أعتبره بحق مسيح العالم الثالث في العصر الحديث في تعريفه للمواطن الاشتراكي بأنه « أكثر من ينتج وأقل من يستهلك » كما لا أنسى ما قاله للمسئولين الروس الذين أبدوا دهشتهم حين عرض عليهم قائمة طلبات الشعب الكوبي أثناء زيارته لبلادهم معلقا على رأيهم ودهشتهم لما تضمنته القائمة من العديد من الكماليات مثل العطور والكريمات ... وخلافه قائلا « إن هذه الأشياء طالما يحتاج إليها الشعب في كوبا فإنها إذا ليست من الكماليات وعلى الثورة أن تسعى إلى توفيرها ». كان يري أن الثورة يجب أن تعمل على تحقيق أحلام الشعب وعلي تلبية احتياجاته وطموحاته. كان يرى أن الثورة أى ثورة إن لم تعمل على تحقيق الحرية والديمقراطية وتحقق العدل والمساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد الشعب تنتقل من خانة الأحلام إلى خانة الكوابيس.

عندما غادرت القاهرة عاصمة الثورة العالمية في ذلك الوقت إلى الولايات

المتحدة الأمريكية عاصمة الإمبريالية العالمية كنت أحمل معي كل هذه الأفكار التي تتعلق بالثورة والثوار.

السفر :

غادرت الإسكندرية في ٦ أكتوبر ١٩٦٦ ، ودَّعت أهلي وأصدقائي في مطار النزهة ليستقبلني أصدقائي في مطار القاهرة ، ونقضي معا سهرة مفعمة بالحب والأمل وتنامي الذكريات. كان أصدقائى في القاهرة على دراية بما جري لي وبما قمت به وكانوا يشاركونني فرحتي في الانتصار على قوى الظلم والطغيان. رافقوني مرة أخري صباح ٧ أكتوبر إلى المطار لأستقل الطائرة المتجهة إلى لندن وأكدت عليهم مرة أخري وأخيرة أن يرسلوا برقية لجامعة أسيوط بعد التأكد من إقلاع الطائرة يخبرونهم بنبأ مغادرتي في ٧ أكتوبر ١٩٦٦ في مهمة علمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وصلت لندن في ٧ أكتوبر ١٩٦٦ ومنها وصلت إلى واشنطن في ٨ أكتوبر ١٩٦٦ استقبلوني في واشنطن بحفاوة كبيرة وقضيت فيها حوالي أسبوعين حيث حضرت برنامجا أعد خصيصا للقادمين من دول العالم الثالث إلى الولايات المتحدة في مهام برعاية هيئة المعونة الأمريكية. لم يحتج استقبالي للحياة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أى إعداد أو مجهود ذلك بفضل الأفلام الأمريكية التي لم أكن أشاهد غيرها في مصر، والتي استطعت من خلالها التعرف بدرجة كبيرة على المجتمع الأمريكي والحياة في الولايات المتحدة الأمريكية . لمست خلال أيامي الأولي في واشنطن مدى حب المواطن الأمريكي لبلاده ومدى اعتزازه بانتمائه لها ومدي شعوره بالفخر لتمتعه بأكبر قدر من الحرية والاحترام في بلده بالمقارنة بمختلف دول العالم. أذكر أن أحد المواطنين قد تطوع بمرافقتي في جولة في واشنطن ودعاني

خلالها إلى الدخول إلى مبني الكونجرس ومتابعة إحدى جلساته ، كان يعبرمزهوا عن عظمة بلاده وعن مدى اعتزازه بكونه مواطنا أمريكيا.

بعد انتهاء برنامج الإعداد توجه كل من المشاركين إلى المكان الذي سوف يقضي فيه برنامج زيارته. وسافرت إلى مانهاتن بولاية كانساس ووجدت الدكتور نعيم عازر مندوبا عن كلية الهندسة في استقبالي في المطار.

الوصول إلى ولاية كانساس :

كانت سعادتي كبيرة عندما وجدت فى انتظارى الدكتور نعيم عازر الذي كان يعمل بقسم الهندسة الميكانيكية بجامعة الإسكندرية، والذي فضل بعد ذلك العمل في كلية الهندسة بولاية كانساس والاستقرار في الولايات المتحدة الأمريكية. اصطحبني الدكتور نعيم إلى محل إقامتي الذي خصصته لي الكلية ثم دعاني مباشرة لزيارته والتعرف على أسرته. كان نعيم متزوجا من سيدة أمريكية في غاية الرقة واللطف وتغلب عليها الروح المصرية حيث كانت قد قضت بضعة سنوات في الإسكندرية قبل أن يستقر بهما الحال في مانهاتن. كانت ابنتهما منى ذات السنوات الخمس هي الأخرى تشع بالبهجة والسعادة حين رأتني واحتفت بي على طريقتها وأهدتني وردة رسمتها لي وأعتقد إنني مازلت أحتفظ بها بين أوراقي.

في اليوم التالي لوصولي اصطحبني الدكتورعازر إلى الكلية، وقابلت الدكتور بريستون مكنول المنسق للبروتوكول الثقافي بين جامعات الوسط بالولايات المتحدة الأمريكية وجامعة أسيوط والذي اصطحبني بدوره لمقابلة عميد الكلية الأستاذ الدكتور نيفنز. استقر بي المقام في قسم الهندسة الصناعية بالكلية الذي يشرف على تدريس مادة المواد الهندسية لمختلف أقسام الكلية وأصبحت أحمل لقب استاذ مشارك زائر بقسم الهندسة الصناعية، رغم إنني أحمل لقب مدرس بهندسة أسيوط

ورغم حصولي على درجة الدكتوراه من الاتحاد السوفيتي ورغم أنني تخرجت في الأصل من كلية العلوم الأمر الذي أدهشني وأسعدني في نفس الوقت. أدهشني لأنني لم أجد الحساسية التي صادفتني في مصر والتي كانت تقف حائلا أمام طموحاتي ورغبتي في العطاء بسبب عملي في كلية لم أتخرج منها . وأسعدني لأنني وجدت في ذلك تشجيعا لي على تحقيق بعض أحلامي بإجراء الأبحاث في مجال الهندسة النووية وهو ما تمكنت هنا بالفعل من تحقيقه. لم يتردد الدكتول مكنول من تحديد موعدا لي لمقابلة الدكتور كيميل رئيس قسم الهندسة النووية والذي رحب بي وشكرني على إبداء رغبتي واستعدادي للمساهمة في تدريس بعض المواد في قسمهم. كلف الدكتور كيميل الدكتور والتر ماير بالمرور معي في زيارة المفاعل النووي الملحق بالقسم وجميع المعامل الموجودة فيه. استعرض سيادته معي المناهج الدراسية التي يتولي أعضاء هيئة التدريس في القسم تدريسها لأختار ما أرغب في المساهمة في تدريسه . اخترت أن أشترك في تدريس أربعة مقررات « استخدام النظائر المشعة في الصناعة – المعالجة البيرومیتالورجية لمخلفات الوقود النووي – المواد النووية الهندسية – تأثير الإشعاعات النووية على المواد الهندسية ».

واتفقت مع الدكتور والتر ماير على التعاون معه في الإشراف على بعض الرسائل العلمية. تم كل ذلك دون أن يسألني سواء الدكتور كيميل رئيس القسم أو مساعده الدكتور ماير عن أبحاثي السابقة أو عن موضوع رسالة الدكتوراه التي حصلت عليها وإنما اكتفوا فقط بما لمسوه مني وعرفوه عني خلال مقابلتي معهم. وأصبحت بعد هذا اللقاء أنتمي إداريا لقسم الهندسة الصناعية وأكاديميا لقسم الهندسة النووية .

برامج الترحيب والحفاوة :

شعرت منذ وطأت قدماي أرض الولايات المتحدة الأمريكية بترحيب وحفاوة غير

عادية. هذا وإن كنت قد اعتبرت الحفاوة التي وجدتها من مواطن أمريكي في واشنطن من باب المصادفات السعيدة فإن الترحيب والحفاوة التي لمستها هنا في مانهاتن كانت بالقطع ضمن برنامج منظم تم إعداده وتنفيذه بإتقان كبير الأمر الذي بالطبع قد أذهلني. إن برنامج الاحتفاء بي لم يكن على ما أعتقد بشخصي إنما بصفتي اول المصريين الذين حضروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية تنفيذا للبروتوكول الذي أشرت إليه .

شمل برنامج الحفاوة والترحيب ثلاثة محاور :

المحور الأول :

تمثل في الدعوات التي تلقيتها من أساتذة الكلية الذين سبق لهم الإقامة والتدريس في كلية الهندسة بأسيوط وهم الدكاترة: ليندلي،هودجز،ليندهولم وارهارت، الذين كانوا في غاية الكرم والاهتمام بي والاطمئنان على أحوالي وأبدوا الرغبة في مساعدتي .

المحور الثاني :

تمثل في إرسال راعي الكنيسة المشيخية للترحيب بي بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن جميع كنائس مانهاتن.

المحور الثالث :

والذي كان أشدهم رغبة وأكثرهم إصرارا فكان مندوب جريدة مانهاتن والذي أجرى معي حديثين الأول فور وصولي في ١٩ أكتوبر ٦٦ والثاني في ٢٣ فبراير ٦٧ . هذا ومن الجدير بالذكر إن علاقتي براعي الكنيسة المشيخية قد تطورت واستمرت حتى لاحت بوادر الحرب بين مصر وإسرائيل .

***

Engineers Add Egyptian Prof

The first post-doctoral exchange professor from the University of Assiut in the United Arab Republic arrived at K-State this week to begin a one-year program of teaching and research.

Abd El Rassoul is a lecturer in metallurgy in the College of Engineering at the University of Assiut.

LOCATED 240 miles south of Cairo on the Nile River, the University of Assiut is the Egyptian university being assisted by K-State to develop and strengthen engineering education. K-State is cooperating with 10 other universities, members of the Mid-American State University Association (MASUA), in the project and is the contracting institution for Association for International Development (AID).

The post-doctoral study program, established as part of an AID contract with the University of Assiut, encourages faculty members to continue research and acquire additional experience and knowledge working with American engineering professors.

RASSOUL received his B.S. degree from Alexandria University in Egypt and his Ph.D. from Moscow Steel Institute in Extractive Metallurgy. As a member of the mining department faculty at the University of Assiut, he taught classes in physical mentallurgy, extracted metallurgy, ferrous and non-ferrous metallurgy, and applied physical chemistry.

During this week Rassoul will consult with engineering professors at K-State to determine an appropriate teaching and research program in which he might engage during the coming year. Next week he is scheduled to visit the University of Missouri at Rolla, a MASUA-related institution, to investigate the mining engineering program.

Later this year, additional graduate students or junior faculty members at the University of Assiut are expected to participate in the exchange program and spend a year of study at several of the MASUA institutions in the United States.

خبر وصولي إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتحاقي بالعمل بكلية الهندسة بجامعة ولاية كانساس وذلك في جريدة مانهاتي بتاريخ ١٩/١٠/١٩٦٦م

تضمنت جريدة مانهاتن في ١٩/ ١٠/ ٦٦ خبر وصولي كأول استاذ مصري زائر من جامعة أسيوط إلى جامعة ولاية كانساس. وبناء على إصرار مندوب جريدة مانهاتن والذي وصل إلى درجة الإلحاح قمت بالإدلاء بالحديث المنشور في الجريدة بتاريخ فبراير ١٩٦٧ وتتلخص أبرز المواضيع التي تضمنها هذا الحديث فيما يلي :-

- تعتمد طريقة التدريس في الجامعات الأمريكية على الحصول على المعلومة من خلال حل المسائل التي تتعلق بالمواضيع ولا تعتمد على أسلوب التلقين.

- إن المناهج المتبعة في كليات الهندسة بالجامعات المصرية تفتقر إلى بعض

المقررات في الفنون والفلسفة والموسيقي والتاريخ وبصفة عامة العلوم الإنسانية وهو ما أرجو أن ننتبه إليه في مصر الأمر الذي يؤدى إلى التنمية الشاملة للطالب .

- تضمن الحديث الإشارة إلى نقص الكتب الدراسية في معظم المجالات .

- تضمن الحديث قيامي بزيارة تفقدية لجامعات وسط الولايات المتحدة الأمريكية المشاركة في البروتوكول وكذلك قيامي بزيارة مصانع الحديد والصلب في بيت لحم، ولوكينز واتحاد الصلب في بنسلفانيا . وأشار إلى اختياري عضوا في المعهد الأمريكي لمهندسي المناجم والبترول والفلزات أثناء زيارتي لجامعة كولورادو .



American Institute of
Mining, Metallurgical and Petroleum Engineers

This certifies that

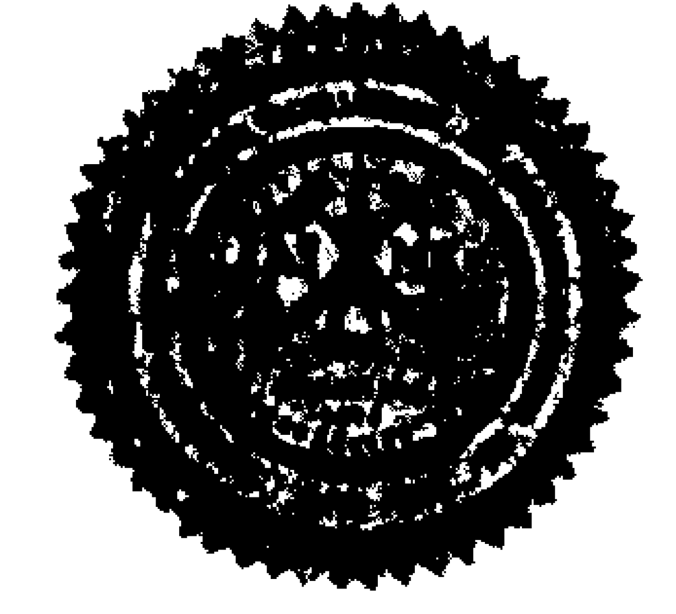
Sayed M. Abdel-Rassoul

was by the unanimous vote of the Board of Directors elected a

Member

of the Institute January 1, 1967

In witness whereof this certificate is signed by the President and the Secretary and the seal of the Institute affixed at New York, this 28th day of October, 1968



President

Executive Director and Secretary

شهادة العضوية في المعهد الأمريكي لمهندسي المناجم والبترول والفلزات يناير ١٩٦٧م

- أشار الحديث إلى قيامي بالتدريس وإجراء البحوث في كل من قسم الهندسة الصناعية وقسم الهندسة النووية وعن أملي في توظيف الخبرات التي اكتسبتها نتيجة وجودي في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الاتحاد السوفيتي فى خدمة مصر .

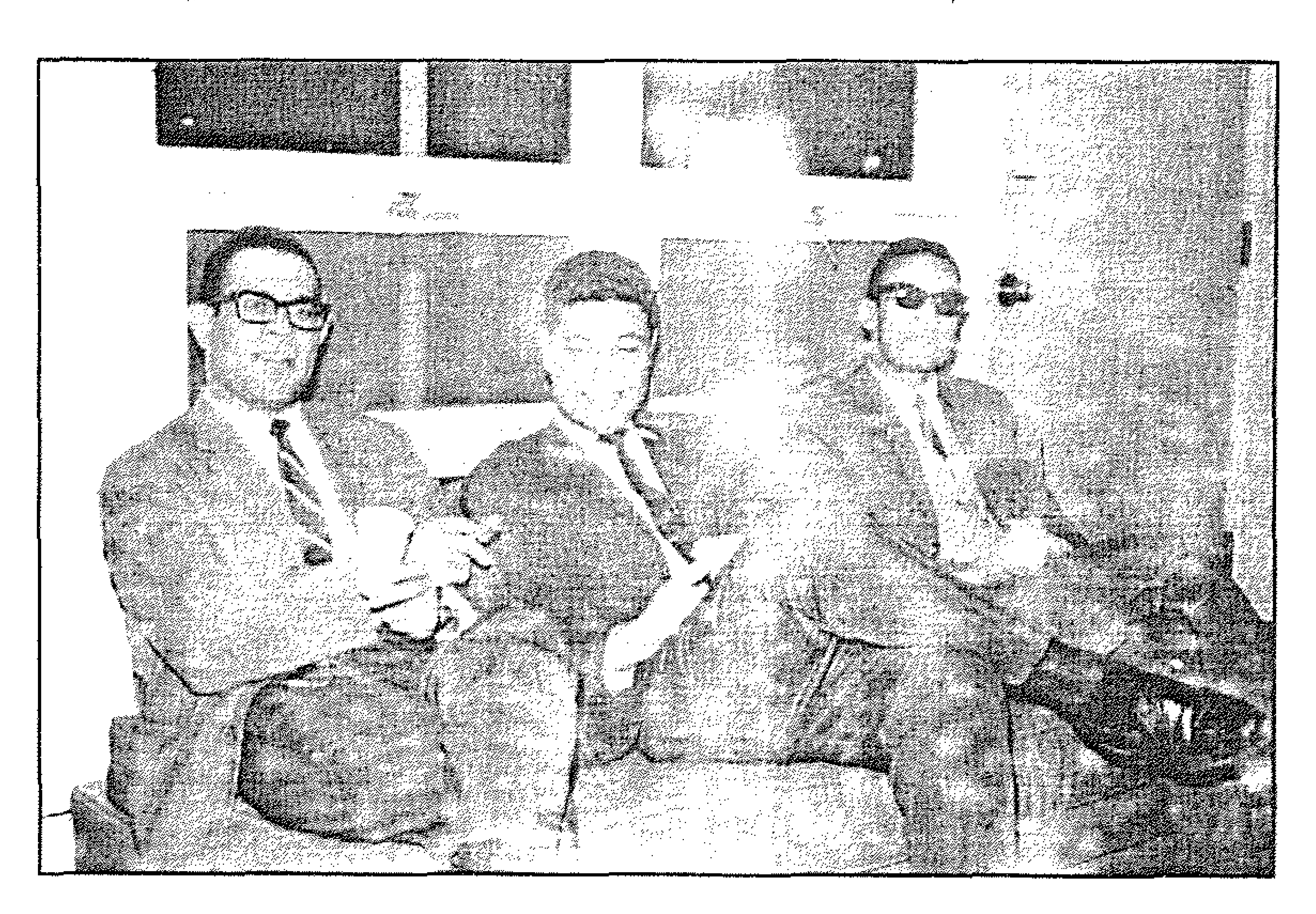
- وعبرت في نهاية حديثي عن أملي الكبير في مستقبل بلادي وعن ثقتي الكبيرة في الشباب الذي أصبحت نظرته إلى الحياة مليئة بالتفاؤل .

حياتي في مانهاتن كانساس :

تتميز ولاية كانساس بالنشاط الزراعي وبوجه الخصوص بزراعة القمح من هنا حظت كلية الزراعة بالاهتمام الأكبر من الجامعة، كما حظت بالعدد الأكبر من المبعوثين المصريين والعرب في مختلف تخصصات الزراعة. كان يدرس فيها من مصر حمدي عبد المنعم وأحمد الدش ونظيرة شحاته، وأحمد الحديدي وعبد السلام قنصوة والزيات ودود ومن السعودية نبيل البخارى وسعيد القحطاني ولم يدرس في كلية الهندسة سوى واحد فقط هو محمد درويش الذي تصادف أن كان زميلا لى في المرحلة الابتدائية بمدرسة سعيد الأول بمحرم بك بالإسكندرية ويعد حاليا من الخبراء المعدودين في مجال تحلية المياه في العالم العربي.

لم تمر فترة طويلة على وصولي إلى مانهاتن ليصل إليها تباعا كل من الدكتور يحيى السيد الأستاذ بقسم الهندسة الميكانيكية بأسيوط والذي تم تعيينه هو الآخر أستاذا مشاركا زائرا أى في نفس درجتي بالكلية الأمر الذي ترك في نفسه أثرا سيئا لكونه أستاذا في أسيوط بينما أنا كنت مجرد مدرس أى أنه كان في نهاية السلم بينما أنا في بدايته، كما أنه كان حاصلا على درجة الدكتوراه من إنجلترا بينما أنا حصلت عليها من الاتحاد السوفيتي. لاشك في أن ذلك بقدر ما أسعدني بقدر ما أغضبه غير إنني ساعدته على التغلب على هذا المأزق بإظهاري له المزيد من الحب والاحترام

والتقـدير لـذا اسـتمرت علاقتـي بـه عـلى هـذا النحـو إلى الآن. حضر بعـده الدكتورعوض صالح من قسم الهندسة الكهربائية، واستمر معنا في مانهاتن لفترة قصيرة ثم فضل الاستقرار في جامعة إيمز بولاية أيوا نظرا لتميز قسم الهندسة الكهربائية بها عن مثيله بجامعة ولاية كانساس. حضر كذلك بعض طلاب الدراسات العليا من أسيوط اذكر منهم ربيع عبد الفضيل في الهندسة الكهربائية وأحمد حزين ومحمد سلام في الهندسة الميكانيكية وكنا كثيرا ما نلتقي.



صورة مع بعض المبعوثين المصريين من هندسة أسيوط

كانت تجمعنا الألفة والمحبة والاحترام المتبادل والرغبة في التميز. اذكر أنه كان هناك اثنان من العراق عبد الإله وقاسم الطبطبائي واثنان من لبنان دربني أحدهما وكان منتميا إلى حزب الكتائب على قيادة السيارة حتى حصلت على أول رخصة للقيادة، وطالب واحد من فلسطين. كنا نشعر وكأننا ننتمي جميعا إلى الثورة العربية الكبرى . لم نشعر بخلافاتنا التي توارت خلف أحلامنا وطموحاتنا.

كنت أستمر في مكتبي بقسم الهندسة الصناعية حتى نهاية اليوم أى إلى حوالي

الخامسة، وأذهب لتناول الغذاء في مطعم الجامعة وكثيرا ماتوقفت قبل دخولي إلى المطعم وبعد خروجي منه للحديث مع مجموعة الطلاب المجتمعين بصورة دائمة في مبنى اتحاد الطلبة، ويديرون الحوارات المتنوعة حول مختلف المواضيع. كانوا يرحبون دائما بوجودي معهم ومشاركتي لهم وأصبحت عضوا مهما في فريقهم. كان مبني اتحاد الطلبة يضم قاعة للاستماع إلى الموسيقي كما يضم صالة لممارسة الرياضة الخفيفة مثل تنس الطاولة والبلياردو. كانت تربطني علاقة حميمة بدوايت نيزميث رئيس محطة التجارب الهندسية بالكلية. كان يتميز بخفة الظل والمرح، كان دوايت نيزميث يدير في نفس الوقت النشاط المسرحي بالكلية وأشركني معه في فريق مسرح الحجرة. كنا نتناقش في مختلف الأمور السياسية وكنا حين نختلف نحتكم فيما بيننا على نتيجة مباراة فيما بيننا إما في تنس الطاولة أو في البلياردو كنت أفوز عليه دائما في تنس الطاولة ويسلم هو في هذه الحالة بوجهة نظري وكان يفوز هو على دائما في البلياردو وكنت أنا الذي أسلم له في هذه المرة بوجهة نظره. كان سرورنا كبيرا ودهشتنا أكبر عندما ظهر اصطلاح سياسة تنس الطاولة ضمن المصطلحات السياسية بعد أن قام فريق تنس الطاولة للولايات المتحدة الأمريكية بزيارة نظيره في الصين الشعبية وأدت هذه الزيارة إلى بداية العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين الشعبية.

وكنت عندما أنفرد بنفسي في أمسياتي ولبلي أتذكر ما نحن فيه في مصر. أتذكر أهلي وأصدقائي، وأتذكر الحلم الذي عشناه ورأيناه يتحول أمام عيوننا ليصبح كابوسا تخلصت منه بكتابة بضعة خواطر كانت بدايتها:

ذكرني بالماضي الأليم ودعني في غمرة الماضي أهيم

ذكرني لاتدع الفراق ينسيني آلام الحنين

التعاون مع الدكتور هوستتر :

كان الدكتور هوستتر زميلا لي في قسم الهندسة الصناعية، وطلب مني أن أشترك معه في الإشراف على أحد طلاب الماجستير بالقسم وأن أختار له نقطة البحث التي يجري عليها تجاربة. قمت بالفعل بكل ما طلبه، وأصبحت أنا المشرف الفعلي على الطالب. اخترت للطالب موضوعا يعتمد على استخدام أحد النظائر المشعة وبذلك ربطت تجاربه بقسم الهندسة النووية الذي كنت أتطلع إلى التعاون معه في أبحاثي المقبلة. توطدت علاقتي بالدكتور هوستتر ودعاني لزيارته في منزله والتعرف على زوجته وابنته وزوجها.



في استضافة الدكتور هوستتر وأسرته

كان الدكتور هوستتر عضوا في نادي الكوانس، وهو أحد الأندية المنتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية، ودعانى النادي لإلقاء محاضرة على أعضائه وقبلت

الدعوة دون تردد، وبالذات أنهم تركوا لي حرية اختيار الموضوع الذي أتحدث فيه. كنت قد قرأت بالصدفة مقالا في جريدة التايمز قام بكتابته أحد قيادات المخابرات المركزية الأمريكية في العدد الصادر في ٢٤ فبراير ١٩٦٧، واستهله بمقولة جاءت على لسان القائد الصيني صن تسو في القرن السادس قبل الميلاد قال فيها: « إن الانتصارات العظيمة التي يحققها القادة العسكريون على أعدائهم يعود الفضل فيها وفي المقام الأول على المعلومات المسبقة التي يحصلون عليها عن الأعداء » .

وكما يبدو أن كاتب المقال قد أراد أن يستعين بما جاء على لسان القائد الصيني في الدفاع عن الدور الذي تقوم به المخابرات المركزية عندما يتعلق الأمر بجمع المعلومات عن أعداء الولايات المتحدة الأمريكية. قررت أن أنتهز هذه الفرصة وأقوم من خلال محاضرتي بشرح فلسفة الثورة المصرية واختيارها للاشتراكية لتحقيق التنمية. بدأت محاضرتي مستخدما نفس المقولة التي جاءت على لسان القائد الصيني في القرن السادس قبل الميلاد والتي استخدمها وكيل المخابرات المركزية في مقاله. أعطيت المحاضرة للسكرتيرة لتكتبها على الآلة الكاتبة غير أنها حين قرأت ما فيها توقفت عن كتابتها، وأطلعت عليها الدكتور مكنول مسؤول البرتوكول الذي حضرت إلى الولايات المتحدة من خلاله والذي دعاني وقال لي بالحرف الواحد « بروفسور رسول كيف أبرر لدافعي الضرائب بمجلس الأمناء الذين يقومون بالصرف على الجامعة قيامك بإلقاء محاضرة عن ثورة يوليو وعن الاشتراكية » كانت إجابتي عليه في غاية القوة والوضوح إذ قلت له « يا عزيزي مكنول أنا كنت أعتقد أن في بلادكم حرية فإذا كانت هذه الحرية تمنعني من إلقاء المحاضرة فأنا على أتم الاستعداد لمغادرة الولايات المتحدة ». تراجع الدكتور مكنول وأصدر تعليماته للسكرتيرة بكتابة المحاضرة التي تقع في خمس عشرة صفحة من حجم الكوارتو.

وسوف أكتفي هنا بترجمة بعض الفقرات التي جاءت بها والتي ربما تكون قد أدت إلى عزوف السكرتيرة عن كتابتها :

- لاحظت خلال فترة تواجدي القصيرة بالولايات المتحدة أن هناك سوء فهم على الجانبين بين المصريين والأمريكيين .

- إن ما قاله القائد الصيني في القرن السادس قبل الميلاد على صحته قد جاء في زمن انعدمت فيه الأجهزة المستخدمة حاليا في التجسس وجمع المعلومات تلك الأجهزة والمعدات التي تستخدمها حاليا أجهزة المخابرات في تدمير العلاقات بين الدول. من هنا فإنني أعتقد أن القائد الصيني لو كان بيننا اليوم لسجل اعتراضه على استخدام المخابرات لهذه الأجهزة اليوم .

- دعونا نتفق على أن الفجوة بين ما تقوم به المخابرات حاليا وبين الحقيقة من الممكن أن تتقلص وتصل إلى حدها الأدنى، عندما يقوم الأفراد بأنفسهم دون الاستعانة بالأجهزة المضللة وأعمال القص واللزق في نقل ما لديهم من معلومات مباشرة إلى المهتمين. من هنا رأيت أن أقوم أنا بهذا العمل وأنقل لكم مباشرة كل ما تحتاجون إلى معرفته عن ثورة يوليو .

- إن الفكر الاشتراكي في مصر يعتمد اساسا على التراث المصري الذي يعتمد على مبادئ الإسلام والمسيحية وقد يكون من المفيد هنا أن أذكر لكم تعريفي للمواطن الاشتراكي وهو « أنه أكثر من ينتج وأقل من يستهلك » إنه من يستخدم الفائض من إنتاجه لتحقيق الرفاهية لنفسه وللآخرين. « إن الاشتراكي لا يترك ثروة متراكمة بعد وفاته » .

- يؤمن المواطن الاشتراكي بالعدالة والحرية والمساواة لنفسه وللجميع من هنا يسهل علينا أن نري أن السيد المسيح وفق هذا التعريف يعتبر هو أول الاشتراكيين

في التاريخ .

واكتفي هنا بهذا القدر غير أنني لابد أن أعترف بأن معظم التعريفات بخصوص المواطن الاشتراكي التي أوردتها في محاضرتي تتفق تماما مع رأي الثائر العظيم ارنستوا جيفارا الذي وصفته بأنه مسيح العالم الثالث في القرن الحديث، والذي كانت روحه معي أثناء إلقائي المحاضرة. من هنا أجد لزاما على أن اكتب نبذة قصيرة عن هذا الثائر العظيم عسي أن يجد فيه الشباب ما يحفزهم على الثورة .

أرنستو جيفارا (مسيح العالم الثالث في العصر الحديث) :

ولد جيفارا في ١٤ مايو عام ١٩٢٧ في الأرجنتين . اشتهر بلقب تشي جيفارا وبأنه ثوري كوبي أرجنتيني المولد درس الطب في جامعة بوينس أيرس وتخرج عام ١٩٥٣ وكان مصابا بالربو فلم يلتحق بالخدمة العسكرية توجه إلى جواتيمالا حيث كان رئيسها يقود حكومة يسارية شعبية غير أن وكالة المخابرات المركزية تمكنت من الإطاحة بها عام ١٩٥٤، وفي عام ١٩٥٥ قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية ورأى كاسترو أنهم في أمس الحاجة إليه كطبيب. بعد انتصار الثورة في كوبا وسقوط حكم باتيستا عام ١٩٥٩ تولي جيفارا منصب رئيس المصرف الوطني عام ١٩٥٩ ثم وزير للصناعة ١٩٦١-١٩٦٥ . برز تشي كقائد ومقاتل شجاع لايهاب الموت وسريع البديهة يحسن التصرف في الأزمات، لم يصبح مجرد طبيب بل أصبح قائدا عسكريا برتبة عقيد ، وشريك فيدل كاسترو في قيادة الثورة، وقد أشرف كاسترو على استراتيجية المعارك بينما قام جيفارا بالتخطيط لها وقيادتها. ويرجع الفضل الأول له في انتصار الثورة عندما قرر النزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية وقاد الثوار الذين تمكنوا من دخول هافانا في يناير ١٩٥٩ على رأس ثلاثمائة مقاتل ليبدأ عهدا جديدا في كوبا بعد إنتصار الثورة وإطاحتها بحكم الديكتاتور باتيستا .

كان مشروع «تشي» هو دعم الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية لمجابهة النزعة الأمريكية المستغلة لثروات دول القارة.

أراد جيفارا أن يمضي بعض الوقت في حشد القوي والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله. ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكرا. وفي يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٧م، وفي أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفي المكونة من ١٥٠٠ فرد مجموعة جيفارا المكونة من ١٦ فردا ، وقد ظل جيفارا ورفاقه يقاتلون ٦ ساعات كاملة وقد استمر «تشي» في القتال حتي بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم إصابته بجروح في ساقه وهو ما يفسر وقوعه في الأسر حيا. نقل «تشي» إلى قرية «لاهيجيوا» وبقي حيا لمدة ٢٤ ساعة إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصة من مسدسه في الجانب الأيسر فأنهى حياته في ٩ أكتوبر ١٩٦٧. وقد رفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لأخيه أو حتى تعريف أحد بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزارًا للثوار من كل أنحاء العالم .

جولة في فيلادلفيا :

كان البروتوكول الذي حضرنا بناء عليه إلى الولايات المتحدة الأمريكية يتحمل تكاليف السفر والإقامة في حالة قيامنا بزيارات للجامعات أو مراكز البحوث والمصانع أو حضور المؤتمرات. قررت السفر إلى فيلادلفيا لحضور أحد المؤتمرات التي ينظمها الاتحاد الأمريكي للصلب. اتصلت بعدد من المصانع ومراكز البحوث وكذلك بمعهد كارنيجي الموجود في ولاية بنسلفانيا لتعظيم استفادتي من السفر إلى فيلادلفيا حيث يعقد المؤتمر. كانت مدينة فيلادلفيا أول مدينة كبيرة تطأها قدماي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد واشنطن. تملكتني الرغبة في التعرف على المدينة فمشيت في شوارعها الواسعة التي تعج بالثراء ويفوح منها عطر الرفاهية. كان الجو

منعشا يملؤه رذاذ خفيف ينعش التفكير، ويوحي إلى التأمل وفجأة شعرت بمن يربت على كتفي وحين التفت إليه وجدته يسألني بعض المال ليسد به رمقه. كتبت خواطر في فيلادلفيا لأترجم مشاعري تجاه هذا الموقف، كتبتها بعد عودتي مباشرة إلى الفندق وبعدها هرب مني النوم الذي كان يداعب جفوني، وأكتفي هنا بكتابة جزءً منها:

شعرت بسكرة بعد طول وقوف	أمام ثراء بآلاف الألوف
أمام حياة تفوح عبير	أمام ربيع في عز الربيع
تلفت حولي أعد النعيم	أعد الرخاء أعد البشر
وفجأة لمحت بعرض الطريق	شابا نحيفا هزيل الجسد
شابًا ممزقًا رث الثياب	في يوم عصيف غزير المطر
يسأل دراهم تطيل العذاب	تطيل الخنوع تزيد الألم
رأيته يرجف يسأل طعاما	حيث لم يكفه ماء المطر

أنباء من مصر :

عندما غادرت أرض مصر في ٦ أكتوبر ١٩٦٦ تصورت أنني في حالة هدنة ضمنية بنودها غير مكتوبة وأنها سوف تنتهي بمجرد عودتي غير أنني اكتشفت أن هذه الهدنة كانت من طرف واحد فقط وأنهم هناك في أسيوط مازالوا يشنون على حربا ضروسا. تمثلت هذه الحرب في الاساءة إلى سمعتي بأنني تخليت عن مبادئي وأن كل حديثي عن الثورة والاشتراكية كان للاستهلاك المحلي ومن باب الضحك على الدقون، وأنني قد غيرت مواقفي بعد وصولي إلى الولايات المتحدة الأمريكية. كان رئيس القسم أصبح عميدا للكلية مع استمرار شغله منصب أمين عام الاتحاد الاشتراكي في الكلية. تسلم سيادته نسخة من حديثي المنشور في جريدة مانهاتن،

سلمها له أحد الأساتذة الأمريكان بصفته عميدا للكلية . استخدمها عميد الكلية بكل أسف في تشويه سمعتي فكان يلوح بها من بعيد لكل من يزوره دون أن يطلعه على ما جاء بها ويقول له : « شايف الدكتور عبد الرسول الذي كان يتحدث عن الثورة والاشتراكية ماذا يكتب في أمريكا .... إنه تحول مائة وثمانين درجة عن مبادئه» انتشرت هذه الفرية بين الزملاء ووصلتني هنا في أمريكا عن طريق الزملاء الذين حضروا تباعا من أسيوط وأكدوا لي صدق إحساسي بأن البرقية التي كان قد أرسلها رئيس القسم على الإسكندرية يطلب مني فيها الحضور فورا للكلية كان المقصود بها منعي من السفر والتمثيل بي لجرأتي ووقوفي ضد فسادهم. كانوا يتمنون في الاتحاد الاشتراكي أن أبقي في الولايات المتحدة الأمريكية ولا أعود مرة أخري إلى مصر. وكانوا يتصورون أن هذه الشائعات التي ينشرونها حين تصلني كفيلة بذلك غير إنني وجدت نفسي أرد عليهم بكتابة رسالة من القبور :

عذاب في الحياة وفي الممات   وظلم القبر أسهل من حياتي
ينعم الموتي بالهدوء لحين   يبعث الشوق للحياة سلامي
فاحذري مني يا حياة فإن عدت   سأبعث بمنشور إلى الأموات

تطور علاقاتي في كانساس :

استمرت علاقاتي بالأساتذة الذين سبق لهم زيارة أسيوط والقيام بالتدريس لطلاب كلية الهندسة في أقسام الميكانيكا والكهرباء والهندسة المدنية. كنت أستعين في دعوتهم على الأكلات المصرية بالمهندس ربيع عبد الفضيل الذي حضر من هندسة أسيوط بغرض الحصول على الدكتوراه في الهندسة الكهربية. كان ربيع يتقن عمل المسقعة ، والملوخية، وكان دوايت نيزميث من أشد المعجبين بالمسقعة، وأعلن إعجابه على طريقته حيث أعلن دهشته لأن والدته رغم أنها كان لديها في وقت من

الأوقـات حجـرة مليئـة بالباذنجـان غـير أنهـا لم تخمـن أبـدا أن تسـتخدمه في عمـل المسـقعة، كـان خفيـف الظـل ومحبـا للمصريـين. تكـررت دعـوتي لراعـي الكنيسـة المشيخية على الأكلات المصرية وكـان يحضر في الكثير من الأحيـان مع جميع أفـراد عائلته وكنت أزوره مرات في منزله ومـرات أخرى في الكنيسـة. حضرت مـرة أحـد الدروس التي كان يلقيها وطرح يومها شرح الآية الـواردة في الإنجيـل التـى تصـف اليهود بشعب الله المختار واضطررت إلى التدخل في تفسـير هـذه الآيـة، وقلـت : إن المقصود هنا بشعب الله المختار ليسوا اليهود تحديدا إنـما المقصـود بهـا الشـعب الـذي يطيع الله، ولا يبغي سوى مرضاته وهـذا قـد لا ينطبـق عـلى اليهـود في حالـه قيـامهم بمعصية الله. جاملني ووافق على تفسيرى لهـذه الآيـة عـلى هـذا النحـو. كثـرت بينـي وبينه المناقشات وعادة ما تطرقت إلى مشكلة فلسـطين، وتعـرف بـالطبع مـن خلالهـا على رأيي في مشكلة الشرق الأوسط وموقفي من قضية فلسطين غير أنه كـما يبـدو لم يصارحني بموقفه المخالف لموقفى. لا أنسي ما ذكره لي بخصوص تشـكيل المجلـس الكنـائسي الأعـلى بالولايـات المتحـدة وبأنـه يضـم بـين أعضـائه عضـوا يهوديـا وهـو الوحيد الذي له حق الفيتو من بين أعضاء المجلس. ولا أنسي كذلك أنـه قـال لي: إن كل عائلة مسيحية كان على رأسها يهـودي في يـوم مـن الأيـام وأن عقـدة الإحسـاس بالدونية التي كانـت تـلازم اليهـود عـلى مـدى عـدة قـرون قـد تحولـت في الولايـات المتحدة الأمريكية إلى شعورهم بالعلو والتميز على باقي خلق الله. وعندما قرر جمـال عبد الناصر السيطرة على مضيق تيران، وبالتـالي إغـلاق خلـيج العقبـة أمـام الملاحـة الإسرائيليـة وظهـرت بـوادر الحـرب بـين مصر وإسرائيـل في الأفـق، فاجـأني راعـي الكنيسة التي كانت توطدت العلاقـة بينـي وبينـه بزيـارة منـه غـير متوقعـة في مكتبـي بالكلية وفاجأني أكثر بقوله : « ياسيد أنا أعرف أفكارك تجاه إسرائيـل، ويؤسـفني أن أقـول لـك « في حالـة انـدلاع الحـرب بـين مصر وإسرائيـل إننـي سـأكون في جانـب

إسرائيل ». واسترسل في حديثه دون أن أقاطعه وفجر في وجهي ما يشبه القنبلة ذلك حين أعلن : « إننا نعتبر من يحارب إسرائيل إنما يحارب الله وأنا سوف أقف في جانب الله » لا أنسي حتى الآن الإحساس بالمرارة الذي انتابني غير أنني تمالكت نفسي وقلت له: « أرجو أن تعرف في الوقت المناسب أين هو الله الذي تريد أن تكون بجانبه »، كانت هذه هي المرة الأخيرة التي رأيته فيها، وانقطعت بعدها علاقتنا وإلي الأبد .

كان قرار جمال عبد الناصر مسارا للجدل في جميع الأوساط وكان من الطبيعي أن تتناول مجموعة النادي الحديث في هذا الشأن وأن يستمر الحديث فيه أكثر من مرة وفي أكثر من جلسة وفي أكثر من مكان. لاحظت أن بعض اليهود يخلطون بين مضيق تيران والمياه الدولية، فسألت واحدا منهم عن مدي اتساع مضيق تيران فقال لي إنه ٢٥٠ ميل غير أنني عندما ذكرت له أن عرض المضيق هو ١٧ كيلو مترًا فقط غير رأيه، وقال إذن من حقكم أن تغلقوه وحين ذكر أحدهم أن اليهود الذين أبيدوا في المحرقة على يد النازيين كان عددهم ستة ملايين كان ردى عليه بضرورة الاستدلال عن عدد اليهود في ذاك الوقت عن طريق العدد الحالي لليهود في العالم الأمر، الذي يؤكد لنا أن هذا الرقم يشوبه التضليل وأنه عار تماما من الصحة .



مذكرات
أستاذ جامعة

المقاومة والصمود والتغيير
(أسلوب حياة)

الفصل السابع

اندلاع الحرب مع إسرائيل
قطع العلاقات - الاستنفار
١٩٦٧ - ١٩٦٨

السفر لزيارة بعض المصانع والاشتراك في مؤتمر ينظمه المعهد الأمريكي للصلب في نيويورك :

راودتني خلال إقامتي في الولايات المتحدة الأمريكية الرغبة في تدقيق بعض المعلومات التي كان الروس يرددونها على مسامعي خلال فترة دراستي للدكتوراه في موسكو . تكونت لدى هذه الرغبة حين عرفت أن الخيول يزيد عددها سنويا في أمريكا بمعنى أن الاعتماد على الميكنة لم يمنع المواطن الأمريكي أن يقتني هذه الحيوانات من باب الوجاهة الاجتماعية والرغبة في تنوع الملكية. أدت هذه الرغبة إلى قيامي بترتيب لزيارة بعض المصانع الكبيرة والصغيرة حتى أقف من خلال زياراتي لها على ما كان يردده الروس حول شراسة المنافسة بحيث لا تكون هناك أى فرصة أمام المصانع الصغيرة في الوجود والاستمرار. انتهزت فرصة سفري إلى نيويورك للاشتراك ببحث في المؤتمر الذي ينظمه المعهد الأمريكي للصلب والذي أصبحت عضوا فيه منذ يناير ١٩٦٧ . تعمدت أن أختار بنفسي قائمة المصانع التي أرغب في زيارتها وحددت مواعيد الزيارة لها لتكون متوافقة مع حضوري للمؤتمر. كان البرنامج الذي وضعته يبدأ في ٢ يونيو ٦٧ وينتهي في ١٤ يونيو ١٩٦٧ .

كانت أهم الزيارات التي تضمنها البرنامج هي: قاعدة سانت لويس للطيران بولاية ميسوري والتي كان محددا لي زيارتها في ٥ يونيو، ومصنع سبائك التيتانيوم بمدينة بافلو بولاية نيويورك، ومصنع إنتاج التانتالوم وكربيد الكالسيوم التابع لشركة يونيون كاربيد بمدينة كوكومو بولاية إنديانا وكان محددا لي زيارته في ١٤ يونيو. كما تضمن البرنامج زيارة حوالي ثلاثة مصانع أخرى تعتبر صغيرة بالمقارنة بالمصانع سالفة الذكر. كانت هذه الرحلة التي استغرقت ما يقرب من أسبوعين هي أصعب رحلة قمت بها طوال حياتي. مازال طعم المرارة التي تجرعتها خلال هذه

الرحلة لم يفارقني حتى الآن ومازالت الجروح التي أحدثتها في نفسي وفي أعماقي لم تندمل حتى الآن. صباح ٥ يونيو ٦٧ ركبت التاكسي وطلبت من سائقه توصيلي إلى مبني قاعدة سانت لويس للطيران . لفت نظري وأنا جالس في المقعد الخلفي أن السائق على غير العادة يضع بجانبه كومة كبيرة من الجرائد وينصت باهتمام إلى الراديو فسألته وعرفت منه أن الحرب قد اندلعت بين مصر وإسرائيل. كان من المفروض وفق البرنامج الموضوع والمقرر سلفا أن يكون المهندس هارولد شبيجل في انتظاري لدي وصولي إلى القاعدة، وخمنت وكان تخميني صحيحا إنني لن أجده لأنه وكما يبدو من اسمه من أصل يهودي. وبالفعل كان هناك شخص آخر في انتظاري وأبلغني اعتذار السيد هارولد شبيجل وأنه كلف بمرافقتي نيابة عنه. إن قاعدة الطيران في سانت لويس تضم عددا من المصانع والأقسام ويحظر على المواطن الأمريكي الانتقال بين أقسامها بدون تصريح يخوله هذا الحق. من هنا كان على مرافقي أن يودعني عند نهاية الحدود المسموح له بها ثم يقوم بتقديمي إلى زميله الآخر وهكذا إلى أن تنتهي زيارتي لأقسام القاعدة المصرح لي بزيارتها.

أثارت لكنتي اللغوية فضول واحد ممن رافقوني في الزيارة ولم يكن يعلم كنهي أو ماهيتي فقام بسؤالي عن جنسيتي، وعندما عرف إنني من مصر صرخ مفزوعا وسألني ماذا تفعل هنا؟! غير أنه تدارك أنه قد تجاوز في سلوكه فاعتذر وقدمني إلى زميل آخر حتى انتهت زيارتي لقاعدة سانت لويس للطيران التي أطلقت منها وكالة ناسا أول صاروخ إلى الفضاء. كنت أتابع أحداث الحرب أثناء زياراتي للمصانع بالاستفسار من العاملين الذين كانوا يتابعونها عن طريق الترانزيستور. كان معظمهم من اليهود. كانت ردودهم تزيد من همومي، ورغم ذلك لم أقاوم رغبتي في التعرف على أخبار القتال. كان الرأى الغالب لدى الأمريكان أنهم قد انتصروا

على الاتحاد السوفيتي وكأن الحرب كانت بينهما ونسب الأمريكان انتصار إسرائيل إلى أنفسهم. كانت بعض المصانع التي أقوم بزيارتها تقوم بتصنيع بعض الأسلحة والذخيرة وكنت أتخيل هذه الأسلحة وهي تستخدم في تدمير وقتل القوات المسلحة المصرية. كنت في جميع جولاتي لا أتوقف عن الحديث عن القضية الفلسطينية وحق مصر في غلق مضيق تيران ومدى انحياز الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل. انتهيت من زيارة أربعة مصانع وقاعدة الطيران بسانت لويس وتوجهت بعدها إلى نيويورك للاشتراك في مؤتمر الصلب وإلقاء البحث الذي أعددته لهذه المناسبة العلمية الكبيرة، ثم استئناف زيارة المصانع.

أيامي في نيويورك :

كان من المستحيل أن اكون في نيويورك في ظل الظروف التي طرأت بعد اندلاع الحرب بين مصر وإسرائيل، وألا أذهب إلى هيئة الأمم المتحدة ومتابعة جلساتها التى تتبارى فيها الوفود بالكلمات بعد أن سكتت الصواريخ والمدافع. تابعت حديث مندوب المملكة العربية السعودية الذي بدأ بالبحث فى جيوبه عن الكلمة التي أعدها ولم يجدها فارتجل على سجيته كلمة غير دبلوماسية اضحكت أعضاء الوفود الذين استمعوا إليه. كانت كلمة أبا إيبان تباع في نيويورك مسجلة على إسطوانات . كان هناك من يجمع التبرعات وينادي ادفع دولارا تقتل عربيا وكانت محال السندوتشات قد صنعت سندوتشا محشوا بلسان مع جزء صغير من المخ أطلقت عليه سندوتش ناصر. هكذا كانت نيويورك تفيض بالكراهية للعرب وتأييد إسرائيل. رغم كل ذلك لم أفقد إيماني في أننا قادرون على تخطي الهزيمة وسوف نرفع رؤوسنا مرة أخرى وسوف ننتصر للحق العربي، وسوف نلحق الهزيمة بإسرائيل ومن يساندها. كان غضبي هائلاً وشعوري بالمرارة زائدا عن قوة تحملى. كان حبي

لبلادي، لعروبتي واعتزازي بتاريخي هو مصدر أملي وكنزي. وجدت نفسي مصرا أكثر من أى وقت مضي على العودة والمساهمة في القضاء على هذا الكابوس المتمثل في نظام الحكم الذي يدعي تبنيه للثورة بينما هو في الحقيقة يلهو بها وبنا، وحملته مسئولية الهزيمة النكراء التي منينا بها. رأيت أن العمر الإفتراضي لهذا النظام قد انتهي وأننا في حاجة إلى ثورة جديدة أطلقت عليها ثورة الأحرار كتبتها وأنا في نيويورك ثم أرسلتها بعد ذلك إلى القاهرة أحاول نشرها في جريدة الشباب العربي.أذكر هنا جزء منها:

يا ثورة الأحرار:

احرقي الجاهل إن خد بنفسه قرار واحرقي العالم إذا اشتغل زمار

ومدي إيدك للشباب اللي انكوي بالنار يحرسك من الأئمة ومن شيوخ الزار

يا ثورة الأحرار:

إنت قفطان وطين وزرع ودين إنت أمل انتظرناه من سنين

إنت أنا وإبني وأخويا وكل الكادحين انسي العواطف والقرايب وعاقبي كل المفسدين

خللينا نقدر نقول إننا في ثورة بس احنا مش داريانين

هذا ومن سخريات القدر أنني ذهبت وأنا في نيويورك لتناول الغداء في أحد المطاعم ، وفي المطاعم الكبيرة عادة ما يقف الرواد ينتظرون من يجلسهم. وفي ساعات الذروة يكون من الصعب تخصيص مائدة للقادم بمفرده، من هنا تقدمت إلَيَّ السيدة المنوط بها استقبال رواد المطعم ورعايتهم تسألني إن كنت أوافق على مشاركة آخر في المائدة وعندما عبرت لها عن موافقتي شكرتني وقدمت لي من كان قد طالت وقفته، وينتظر الفرج ليعثر على من يوافق على مشاركته في المائدة فتقدم هو الآخر وشكرني ثم توجهنا سويا إلى المائدة كأننا أصدقاء ولسنا غرباء. كان

شخصا لطيفا مهذبا ومثقفا مما أدى إلى استمتاعنا بالصحبة غير المتوقعة لكنه كما يبدو كان قد اكتشف هويتي عندما تجنبت الأطباق التي تحتوى على لحم الخنزير في إختياراتي هذا علاوة بالطبع على هيأتى ولكنتي ففاجأنى بقوله: « مين يصدق إن واحد عربي وإسرائيلي يجلسون معا على نفس الطاولة « تحول حديثنا بالطبع بعد أن فاجأني بهذه الجملة إلى مشكلة الشرق الأوسط والحرب التي انتهت توا بهزيمة مصر ... غير أن كل منا قد تمالك أعصابه حتي انتهينا وافترقنا. واتجهت أثناء خروجي من المطعم صوب السيدة التي أجلستنا معا على نفس الطاولة وقلت لها: « أنا لازم أقول ليوتانت عليكِ » فزعت السيدة وتصورت أنها قد ارتكبت خطا فادحا غير إنني طمأنتها بعد أن كسوت وجهي بابتسامة مصطنعة وقلت لها « ذلك لأنك نجحت فيما فشل فيه يوتانت فقد أجلست عربيًا وإسرائيليًا على طاولة واحدة » .

انتهاء برنامج زيارة المصانع :

غادرت نيويورك وسافرت إلى مدينة بافلو بولاية نيويورك لزيارة مصنع سبائك التيتانيوم يوم ١٢/ ٦/ ١٩٦٧ كما هو مقرر في برنامج الزيارة. أقلتني سيارة أجرة إلى المصنع وبعد خروجي من السيارة وجدت مدير المصنع واقفا بالباب في انتظاري. فاجأني بقوله « أستاذ رسول نحن نعتذر عن زيارتك ونعتقد أن مصنعنا يقع خارج اهتماماتك » قمت بالرد عليه وأفهمته أن هذه الزيارة سبق الاتفاق عليها مع الجامعة وأنني وحدي الذي يقرر ما إذا كان نشاط المصنع يقع ضمن اهتماماتي أم لا ؟! هنا لم يتمالك نفسه ورد على محتدا ألم تقطع مصر علاقتها مع الولايات المتحدة وطالما الأمر كذلك فأنا لن أسمح لك بزيارة المصنع وتركني مهرولا إلى مكتبه في الطابق العلوي من المبني الإدارى. أثار سلوك هذا المدير رغبتي في معرفة ما إذا كان يهوديا أم لا ! وتفتق ذهني إلى التوجه لموظفة الاستقبال الموجودة في مدخل المبني الإدارى

وسألتها عن نوع الكنيسة التي ينتمي إليها سيادة المدير، وأجابت بأنه ينتمي إلى الكنيسة الإنجيلية وعرفت فيما بعد أن الكنيسة الإنجيلية في أمريكا تعتبر من أشد الكنائس تعصبا لليهود. حاولت الاستفادة من وجودي في بافلو وحاولت القيام بزيارة مصنع آخر لكنني فشلت لصعوبة حصولى على الموافقة خلال ما تبقي لي من وقت. انتهي بي الأمر إلى الاستمتاع بمشاهدة شلالات نياجرا من الجانب الأمريكي. يبدو أن ما حدث من مدير مصنع سبائك التيتانيوم قد وصل إلى الكلية في مانهاتن مما أدى إلى تدخلهم الأمر الذى أدى إلى حسن استقبالي فى كوكومو بولاية إنديانا . غادرت بافلو في اليوم التالي للزيارة أي في ١٣/ ٦/ ١٩٦٧ لأصل كوكومو في نفس اليوم وبحثت عن فندق متواضع يتناسب مع ميزانيتي وفي اليوم التالي ذهبت إلى مصنع إنتاج التانتالوم التابع لشركة يونيون كاربيد لأجد رجال العلاقات العامة متأهبين لاستقبالي وتكريمي وفاجأوني بسؤالهم عن اسم الفندق الذي أقمت فيه لأنهم أخذوا يبحثون عني في معظم الفنادق المعروفة في كوكومو لكي يحتفوا بي غير أنهم للأسف لم يعثروا على في أى منها . وعندما أخبرتهم عن اسم الفندق الذي أقيم فيه استهجنوا هذا نظرا لتواضعه وأصروا على نقلي منه وأخفيت بصعوبة شعورى بضيق ذات اليد رغم رغبتهم في تكريمي حيث إنني الذى سيتكبد مصاريف الفندق المرتفعة، هكذا دفعت ثمن تكريمي. وخلال زيارتي لمصنع التانتالوم تبين لي أن المصنع يضم قسما لإنتاج كربيد الكالسيوم، وهذه المادة بالتحديد لي معها ذكريات منذ طفولتي لذا طلبت زيارة هذا القسم والذي لم يكن للأسف مدرجا بين الأقسام المسموح لي بزيارتها. وعدوني بالحصول على الموافقة خلال زيارتي للأقسام الأخرى. كانت سعادتي كبيرة حين أبلغوني بالموافقة على زيارتي لقسم إنتاج مادة كربيد الكالسيوم. انتهت زيارتي للمصنع بحفلة توديع تسلمت خلالها بعض الهدايا التذكارية وقاموا بعد ذلك بتوصيلي إلى المطار. إننى

أتصور أن الفارق الكبير بين ما رأيته هنا في كوكومو وبين ما حدث معي في بافلو لابد أنه قد جاء نتيجة تدخل الكلية وتوصيتهم بحسن معاملتي. كانوا في الكلية يعيشون معي في جميع مراحل سفرى، وكانت زيارتي لمصنع التانتالوم هي بالفعل مسك الختام .

رحلة العودة إلى مانهاتن كانساس وبدايتى مع التدخين :

كانت عودتي إلى مانهاتن هذه المرة هي بمثابة العودة إلى عالم آخر. عالم تغير فيه كل شيء بالنسبة لي بعد الهزيمة المرة التي لحقت ببلادي. كنت أشعر بعار الهزيمة وأشعر بالعجز لأنني لم أتمكن من الدفاع عن بلادي سوى بالكلام الذي لا يودي ولا يجيب على رأي المثل. زاد إيماني بضرورة العمل على تغيير نظام الحكم الذي حمّلته مسئولية الهزيمة. زاد إيماني بضرورة القيام بالثورة التي أدعو إليها وأطلقت عليها ثورة الأحرار. وزادت رغبتي في العودة لكي أشترك في إعادة الروح التي انكسرت في مصر على أثر الهزيمة المرة التي لحقت بنا ولصدمتنا الكبرى في ثورة أيدناها بكل جوارحنا وتخلت هي عنا وعن مبادئها .

أقلعت طائرتي من مطار كوكومو إلى مطار شيكاغو لأستقل بعد ذلك طائرة أخري إلى مدينة كانساس ثم أركب طائرة ثالثة لتقلني إلى مانهاتن . وأثناء نزولي من الطائرة في شيكاغو فوجئت بواحد من ركاب الطائرة يتودد لي ويحيينى «هاى دك» وكلمة «دك» هي اختصار كلمة دكتور ورددت عليه تحيته بتحفظ شديد نظرا لأنني لم تكن لدي أدني رغبة في الحديث مع أى أحد . كانت حالتي بعد ما رأيته وتناولته بالحديث خلال رحلتي التي بدأت ٢/ ٦ وانتهت في ١٥/ ٦ أى طوال أسبوعين قد أوصلتني إلى حالة الاكتئاب الشديد، والذي كان واضحا على ملامحي. غير أن هذا الشاب الذي حياني وأبدى رغبته في التواصل معي بدعوته لي على مشروب في

كافتيريا المطار، ذلك لوجود فسحة من الوقت تقدر بحوالي ثلاثة ساعات لحين إقلاع طائرتنا ومن ثم اقترح أن نقضيها في الجلوس معا لمزيد من التعرف. لم يجد هذا الشاب فيّ سوي الرغبة في الإنفراد بنفسي واعتذرت عن جميع عروضه واقتراحاته ووصل بي الأمر أن سألته كيف عرف انني دكتور ورد على سؤالي بإجابة مقنعة وهي أنه سمع المضيفة ترحب بي بهذا اللقب. كان بودي أن أتجاوب مع هذا الشاب الودود وأقبل دعوته غير أن حالتي النفسية لم تكن تسمح لي على الإطلاق بإجراء أى أحاديث ودية أو بأي تبادل للعواطف. سألته إن كان قد شاهد مركز مدينة شيكاغو وعندما نفي ذلك اقترحت عليه أن يركب أتوبيس المطار ليذهب ويشاهد مركز المدينة ويعود وبذلك يكون قد استفاد من الوقت بطريقة أفضل.هنا تأكد الشاب من أنه لا فائدة من استمراره المحاولة وشكرني وافترقنا. مرة أخرى فكرت في أن تكون المحاولة التي قام بها هذا الشاب هى من ضمن محاولات المسئولين عن البرتوكول لرفع معنوياتي التي يعلمون جيدا كم كنت في حاجة إليها خلال هذه المحنة التي ألمت بي.

وصلت مطار كانساس وفكرت في الحياة التي تنتظرني في مانهاتن وكيف أواجه زملائي وأصدقائي وبالذات مجموعة الطلاب في النادي .... إلى آخره . تغير في نظري كل شيء ... كل شيء حتى معاني الكلمات قد تغيرت والهواء الذي أتنفسه قد تغير ومذاق كل الأطعمة والمشروبات بما في ذلك طعم الماء في حلقي قد تغير . وجدت نفسي مدفوعا وأنا في مطار كانساس إلى شراء بايب وكيس دخان أمفورا وقررت أن يرافقني البايب في وحدتي . وأن يكون هو أنيسي في خلوتي وهكذا وصفت لنفسي دواءا يساعدني على الخروج من حالة الاكتئاب التي انتابتني وحتي أتمكن من استئناف حياتي الجديدة في مانهاتن .

الاعتكاف والصدمة :

وصلت إلى مانهاتن كانساس . دلفت إلى منزلي كأحد اللصوص . لم أرغب أن يراني أحد . مكثت بالمنزل بضعة أيام إلى أن تمالكت أعصابي وأصبحت إلى حد ما مستعدا لمواجهة من يقابلني في الكلية أو في النادي. كنت أري بالطبع بعض زملائي من المصريين أثناء فترة الاعتكاف. تبادلنا الأحاديث والمعلومات، تابعنا جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة وجلسات مجلس الأمن. كان ذهابي لمكتبي في البداية خلسة. وكانت عودتي منه أيضا كذلك. كنت أتهيب الذهاب إلى النادي ومواجهة مجموعة الطلاب الذين يعرفونني وتعودوا على مشاركتي لهم في حواراتهم ومناقشاتهم. لذا تجنبت النظر جهة المائدة التي يجلسون عليها. ولن أنسي ما حييت ما حدث معي حين دخلت مرة إلى النادي لأتناول غذائي ولاحظت تجمعا غير عادى حول المائدة التي يجلس عليها الطلاب. أرهفت السمع وأمعنت النظر وعرفت أنهم يديرون حوارا حول الحرب التي دارت رحاها في الشرق الأوسط بين مصر وإسرائيل. اقتربت منهم ووجدت شخصا يتحدث إليهم بينما الجميع يصغون إليه باهتمام شديد كان يعبر عن وجهة نظر إسرائيل. لم أجد بدا من الانضمام إليهم وبالذات بعد أن شاهدني من بينهم من تعرف علي. سيطرت على أعصابي حتى توقف المتحدث عن الحديث الذى عبر فيه عن وجهة نظر إسرائيل. كان حديثه كما يبدو قد وجد استحسانا لدي أغلب الحاضرين . فرض هذا الموقف على التدخل وانتهى الأمر. كنت أجيد ثقافة الحوار وأتقنتها من خلال إقامتي القصيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأعرف أن إرتفاع نبرة الصوت والتشنج تكون نتيجتها خصما من المتحدث وتؤدي به إلى الخسران. لذا كنت حريصا على التحدث بهدوء ومنطق وروية.

بدأت مداخلتي بتوجيه سؤال إلى جموع الحاضرين « الآن بعد أن استمعتم إلى وجهة النظر الإسرائيلية هل ترغبون فى الاستماع إلى وجهة النظر الأخرى ؟! » . كان لسؤالي هذا وقع السحر عليهم فأبدوا رغبتهم وترحيبهم بالاستماع إلى وجهة النظر الأخرى التي أمثلها. بدأت في تفنيد كل ما جاء في حديث من سبقني من أكاذيب ونجحت في محو كل أثر لحديثه من أذهان الحاضرين. وفجأة سمعت صوتا نشازاً يأتي من خلفي موجها كلامه للمحتشدين، ومؤيدا لرأي من سبقني في الحديث. استمر هذا الصوت النشاذ منطلقا وكانت صدمتي كبيرة بالذات عندما بدأ الحديث تارة بالعربية وتارة أخرى بالإنجليزية مدعيا أنه عربي. لا أدري كيف سيطرت على أعصابي ومنعت نفسي من الانقضاض على هذا الأفاق مدعي العروبة لأزهق روحه . لكنني تجلدت وواصلت هدوئي وقلت للحاضرين : إنه ليس سوي إسرائيلي يتحدث العربية. انتهت مداخلتى وبقدر ما شعرت به من مرارة بقدر ما شعرت به من راحة نفسية لأنني لم أتقاعس عن القيام بواجبي واشتركت في جلسة الحوار التي كان من الممكن أن تنتهي دون توضيح لوجهة النظر العربية .

الخيار الصعب :

قطعت مصر علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية أثر الحرب مع إسرائيل. كان معظم الأمريكيين ينظرون إلى هذه الحرب وكأنها حرب بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي يرون أن الولايات المتحدة هي التي كسبت الحرب. من هذا المنطلق كان الواجب يحتم على مصر قطع علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية. غير أن الواقع يؤكد أيضا أن هناك بعض الأمريكيين ممن يرون غير ذلك أذكر هنا على سبيل المثال صديقي دوايت نيزميث الذي تعودت أنا وهو

أن نحسم خلافنا بمباراة إما في تنس الطاولة أو في البلياردو. أذكر في هذا المقام ما قاله لي نظرا لأهميته : « ياسيد هو إنتم كسبتم الحرب واحنا قلنا حاجة ؟!» هذه الجملة على ما فيها من بساطة تعبر عن الروح الأمريكية فالشعب الأمريكي بطبيعته يكره المهزوم ويحب المنتصر إن هذه الروح التي يتسم بها الشعب الأمريكي والتي عبر عنها دوايت نيزميث بتلقائيته المعهودة ذكرتني بجدي لأبي الذي كان يفرق بين أبنائه في المعاملة حيث كان يفضل الابن الناجح على غير الناجح بصرف النظر عن المسببات والأسباب .

كان لقرار قطع العلاقات أثره بالطبع على البروتوكول الذي حضرت أنا وزملائي بناء عليه حيث أصبح هذا البروتوكول ملغيا من تلقاء نفسه. من هنا طلب الدكتور مكنول – المسئول عن تنفيذ البروتوكول – الاجتماع بكل واحد منا على حدة ليسأله ما إذا كان يفضل الاستمرار في الإقامة بالولايات المتحدة الأمريكية أو العودة إلى مصر. عبر واحد منا فقط هو الدكتور يحي السيد عن رغبته في الاستمرار في الإقامة في الولايات المتحدة. اختار الجميع الاستمرار حتى الانتهاء من الغرض الذي حضروا من أجله وبالذات بالنسبة لطلاب الدكتوراه. اختار الدكتور عوض صالح العودة بعد انتهاء المدة المقررة له وفق البروتوكول. أما أنا فكان اختياري مختلفا بعض الشيء وكان يتلخص في إنني أرغب في العودة بعد أن أكون قد حصلت من العلم وتزودت بالخبرة الكافية التي تمكنني من خدمة بلدي بطريقة أفضل . حقق الدكتور مكنول لكل منا رغبته . استمر الدكتور يحيى السيد وأسرته في الإقامة وحصلوا فيما بعد على الجنسية الأمريكية. عاد الدكتور عوض صالح إلى أسيوط عام ١٩٦٨ ، وعدت أنا بعده بعام تقريبا في ١٩٦٩ ، وعاد الطلاب تباعا إلى أسيوط بعد حصولهم على درجة الدكتوراه.

أذكر عندما طلبني الدكتور مكنول لسؤالي وكنت قد علمت من زملائي الذين سبقوني فحوى سؤاله، إنني كنت قد طرحت أمام نفسي سؤالا : ما هو هدفي في الحياة ؟! كانت إجابتي لنفسي على هذا السؤال تتلخص فيما يلي : إنه إذا كان هدفي في الحياة هو أن أكون عالما فإن تحقيق ذلك يتطلب البقاء في الولايات المتحدة الأمريكية حيث إمكانيات البحث ومصادر المعرفة متوفرة والطريق أمامي مزينا بالورود، وإذا كان هدفي هو أن أكون مليونيرا فإن ذلك أيضا يستلزم البقاء في أمريكا حيث فرص الإستثمار وباب الثراء الشريف مفتوحة على مصراعيها، غير أن إجابتي كانت لا هذا ولا ذاك، إذ كان هدفي في الحياة هو أن أصل ببلادي إلى المكانة المرموقة التي تليق بها بين مختلف الدول. من هنا فإن مشاركتي في تحقيق هذا الهدف تحتم عليَّ العودة إلى مصر للمساهمة في إعادة بناء الوطن وبالذات بعد أن قررت العمل من أجل تغيير نظام الحكم والإعداد لثورة الأحرار التي أحلم بها. هذا ومن الجدير بالذكر إنني في غمار كل هذه الخواطر والأفكار كنت دائما ومازلت أري أنه لا يليق بالإنسان الحر أن يترك بلاده لا لشيء إلا لأن ينعم بالعيش والرفاهية في بلد آخر لم يساهم هو في تحقيق هذا النعيم الذي يطمع أن يعيش في كنفه. كما إنني أري دائما ومازلت أري أنه ليس من حق الإنسان أي إنسان أن يتخذ قرارا بالإنابة عن أبنائه وأحفاده وأن يغير لهم جنسيتهم وديانتهم ومصيرهم بسبب عجزه عن تحقيق الحياة الكريمة لنفسه في بلاده. أرسلت إلى جامعة أسيوط طلبا لمد مهمتي العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكما أعلنت فيه تنازلي عن مرتبي طوال فترة المهمة العلمية.

نشاطي العلمي في مانهاتن وكانساس :

لم يكن لدي ما يكفي من الوقت لكي أتمكن من تحقيق طموحاتي العلمية. كنت

مضطرا لأصل الليل بالنهار من أجل تحصيل أكبر قدر من العلم والمعرفة واكتساب الخبرات التي افتقر إليها. واصلت عملي في قسم الهندسة النووية بجانب عملي في قسم الهندسة الصناعية. طلب الدكتور والتر ماير نائب رئيس قسم الهندسة النووية مني أن أشاركة في الإشراف على أحد طلاب الدراسات العليا بالقسم وكان اسم الطالب لابل ويبدو انه من أصل فرنسي. اخترت للطالب موضوع « تأثير الإشعاعات النووية على تحلل المركبات الصلبة » أصبحت أشرف على طالبين الأول كان بقسم الهندسة الصناعية وكان موضوع رسالته « انتشار النحاس المشع في شرائح الصلب » كان بالاشتراك مع دكتور هوستتر وكان اسم الطالب سايبل جانجولي وهو من الهند وكان يجري معظم تجاربه في قسم الهندسة النووية نظرا لاستخدامه النحاس المشع في تجاربه. كنت في نفس الوقت أداوم على زيارة مكتبة الجامعة وكانت تضم العديد من المراجع والمجلات العلمية علاوة على ما تقدمه من خدمات للباحثين عندما يتطلب الأمر استعانتهم بإمكانيات المكتبات الأخرى في مختلف أنحاء الولايات. ظهرت ماكينات التصوير الزيروكس في تلك الفترة وتمكنت بواسطتها من تصوير المئات من الأبحاث في المجالات التي تقع في دائرة اهتمامي حتي استعين بها بعد عودتي إلى مصر حيث أتوقع ندرة المراجع وعجز الامكانات. شرعت في نفس الوقت في القيام ببحث يعتبر في تلك الفترة بمثابة براءة اختراع كان يهدف إلى الاستفادة من غاز الأرجون الناتج في محطات إنتاج الأكسجين في مصانع الحديد والصلب – منتج ثانوي – في التخلص من الغازات الذائبة. اعتمدت الكلية ميزانية مؤقتة لإجراء التجارب في حدود ألف دولار عام ١٩٦٨ . كنت أقوم بإجراء التجارب بمفردي دون مساعد مما أدي إلى عدم تمكني من الانتهاء من التجارب قبل مغادرتي الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٩ . كم أسفت وسررت في نفس الوقت حين اكتشفت أثناء زيارتي لأحد مصانع الصلب

التابعة لشركة كروب في ألمانيا خلال عام ١٩٧٩ أنهم نجحوا في تطبيق نفس الفكرة التي كنت بدأت إجراء تجاربها عام ١٩٦٨ في قسم الهندسة الصناعية بالولايات المتحدة الأمريكية ويستخدمونها بالفعل وبنجاح في مصانعهم .

كانت جامعة ولاية كانساس تعرف قدرى وتتمسك بوجودي لذا حضر رئيس قسم الهندسة الصناعية دكتور تيلمان وعقد معي جلسة ودية يحاول فيها إثنائي عن عزمي بالعودة محاولا إقناعي بالاستمرار في العمل معهم. وأعرب عن درايته وتأكده من قتامة ما سوف ألاقيه في مصر فكان ردي عليه: « إنها بلادي التى أنتمي إليها » كانت دهشة دكتور تيلمان كبيرة وكان رده عليَّ هو الآخر ردا مدهشا حيث قال : « ياسيد إنني أعتبر البلد الذي يوفر لي سبل العيش الكريم والراحة هو بلدي» وكانت هذه آخر محاولة بذلتها الكلية معي فى سبيل إبقائي وعدم عودتي.

الطالب الأمريكى :

كنت أقوم بتدريس مادة المواد الهندسية لمجموعتين من طلاب الصف الثاني بالكلية .كانت مهمة عضو هيئة التدريس تختلف في الجامعات الأمريكية عنها في الجامعات المصرية. كنت مسئولا بالكامل عن إجراء الإمتحانات للطلاب سواء عن تحديد مواعيدها أو إظهار نتيجتها، وإعلانها للطلاب. كان الطالب يعرف منذ البداية مواعيد الامتحانات والتوزيع الزمني للمقرر على مدار الفصل الدراسي. كانت المحاضرات تبدأ في مواعيدها المحددة، ولم يحدث أن حضر طالب بعد دخولي إلى قاعة الدرس ولم يحدث أن اعتذر طالب عن التقدم إلى السبورة لحل إحدى المسائل مهما كان السبب . كانوا طلابا مثاليين غاية في الأدب والجدية والإلتزام. كانت التربية المنزلية والمجتمعية وراء ما لمسته من نظام واحترام. لم أصادف حالة كذب واحدة خلال فترة إقامتي في الولايات المتحدة . كانت علاقتي بطلابي هي

الأخرى تعكس الحب والاحترام والإعجاب المتبادل. أذكر أنني لاحظت أن أحد الطلاب رغم انتهاء الوقت المقرر للامتحان كان لديه ما يرغب في إضافته فاقترحت عليه مصاحبتي إلى مكتبي لأعطيه الفرصة نظرا لضرورة إخلاء القاعة. هذه الواقعة كانت السبب في تأكدي من حضور الطالب للامتحان ومن إنني استلمت ورقة إجابته. بعد تصحيحي أوراق الإجابة وقيامي برصد الدرجات لم أجد لهذا الطالب ورقة إجابة بين الأوراق رغم إنني أذكر جيدا واقعة حضوره معي إلى مكتبي واستلامي ورقته . تعودت بعد توزيعي أوراق الإجابة المصححة على الطلاب أن أكتب لهم الإجابات الصحيحة على السبورة وأعطي لكل واحد منهم فرصة للاستفسار حتى يتعرف على أخطائه ويقوم بتصحيحها . وجهت حديثي إلى الطالب الذي لم أعثر على ورقة إجابته وقلت له : « أنا متأكد من إنني استلمت ورقتك ولكنني للأسف لم أعثر عليها وأقترح إن لم يكن لديك مانع أن أضع لك في هذا الامتحان نفس الدرجة التي حصلت عليها في الامتحان السابق وكانت ٥٦ من المائة . غير أنه فاجأني بقوله : «هذه المرة أنا أجبت بصورة ممتازة وأستحق درجة تزيد كثيرا عن هذه الدرجة » استمريت في حواري مع الطالب بنفس الالتزام الأدبي وسألته عن الدرجة التي يقدرها لنفسه على ضوء الإجابة الصحيحة المعلنة ؟ قال الطالب « إنني استحق ٩٤ من المائة » وكان ردي هو « لك هذا سوف اكتب لك هذه الدرجة » وكتبتها له بالفعل. مرت الأيام وعثرت بالصدفة على ورقة الطالب وكم كانت سعادتي عندما صححتها وحصل الطالب على ٩٦ من المائة ...!

إن هذه الواقعة قد حفزتني إلى محاولة التعرف على حقيقة أخرى تتعلق بالطالب الأمريكي، ونظام تقييمه. إذ من الشائع في الجامعات الأمريكية عندما يقوم الأستاذ بتدريس نفس المادة لأكثر من مجموعة أن يضع الأستاذ نفس الامتحان

رغم علمه وعلمهم بأنهم سوف يؤدون الامتحان في موعدين مختلفين بينهما فسحة من الوقت تكفى لتسرب الامتحان. تطلب مني هذا الأمر عمل استقصاء للرأي بين الطلاب خرجت منه بمزيد من الإعجاب بالطالب الأمريكي وبالمجتمع الذي يعيش فيه ويبث فيه تلك القيم. كانت إجابات الطلاب جميعهم تقر بمعرفتهم المسبقة بظاهرة الامتحان الموحد ولا يقومون رغم ذلك بأي محاولة للتعرف المسبق على الامتحان ويعتبرون أن القيام بذلك يكون مخالفا للقيم والأخلاق الأمريكية وأكدوا جميعا على أنهم يرفضون أن ينالوا درجات لا يستحقونها عن جدارة وأن حصولهم على أكثر مما يستحقونه من تقدير سوف يؤدي إلى خسارة كبيرة لهم في المستقبل حين تنكشف حقيقتهم. كم أود أن ينال طلابي في مصر قسطا من هذا الإعجاب!

محاضرة عن الإسلام في نادي ٤هـ للشباب:

كان الموسم الثقافي للجامعة يزخر بالعديد من المحاضرات العامة. حضرت إحدي هذه المحاضرات التي ألقاها أحد الأساتذة الباكستانيين وتحدث فيها عن الإسلام. قال الأستاذ الباكستاني إن على المسلمين أن يتوجهوا إلى الله بالدعاء حتي يمكنهم من حل مشاكلهم وتغيير أوضاعهم وتحقيق أهدافهم . قمت بالتعليق على ما قاله غير أنه فاجأني بتأكيده وتمسكه بأن الدعاء وحده كفيل بأن يحل لنا كل مشاكلنا. من هنا عندما بلغني أن نادي ٤هـ للشباب قرر دعوتي لإلقاء محاضرة لأعضائه عن الإسلام لم أتردد في تلبية دعوتهم. كان ذلك في ٥ يونيو ١٩٦٨ أي أنه صادف ذكرى النكسة هذا ومن الجدير بالذكر أن شعار النادي هو: رأسي لأفكر بها أحسن، قلبي لولاء أعظم ، يداي لخدمة أكبر، صحتي لحياة أفضل. من هنا نجد أن حرف الهاء قد تكرر أربع مرات في الترجمة الإنجليزية للكلمات رأس ، قلب ، يد ،

صحة ومن هنا أصبح النادي هو نادي ٤ هـ للشباب. وقد أنهيت محاضرتى بما يلي :

« أود أن ألفت نظركم إلى إنه على المسلم أن يتحمل مسؤولية نفسه كاملة أمام الله مسترشدا بتوجيهات الله حيث لا ينوب إنسان عن الآخر ولا يتوسط فرد لفرد أمام الله فالإيمان في الإسلام لا يعتبر كاملا ما لم يصحبه العمل ولا مثوبة في الإسلام ما لم يترجم الإنسان إيمانه إلى أعمال ويترجم عقائده إلى حقائق وبمعني آخر فإن الإسلام يتفق مع الدعائم الأربع التى ترتكزون عليها فى ناديكم والتى تمثل شعاركم وهى : رأسي لأفكر بها أحسن ، قلبي لولاء أعظم ، يداي لخدمة أكبر ، صحتي لحياة أحسن لله وللبشرية جمعاء».

زيارة محمية الهنود الحمر:

كانت ولاية كانساس من الولايات القليلة التي تضم إحدى المحميات المتناثرة في بعض الولايات للهنود الحمر. اقترح مجموعة من الطلاب النشيطين تنظيم رحلة إلى هذه المحمية ورحبت بالطبع بالاشتراك معهم . كنت أرغب في التعرف على الهنود الحمر السكان الأصليين للولايات المتحدة الأمريكية . كنت قد قرأت عنهم وشاهدت بعض الأفلام الأمريكية التي كانت تظهرهم دائما في صورة الإنسان الهمجي والمتوحش الذي يبث الرعب في قلوب المستوطنين البيض. كان يتردد ومازال يتردد على مسامعنا بأن مصير العرب في فلسطين سوف يكون مماثلا لمصير الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية .

وصلنا إلى المحمية التي كانت تضم العشرات من الأسر ، كان نمط الحياة في المحمية تقريبا هو نفس نمط حياة الهنود الحمر الذي نشاهده في الأفلام الأمريكية. قضينا معظم اليوم في الحديث معهم ، استضافنا زعيمهم وكان اسمه على وجه الغرابة وايت مان الأمر الذي أثار فضولي وسألته عن كنه هذا الاسم ، فكانت

إجابته في غاية البساطة والوضوح وهي أنه عندما تم العثور عليه وهو طفل كان معه طفل آخر داكن اللون، من هنا قرروا أن يطلقوا عليه اسم وايت مان وأطلقوا على الآخر اسم بلاك مان .

كانت الدعوى المرفوعة ضد الحكومة الأمريكية الفيدرالية من قبل زعماء الهنود الحمر ويطالبون فيها بالتعويض ما زالت متداولة ولا أعرف حتى الآن ماآلت إليه. ومن الواضح أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية رغم ما فعلته تجاه الهنود الحمر مازالت تتباهي باحترامها وحرصها ودفاعها عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان لا في الولايات المتحدة الأمريكية فقط بل في جميع أنحاء العالم وعجبى!

مانهاتن كانساس ... وأنا :

رغم مضي أقل من عام على حضوري إلى مانهاتن كانساس غير أن الأمور بها والحياة فيها قد تغيرت، وحتى أكون أكثر دقة فإنها قد تغيرت على الأقل بالنسبة لي. فالأساتذة الأمريكيون الذين سبق لهم العمل في هندسة أسيوط هم أنفسهم المستمرون في دعوتنا لزيارتهم غير أن الحديث معهم لم يعد قاصرا على ذكرياتهم الجميلة عن جامعة أسيوط وشعب مصر، إنما أصبح يتطرق إلى ما حدث لزملائهم الذين حلوا محلهم في أسيوط عندما بدأت الحرب وقطعت العلاقات مما اضطرهم إلى ترك منازلهم ومتاعهم في أسيوط وتم ترحليهم بسرعة إلى خارج البلاد. كان الدكتور مكنول بدوره يحدثني عن النقود المصرية التي كانت بحوزتهم في مصر وخرجوا بها دون أن يستفيدوا منها ولا يعرفون الآن ماذا يفعلون بها ، عرضت عليه شراءها وبالسعر الذي يحدده وهنا علمت منه أن البند الخاص بالمعاملة المالية في البرتوكول ينص على أن تكون القيمة التبادلية للدولار هي ستون قرشا. وفي

الوقت الذي تعرض فيه الأساتذة الأمريكيون في أسيوط لبعض المخاطر والخوف كنا نحن في أمريكا ننعم بالاستقرار والأمان. كان ذلك الأمر يزيد من حزني ومن إحساسي بالألم .

كان صديقي دوايت نيزميث مستمرا في نشاطه المسرحي وكنت أتطلع إلى مشاركته إحدى مسرحياته بعد متابعتي للحركة المسرحية في مصر، وهي في أوجها في فترة الستينيات . إختار لي دورا صغيرا في إحدي المسرحيات ، كان المسرح أشبه بمسرح الحجرة يشترك فيه الممثلون والمشاهدون معا في الآداء المسرحي.

كانت دهشتي كبيرة عندما أعلنت الجامعة ضرورة أن يقوم كل عضو من أعضاء هيئة التدريس بها بأداء القسم امام كاتب العدل ، يقسم بأنه لن يقوم بأي عمل يكون من شأنه تهديد نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية ! وحددت الجامعة حدا زمنيا للقيام بهذا الإجراء وذكرت فى بيانها أنها سوف توقف صرف مرتب عضو هيئة التدريس الذي لم يؤد هذا القسم قبل التاريخ المذكور فى بيانها. كانت دهشتي كبيرة لأنني لم أكن أتصور أن يحدث ذلك في بلد تتباهى بالحريات وحقوق الإنسان غير أنني مع دهشتي هذه لم أبال ونفذت الإجراء المطلوب تنفيذه وأقسمت امام كاتب العدل الوارد ذكره. يختلف هنا كاتب العدل عن مفهومنا له في مصر، إذ من المفهوم أن كاتب العدل في مصر مقره الشهر العقاري بينما كاتب العدل في حالتنا هذه يكون أحد الموظفين المشهود لهم بالأمانة والسمعة الطيبة والذي يتم إعداده ليكون كاتب عدل بجانب قيامه بمهام وظيفته الأخرى. كانت السيدة بتي سليمان مديرة مكتب عميد الكلية الدكتور نيفنز هى كاتب العدل في كلية الهندسة. كانت تربطني بها علاقة حميمة من هنا رأيتها فرصة حتى أُرضي فضولي أن أسألها عما إذا كان هناك أحد من أعضاء هيئة التدريس قد رفض حلف اليمين؟ أجابتني بتي

سليمان بنعم وأن هناك بالفعل عضو واحد قد رفض حلف اليمين وسألتها عن اسمه فتبين لي أنها عضو هيئة تدريس بنفس القسم الذي أعمل به أى في قسم الهندسة الصناعية. كانت مفاجأة كبيرة لي أن أجد واحد لم يخضع ورفض أن يحلف اليمين، لذا ذهبت إليها في مكتبها لأعرف منها أسباب امتناعها عن حلف اليمين وأعبر لها عن إعجابي بشجاعتها . كانت دهشتي هذه المرة حقيقية واستمرت معي لفترة طويلة ذلك حين أجابتني بأن السبب وراء امتناعها حلف اليمين هو أنها ملحدة ولا توافق على مصطلح اقسم بالله الوارد في حلف اليمين وأنها قد أقنعتهم بوجهة نظرها ووافقوا بالنسبة لها على تعديل صياغة القسم وأصبح «إنني أعد بدلا من إنني أقسم بالله» عبرت لها على شكري ولم أعبر لها عن إعجابي .

انضم إلى أعضاء هيئة التدريس بكلية الهندسة بجامعة ولاية كانساس وبقسم الهندسة الصناعية عضو من جامعة أيوا هو الدكتور السعيد عاشور بعد حصوله على الدكتوراه في الهندسة الصناعية من جامعة أيوا . كان قد سبق له العمل في مصنع الحديد والصلب بحلوان وسافر ضمن الفنيين إلى ألمانيا لحضور دورة تدريبية وقرر هو ونفر قليل منهم السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال دراستهم فيها على نفقتهم .توطدت علاقتنا وعرفني على أسرته الصغيرة زوجته إفلين وابنته سوزى ثم على أسرته الكبيرة عندما حضر والده ووالدته لزيارته . تواصلت علاقتنا حتى بعد عودتي وكان هو السبب في التحاقي بالعمل بجامعة المنصورة كما سيتضح فيما بعد .

كانت الانتخابات الرئاسية على الأبواب، كان المرشحون لمنصب الرئيس ونائبه يجوبون أنحاء البلاد طولا وعرضا يخطبون ود الناخبين. كانت الجامعات من أهم المنابر التي يؤمها المرشحون. أذكر حضور الحاكم رومني إلى مانهاتن كانساس

وحضورنا أنا ودوايت نيزميث للإستماع إلى خطبته التي قام خلالها بشرح برنامجه ووعوده . كان دوايت نزميث يجلس بجانبي وكنا نتبادل النوادر والقفشات. كانت الجامعة تتعامل بحيادية تامة بالنسبة لجميع المرشحين. وكان وجود أي منهم بمثابة أحد الأعياد غير الرسمية في الجامعة. كان السيناتور روبرت كيندي هو أحد المرشحين لمنصب الرئيس خلال هذه الحملة الانتخابية. كان يتمتع بشعبية كبيرة وهو ما ينطبق على جميع آل كيندي. كان مشهودا له تحيزه لإسرائيل وكان يبالغ في الكثير من الأحيان في التعبير عن شعوره هذا حتى يضمن أصوات اليهود وتمويلهم لحملته الانتخابية. وصل به الأمر إلى استخدام بعض العبارات التي من شأنها أن تحط من شأن العرب وسمعتهم حتى يستدر عطف اليهود وإعجابهم. كان الشاب سرحان بشارة سرحان الفلسطيني من بين الشبان العرب المستائين من سلوك السيناتور روبرت كيندي وتعبيراته ولكنه الوحيد الذى تجرأ وعبر عن هذا الاستياء عندما أطلق النار على روبرت كيندي، وأرداه قتيلا جزاء تحقيره للعرب ثم قام بتسليم نفسه وأعتقد أنه منذ ذلك التاريخ مازال نزيلا فى أحد السجون الأمريكية .

التدريب في المعهد القومي التابع لهيئة الطاقة الذرية بأرجون الينوي :

كان نظام التعاقد المعمول به في معظم الجامعات الأمريكية يتكفل بدفع الراتب لمدة تسعة أشهر فقط في السنة لأعضاء هيئة التدريس، الأمر الذي يعني أن يقوم أعضاء هيئة التدريس بالعمل في أي جهة أخرى للحصول منها على راتب يعوضهم عن الشهور الثلاثة التي لم تدفعها الجامعة. كانت الجامعة بدورها تقدم بعض المعلومات والفرص لتسهيل الأمور على أعضاء هيئة التدريس . قمت بدوري بالبحث عن الاستفادة من شهور الصيف الثلاثة علميا وماديا. وجدت ضالتي في التقدم بطلب للتدريب في معامل الميتالورجي بالمعهد القومي التابع لهيئة الطاقة

الذرية بأرجون البنوي. أجابني المعهد إلى طلبي لكنهم اقترحوا إلحاقي بقسم كيمياء الحرارة العالية ووافقت حيث أن الميتالورجي تتماثل في بعض أبحاثها مع الأبحاث في مجال كيمياء الحرارة العالية غير أنني لم أهتم بالبحث عن إجابة لسؤالي لماذا لم يكُن قسم الميتالورجي ؟

ذهبت في صيف ١٩٦٨ إلى المعهد وكنت قد اتصلت قبل ذهابي برئيس القسم الدكتور ثورن الذى وجدته في استقبالي وقدمني إلى أعضاء قسمه من الباحثين والمساعدين الفنيين . سافرت من مانهاتن إلى أرجون بسيارتي حيث كنت أحتاج إليها للذهاب بها يوميا إلى المعهد . استأجرت مكانا لإقامتي قريبا من المعهد . كانت هناك إجراءات أمنية مشددة لكنهم مع ذلك لم يقوموا أبدا بتفتيش سيارتي رغم أننى كنت في معظم الأحيان أعمل في القسم خلال عطلة نهاية الأسبوع ولساعات متأخرة من الليل. كان ذلك يستوجب الحصول على المفتاح الماستر الذي أستطيع بواسطته فتح جميع الغرف والمعامل في القسم ثم ألقيه بعد انتهائي من العمل من فتحه في الباب الخارجي للقسم بعد أن أغلقه . ورغم إنني لم أكن من العاملين الدائمين بالمعهد لم أجد مع ذلك إلا الاحترام وحسن المعاملة والثقة من جميع رجال الأمن المنتشرين بالمعهد والمتربصين بالبوابات .

أذكر الباحث توم ماكريري الذي كان متزوجا حديثا وعرفت منه أن والده مليونيرا وأن والد زوجته كذلك. دعاني مرة لزيارته في منزل الزوجية فوجدته منزلا بسيطا متواضعا تنقصه أشياء أساسية كثيرة، وعرفت منهما أنهما يرفضان أى مساعدة من ذويهم، ويسعدهما أن يشتركا معا في تكوين عش الزوجية كرسي، كرسي ، وملعقة ، ملعقة أى طوبة .. طوبة فى عش حبنا على رأى شادية !

كان الدكتور ثورن رئيس القسم من هواة الرحلات النهرية، ودعاني مرة إلى

إحدى هذه الرحلات . قابلت أثناء عملي معه بعض العلماء المعدودين الذين كنت أسمع عنهم من المراجع . أتممت خلال فترة الصيف أحد أهم الأبحاث التي أجريتها في حياتي رغم قصر المدة التي مكثتها في المعهد .

كان بالمعهد مكتبتان واحدة مسموح دخولها للجميع، والثانية رغم أنها متاخمة لها لا يسمح بالدخول إليها إلا لمن يحملون تصريحا بذلك . كان يجلس ببابها رجل مسلح وكانت تضم الكتب غير المسموح بتداولها أو الاطلاع عليها إلا لمن يحملون تصريحا بذلك . كانت المكتبة الأولى المفتوحة للجميع تضم بالطبع العديد من الكتب والمجلات الحديثة وكنت أجد بين هذه الكتب بعض ما سبق نقله من المكتبة الثانية إلى المكتبة الأولي . كانت الكتب غير المسموح بتداولها تتحول بعد مضي عدد من السنين إلى كتب يسمح بتداولها، وبالتالي تدمغ بخاتم يوضح تاريخ انتقالها إلى المكتبة الأولى .

كنت أذهب خلال عملي إلى مطعم المعهد لتناول الغذاء وأعود بسرعة لأواصل العمل حتى أتمكن من الانتهاء من التجارب خلال الفترة القصيرة المتبقية . وقعت عيني على سيدة راعني بريق بشرتها الذهبية ويبدو أنها هي الأخرى قد أعجبت بلون بشرتي فاقتربنا أثناء خروجنا من المطعم وسألتها «من أين لك لفحة الشمس الذهبية هذه» أجابت : «أنه حدث إنني كنت قد ولدت في إسرائيل» وعندما لاحظت صمتي عاجلتني بسؤالها عن بشرتي ، جاءت إجابتي مخيبة لكل آمالنا وطموحاتنا . وعندما أردت أن نخرج من هذا المأزق بمعلومة مفيدة حول الصراع بين مصر وإسرائيل لم أجد أمامي إلا أن أقول لها « قبل حرب ٦٧ كانت المشكلة بين حكومتين أما الآن وبعد أن احتلت إسرائيل جزءا من مصر، فالمشكلة أصبحت بين الشعبين » وافترقنا!

عرفت بعد ذلك لماذا حول المعهد طلبي من قسم الميتالورجيا إلى قسم كيمياء الحرارة العالية . اكتشفت بعد حديثي مع العالمة الإسرائيلية أن هناك أعدادا كبيرة من علماء إسرائيل يعملون في قسم الميتالورجيا من هنا، وجد المعهد أن أعمل في قسم كيمياء الحرارة العالية منعا لحدوث أى احتكاك أو أن أتعرف على طبيعة ما يقوم به هؤلاء العلماء من أبحاث في هذا القسم .



مذكرات
أستاذ جامعة

المقاومة والصمود والتغيير
(أسلوب حياة)

الفصل الثامن

الاستعداد للعودة
١٩٦٨ - ١٩٦٩

حضور ورشة عمل في أوكلاهوما لبحث سبل تنشيط العلاقة بين كليات الهندسة والصناعة :

نظمت كليات الهندسة التابعة لمنظومة جامعات وسط الولايات المتحدة ورشة عمل عقدتها في ولاية أوكلاهوما. دعت إلى حضورها ممثلي الشركات الصناعية في تلك الولايات وذلك لمناقشة متطلبات الشركات الصناعية من الخريجين حتى تأخذها الكليات بعين الاعتبار في إعدادهم. كان من الواضح أن الشركات الصناعية غير راضية عن مستوي خريجي هذه الكليات. كان بعضهم يضطر إلى عقد دورات للمهندسين المتقدمين للعمل يستكملون من خلالها تدريبهم وتعليمهم قبل انخراطهم في العمل والاستفادة منهم . كانت الشركات تنظم هذه الدورات على مضض نظرا للتكاليف المرتفعة والجهد والوقت الذي تتكبده من أجل القيام بدور مكمل للدور الذي تقوم به كليات الهندسة. وتري الشركات أنها من الممكن أن توفر كل ذلك لو راعت كليات الهندسة عند إعداد خريجيها متطلبات الشركات الصناعية. قام ممثلوا الشركات الصناعية بعد عرض وجهة نظرهم في هذا الشأن بتوجيه إنذار صريح لكليات الهندسة مفاده أنه في حالة عدم قيام كليات الهندسة بتلبية متطلباتهم واحتياجاتهم من المهندسين المناسبين، فإنهم سوف يقومون بأنفسهم بإعدادهم ودون الحاجة إلى كليات الهندسة. لم أتوقع سماع هذا الكلام الخطير الذي يعبر عن التحدي لكليات الهندسة، ويعكس بالطبع قدرات الشركات الصناعية وثقتها في نجاحها في تأهيل من تحتاج إليهم لسد حاجتها من المهندسين. زودتني ورشة العمل والمناقشات التي دارت وساهمت فيها بالعديد من الأفكار كان أهمها هو أن المجتمع الواعي هو المؤسسة الحقيقية، والوحيدة المؤهلة لتحقيق التنمية والنهوض بالبلاد .

الإرشاد الصناعي :

كان من نتيجة ورشة العمل التي عقدت في أوكلاهوما أن قررت كلية الهندسة في مانهاتن إنشاء منصب مساعد للعميد للإرشاد الصناعي، تكون مهمته ربط الكلية بالمصانع في نطاق ولاية كانساس. من المعروف عن ولاية كانساس أنها ولاية زراعية لذا كان قسم الإرشاد الزراعي من أنشط أقسام الجامعة. كان هدف الكلية من وراء إنشاء منصب مساعد للعميد للإرشاد الصناعي هو العمل على نشر الوعي بالصناعة وأهميتها في التنمية. بدأ مساعد العميد للإرشاد الصناعي مهامه في منتصف عام ١٩٦٨ بتوجيه رسالة إلى جميع أعضاء هيئة التدريس في مختلف الأقسام والتخصصات، دعاهم فيها إلى المساهمة في هذا النشاط الجديد الذي بدأته الكلية وأوكلت إليه إدارته. تضمنت الدعوة أسماء المصانع التي تمارس نشاطها في نطاق الولاية ومجال نشاط كل منها. كان اشتراك أعضاء هيئة التدريس في هذا البرنامج اختياريا وكان على من يرغب المساهمة فيه أن يختار المصانع التي تقع في مجال تخصصه واهتماماته ليقوم بعد ذلك بدور المرشد الصناعي لها.

وقع اختياري على مصنعين أحدهما يعمل في مجال سباكة الزهر، والآخر كان مصنع سيسنا ويعمل في تجميع الطائرات الصغيرة التي يطلق عليها «التاكسي الجوي». كان على كل مصنع بالمقابل ترشيح أحد مهندسيه ليكون هو الآخر ممثلا له في البرنامج. قام مساعد العميد بإبلاغ ممثلي الكلية بأسماء نظرائهم من ممثلي المصانع ليبدأ كل منهم الاتصال مباشرة بالآخر للاتفاق على موعد مناسب لزيارة المصنع وليقوم ممثل المصنع بدوره بمرافقة ممثل الكلية في زيارته للمصنع. بعد الانتهاء من زيارة المصنع يتناقش الاثنان في كافة الأمور التي من شأنها أن تؤدي إلى مصلحة المصنع وحل مشاكله وتدريب كوادره ، الأمر الذي قد يحتاج إلى أكثر من زيارة

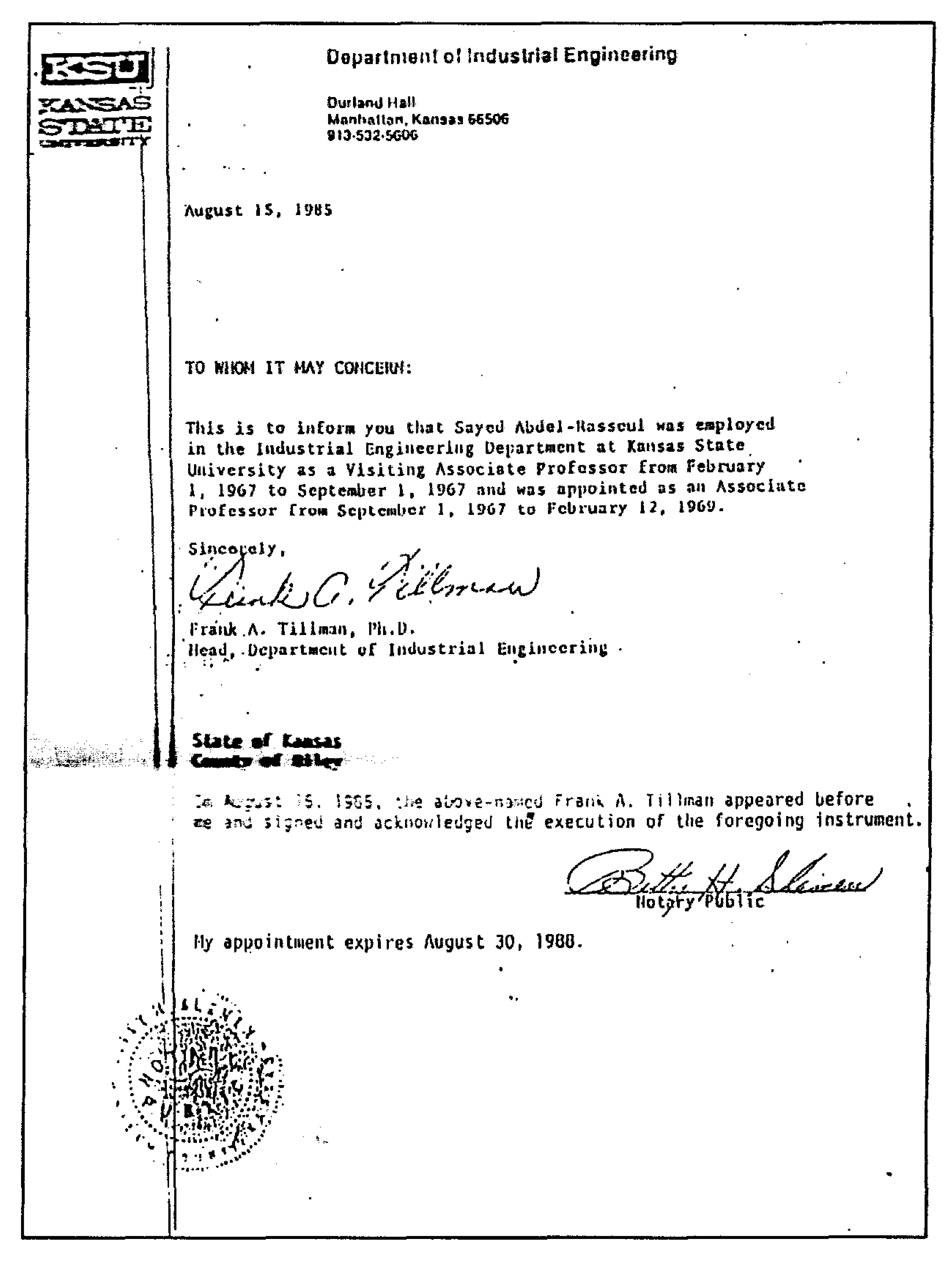
ولقاء حتي ينتهي الطرفان من بحث إمكانية وسبل التعاون بين الكلية والمصنع وينتهون من وضع بروتوكول للتعاون بين الكلية ممثلة في مساعد العميد للإرشاد الصناعي والمصنع . أذكر في إحدى زياراتي لمصنع سيسنا للطائرات أنهم دعوني لركوب إحدى الطائرات والتحليق بها . كانوا يختبرون كل طائرة ينتهون من تجميعها. كانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي جلست فيها بجوار قائد الطائرة أتبادل معه قيادتها وأحمد الله على إننا هبطنا سالمين إلى أرض المطار بالمصنع.

أكسبني اشتراكي في برنامج الإرشاد الصناعي خبرة كبيرة في مجال ربط الجامعة بالصناعة . حاولت بعد عودتي أن أنقل هذه الفكرة للجامعات المصرية وقدمت في هذا الشأن العديد من الأبحاث والمقالات والمداخلات في مختلف مؤتمرات تطوير التعليم الهندسي في مصر. كما تقدمت بإقتراح محدد إلى الجامعة يهدف إلى إنشاء مجلس للإرشاد الصناعي كوحدة ذات طابع خاص يرأسها إما نائب رئيس الجامعة أو وكيل الكلية لشؤون تنمية المجتمع والبيئة غير أن كل مجهوداتي في هذا الشأن قد ذهبت أدراج الرياح .

التفكير في العودة :

هناك حقيقتان سيطرتا على تفكيرى بشأن مستقبلي العلمي في مصر. الحقيقة الأولي كانت تكمن في رفضى مساومة وطني من أجل العودة إليه أسوة بما كان يقوم به بعض المصريين والذي كان معظمهم بكل أسف يضعون في تلك الفترة عددا من الشروط لكي يعودوا إلى وطنهم. منهم من اشترط أن يلتحق بالعمل في الجامعات ومنهم من اشترط الانتقال من جامعته الأصلية للعمل في جامعة أخرى قريبة من مقر عائلته ومنهم من اشترط الحصول على لقب علمى أعلى من اللقب الذى كان عليه قبل سفره. أي يتم إعفاؤه من التقدم بإنتاجه العلمي الذي قام به خلال تلك الفترة إلى اللجنة المختصة بفحص الإنتاج العلمي أسوة بزملائه العاملين في مصر. وكل ذلك لا لشيء إلا لأنهم

يعملون في الولايات المتحدة الأمريكية وأن بلادهم في حاجة إلى عودتهم. رفضت هذا السلوك الشائع في تلك الفترة والذي أدى إلى عودة عدد من المصريين الذين تبوؤا في حينه مناصب لا يستحقونها وحصلوا على ألقاب علمية غير جديرين بها.



KSU KANSAS STATE UNIVERSITY

Department of Industrial Engineering

Durland Hall
Manhattan, Kansas 66506
913-532-5606

August 15, 1985

TO WHOM IT MAY CONCERN:

This is to inform you that Sayed Abdel-Rasseul was employed in the Industrial Engineering Department at Kansas State University as a Visiting Associate Professor from February 1, 1967 to September 1, 1967 and was appointed as an Associate Professor from September 1, 1967 to February 12, 1969.

Sincerely,

Frank A. Tillman, Ph.D.
Head, Department of Industrial Engineering

State of Kansas
County of Riley

On August 15, 1985, the above-named Frank A. Tillman appeared before me and signed and acknowledged the execution of the foregoing instrument.

Notary Public

My appointment expires August 30, 1988.

خطاب تعييني في وظيفة أستاذ مشارك بقسم الهندسة الصناعية

كلية الهندسة جامعة ولاية كانساس ابتداءً من سبتمبر ١٩٦٧م

شغلت في تلك الفترة وظيفة أستاذ مشارك في قسم الهندسة الصناعية وعملت في نفس الوقت في قسم الهندسة النووية بكلية الهندسة بجامعة ولاية كانساس. من هنا كان من حقي أن أطلب التعيين في وظيفة أستاذ في أى كلية من كليات الهندسة في مصر. وكان لدي من الأبحاث المنشورة ما يشفع لي ويؤهلني الحصول على هذا اللقب . غير أنني كنت أخشى أن يفهم من تصرفي هذا أنني أساوم وطني من أجل الرجوع إليه. فضلت أن أضحي بحقي حتى لا أرتكب المحظور وأكون من المساومين لذا لم أطالب في أى مناسبة سواء قبل أو بعد عودتي بحقي في الحصول على اللقب العلمي الذي أستحقه عن جدارة واكتفيت بالاحتفاظ بلقبي العلمي القديم الذي كنت أحمله قبل سفري وهو مدرس لهندسة الفلزات بكلية الهندسة جامعة أسيوط ورغم أن عائلتي مقيمة في الإسكندرية وأنا خريج جامعة الإسكندرية ورغم شغفي الشديد للإقامة والعيش فيها.

أما الحقيقة الثانية فقد كانت تتعلق بعملي في كلية الهندسة في مصر حيث يضطهدون فيها خريجي كليات العلوم هذا من ناحية أما الأهم والأَمَرّ فهو موقفي السياسي المعلن والمعادي لنظام الحكم في مصر. الأمر الذى يجعل ترقيتي العلمية أى حصولي على اللقب العلمي مرهونا بتفوق غير عادي ليس له نظير بالمقارنة بما هو مطلوب من أي متقدم آخر لنفس اللجنة وللحصول على نفس اللقب العلمي . لن يكون في حالتي من يجرؤ من بين أعضاء اللجنة على مجاملتي هذا من جهة ومن جهة أخري سوف تحتاج اللجنة إلى مبررات قوية تمكنها من التصدي ومقاومة تدخلات مختلف الجهات التي تسعى إلى تعطيل ترقيتي. من هنا ولكل هذه الأسباب كان الواقع يحتم على عند التقدم بإنتاجي العلمي إلى لجنة الترقيات أن يكون هذا الإنتاج متميزا كما ونوعا، وهذه هي الحقيقة الثانية. فكرت في الفترة التالية أى بعد حصولي

على لقب أستاذ مساعد وفي التحدي الذي سوف أواجهه عند القيام بالأبحاث اللازمة للترقية المقبلة والمتمثل في نقص الأجهزة والمعدات والمراجع ... إلى آخره . رأيت إنني قد لا أتمكن في ظل هذه الظروف من إجراء الأبحاث اللازمة والتي أستطيع بواسطتها الحصول بكرامة على لقب أستاذ وبالذات في حالة تفعيل الحقيقة الثانية آنفة الذكر . لذا فكرت في احتمال عودتي مرة ثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإجراء البحوث اللازمة للترقية المشرِّفة. وقررت لهذا الغرض ترك مبلغ من المال على سبيل الاحتياط في الولايات المتحدة الأمريكية. تركت حوالي ١٥٠٠ ألف وخمسمائة دولارا في صورة أوراق مالية أودعتها في محفظة أحد مكاتب الأوراق المالية بولاية كانساس . غير أنه وكما سيرد ذكره فيما بعد لا أنا ولا أي كائن من كان ، كان يمكنه أن يتخيل أو يتنبأ بأهمية وعبقرية الدور الذي أداه هذا المبلغ في سبيل الحفاظ على كرامتي وكرامة أسرتي أثناء فترة إقامتي في سجن أسيوط عام ١٩٧٣ م . إنها مشيئة وإرادة الله عز وجل، وقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا . صدق الله العظيم .

أنهيت رسالة الماجستير الخاصة بالطالب سيبل جانجولي بقسم الهندسة الصناعية ونجح الطالب في المناقشة وحصل على درجة الماجستير . قمت بنشر بحث من هذه الرسالة في مجلة «العناصر المشعة وتطبيقاتها» عام ١٩٦٨ ، كانت رسالة الطالب لابل من قسم الهندسة النووية هي الأخرى في سبيلها إلى الانتهاء وقمت بكتابة بحث منها وأرسلته إلى نفس المجلة وتوقعت نشرة في بداية عام ١٩٦٩ . كان دكتور ثورن ومساعده ماكريري في معهد أرجون القومي التابع لهيئة الطاقة الذرية هما الآخران يكتبان في نفس الوقت بحثا يعتمد على التجارب التى أجريتها، وكان هناك علاوة على ذلك البحث الذي سبق أن قدمته وألقيته في مؤتمر الاتحاد الأمريكي للصلب الذي انعقد خلال يونيو ١٩٦٧ في مدينة نيويورك . كانت أواصر الصداقة والمحبة قد

توطدت بيني وبين الدكتور والتر ماير نائب رئيس قسم الهندسة النووية من خلال عملنا المشترك فى التدريس والإشراف على الأبحاث. من هنا اقترح على أن نتواصل في تعاوننا بعد عودتي إلى مصر، وأشركني معه في الإشراف على رسالة ماجستير مزمع أن يقوم بها طالب عراقي يدعي الدجيلي ووافق على اقتراحي بأن تكون رسالته امتدادا لرسالة لابل ويكون موضوعها « تأثير الإشعاعات النووية على الخرسانة ».

حضر خلال هذه الفترة الدكتور على الصعيدي بعد أن أنهى دراسته في جامعة أيوا وحصل على الدكتوراه في الهندسة النووية، والتحق معنا بالعمل في قسم الهندسة النووية . كان الدكتور على الصعيدي مبعوثا من قبل هيئة الطاقة الذرية في مصر ، وقرر هو الآخر العودة بعد أن يكتسب المزيد من العلم والخبرة .

ماري مارتز :

بلغت الثلاثين في أكتوبر ١٩٦٨ ، لم أكن قد ارتبطت أو سبق لي الارتباط بأي فتاة حتى بلغت هذه السن. عندما غادرت مصر وأنا في العشرين لم أكن حين ذلك مؤهلا للارتباط. لم أفكر في الارتباط أثناء دراستي للدكتوراه في الاتحاد السوفيتي رغم العلاقة الحميمة التي ربطتني بأولجا تراسكينا. قررت أولجا أن تتعرف بي وتمادت في شعورها نحوي رغم تحذيري لها من مغبة ذلك. كنت أعتبرها من الملائكة التي أرسلها الله لإسعاد البشر. كانت لا تدخر وسعا في التعبير عن حبها ورغبتها في إسعادي وكانت تملأ عليَّ حياتي في وحدتي وغربتي. كان أصدقائي من المصريين يشيرون إليها بالملاك عندما يتطرق الحديث عنها . لذا كان من المتوقع أن تفاتحني في موضوع الزواج، رغم ما أكدته عليها بأنني أعارض الزواج من أجنبية وأن ذلك لمصلحة الطرفين. عندما نمي إلى علمها أن سبب ذلك هو حرصي على أن يكون أبنائي مصريين المولد والمنشأ والتربية احتجت على وقالت: أؤكد لك بأنني

قادرة على تنشئة أولادنا وتربيتهم بحيث يكونون مصريين كما تريد بصورة أفضل من أي مصرية » لم أكن قد بلغت الرابعة والعشرين بعد ، كان حبي لمصر وشعبها يملأ على حياتي ولم يتركا في قلبي سوى مكانا صغيرا لأولجا . قررنا الابتعاد ورأيت أن ذلك لمصلحتها ، كان القرار صعبا في بدايته لكن الزمن كان كفيلا بتضميد جراح القلوب. وعندما عدت إلى مصر لم تسعفني السنوات الثلاث التي أمضيتها بين أسيوط والقاهرة والإسكندرية في العثور على الفتاة المناسبة للاقتران بها.

وهنا في مانهاتن كانساس التقيت بماري مارتز وأنا في الثلاثين من عمرى . كانت ماري طالبة ماجستير في كلية الآداب بنفس الجامعة التي أعمل بها كانت تدرس التاريخ . كانت مهتمة بتاريخ مصر القديمة. بعد أن تعددت لقاءاتنا بدى اهتمامها بالقضايا العربية ومشاكل الشرق الأوسط وقضية فلسطين . كانت تهوى الاستماع إلى نفس المقطوعات الموسيقية التي أحبها وعلي وجه الخصوص معزوفة دراسة ثورية للبيانو لشوبان، كانت أشياء كثيرة تجمعنا ولم نختلف سوي في الديانة. كانت تنتمي إلى الكنيسة الكاثوليكية غير إنها مع ذلك لم تتوقف عن التفكير في الإرتباط بمسلم من المتمسكين بعروبته ومصريته وقضايا أمته وشعبه. من هنا عندما تحدثنا في موضوع الارتباط – رغم عدم اقتناعي بالزواج من أجنبية – اشترطت عليها أن يكون زواجنا وإقامتنا الدائمة في مصر . واشترطت عليها شرطا آخر يبدو لى الآن أنه كان شرطا تعسفيا – لم يبد لي في ذلك الوقت أنه كذلك – وهو أن تسافر على متن طائرات شركة مصر للطيران عند حضورها إلى القاهرة . كنت محقا عندما اشترطت أن يتم الزواج وأن تكون الإقامة في مصر، ولم أكن على صواب عندما اشترطت عليها أن يكون سفرها على شركة مصر للطيران. اتفقنا على أن يكون وصولها خلال شهر سبتمبر ١٩٦٩ حيث تكون مصر في أبهى صورة كما أكون أنا قد فرغت من

تأدية كافة الأعمال المتعلقة بالعام الدراسي، وتكون أموري قد استقرت بعد عودتي بحيث أتمكن من ترتيب برنامج يليق بها ويعبر عن شعوري نحوها .

أنباء من وعن مصر :

كنت أتطلع أثناء إعدادي للسفر إلى أى أنباء تصلني من أو عن مصر . كان وقع هزيمة الجيش المصري في يونيو ١٩٦٧، قاسيا على جميع المصريين في داخل وخارج مصر ، كما كان قاسيا على بعض العرب . كان معظم الطلاب العرب المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية قبل حرب يونيو يدَّعون كذبا مصريتهم أمام من لا يعرف هويتهم . انقلبوا بعد الحرب وتنكروا لمصريتهم المزيفة . كانت الأخبار التي وصلتني عن مصر وأهلها تدعو جميعها إلى التفكير في البقاء في الولايات المتحدة الأمريكية وعدم العودة. كان حصول المصريين على تأشيرات الخروج من مصر في تلك الفترة من أصعب المستحيلات لذا كان على كل مصري يعيش خارج مصر أن يفكر ألف مرة قبل أن يقرر العودة . في ظل كل ذلك وصلتني أخبار في غاية السوء. كان هناك في مصر من يرغب في بقائي في الولايات المتحدة وعدم عودتي مرة أخرى إلى مصر. أشاع هؤلاء ما يفيد قيامي بعقد مؤتمر صحفى هاجمت فيه جمال عبد الناصر. بلغتني هذه الشائعة من عدة مصادر مما يؤكد انتشارها. تحورت هذه الشائعة على لسان البعض بحيث وصلت إلى حد هجومى على الاشتراكية التي أعتز إلى الآن بتمسكي بها، وأعتبرها السبيل إلى تحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية

وصلتني هذه الشائعات في الوقت الذى كنت أعد فيه نفسي للعودة إلى حضن الوطن. وجاءني ما زاد الطين بلة كما يقولون من عمي الذي كان منتدبا من كلية الشرطة للعمل استاذا في الاقتصاد بجامعة القاهرة فرع الخرطوم. كان له صديق يدعي الدكتور صلاح زكي، وكان لهذا الصديق قريب يعمل أستاذا في قسم

الرياضيات بعلوم أسيوط هو الدكتور قنديل الذي تطوع ونقل هذه الشائعة إليه في السودان، والذي نقلها بدوره إلى عمي الذي نقلها بدوره لي من السودان في رده على رسالتي. توقع عمي عدم عودتي إلى مصر بسبب ما بلغه عن طريق صديقه حول المؤتمر المزعوم الذي عقدته في أمريكا، وهاجمت فيه جمال عبد الناصر والاتحاد السوفيتي والاشتراكية . هكذا انتشرت الشائعات حتى وصلت إلى السودان. غير إنني قمت فورا بالرد على رسالته وأخبرته بموعد عودتي وبثقتي من عدم صحة هذه الشائعات. لم أكن متهورا أو مجنونا عندما قررت العودة بعد وصولى كل هذه الأنباء والشائعات إنما كنت شجاعا متيما ببلادي مؤمنا برسالة التغيير التي مازلت أحملها. وطدت نفسي بالطبع على مواجهة وفضح هذه الشائعات فور وصولي وقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. صدق الله العظيم .

الإعداد للسفر ومغادرة الولايات المتحدة الأمريكية :

استفدت من تجربتي السابقة في عودتي من الاتحاد السوفيتي إلى مصر فقررت أن أسافر هذه المرة بصحبة أمتعتي. قمت بالحجز على عابرة المحيطات رافايلو المقرر مغادرتها ميناء نيويورك في ١٦ فبراير ١٩٦٩ والمقرر وصولها إلى ميناء نابولي في ٢٣ فبراير. ونظرا لأن ميناء الإسكندرية لم يكن مجهزا لاستقبال عابرات المحيطات كان على أن أستقل من ميناء جنوا مركبا آخر في الثامن من مارس والمقرر وصوله ميناء الإسكندرية في ١١ مارس ١٩٦٩ . كان على مغادرة المركب رافايلو في نابولي والتأكيد على نقل أمتعتي إلى المركب الآخر المقرر إبحارها من جنوا في ٨ مارس. بعد أن قمت بترتيب رحلة العودة قررت أن أحجز سيارة جديدة ماركة فيات ١٢٤ أتسلمها في روما لدى وصولي إلى إيطاليا. انتهيت من جميع الإجراءات اللازمة لشراء السيارة بعد أن تأكدت من البرنامج الزمني للرحلة التي تبدأ في السادس عشر من فبراير من ميناء

نيويورك وتنتهي في الحادي عشر من مارس في الإسكندرية مرورا بإيطاليا التي سأتوقف فيها لمدة أسبوعين من ٢٣ فبراير وحتى ٨ مارس أتمكن خلالها من استلام السيارة لأجوب بها ربوع إيطاليا والتعرف على معالم روما وأصل بها في نهاية المطاف إلى جنوا لأقوم بشحنها مع باقي أمتعتي على نفس المركب الذي سيبحر بي إلى الإسكندرية. هذا ومن الجدير بالذكر أنني قد حصلت على تأشيرات دخول لزيارة كل من انجلترا وفرنسا وأسبانيا وألمانيا علاوة على إيطاليا بالطبع من قنصليات تلك الدول في سانت لويس ودنفر وكانساس سيتي بالولايات المتحدة على سبيل الاحتياط في حالة تمكني من زيارة تلك الدول في طريقي للعودة إلى مصر .

وهكذا كان تصوري عن رحلتي من نيويورك إلى الإسكندرية مرورا بإيطاليا غير أن همي الأكبر كان يكمن في الجزء الأول من الرحلة أى في السفر من مانهاتن كانساس والوصول بأمتعتي إلى ميناء نيويورك ثم شحنها في المركب رافايلو في الوقت الذي كان فيه عمال الشحن في الولايات المتحدة الأمريكية قد أعلنوا إضرابهم عن العمل خلال هذه الفترة . كانت أمتعتي تتألف من حوالي عشرين حقيبة كبيرة. كان على تدبير نقل كل هذه الحقائب إلى ميناء نيويورك ثم شحنها على المركب في ظل إضراب عمال الشحن . خطرت لي فكرة رائعة تلخصت في شراء تذكرة في الأتوبيس الذي يغادر مانهاتن ومحطتة النهائية ميناء نيويورك مما يعطيني الحق في شحن جميع حقائبي في الأتوبيس وأتسلمها بعد ذلك في ميناء نيويورك. قررت في نفس الوقت وبعد الاطمئنان على شحن الحقائب في الأتوبيس أن أستقل الطائرة لزيارة ماري وتوديعها حيث تقيم في ولاية أيوا ثم ركبت طائرة أخري أقلتني إلى نيويورك. لم يكن أمامي بعد ذلك سوى الذهاب إلى ميناء نيويورك لأجد حقائبي في انتظاري. كانت توقعاتي على درجة كبيرة من الدقة، ولم يتبق لي بعد اطمئناني على وصول حقائبي سوى البحث عن وسيلة لنقلها إلى المركب. هكذا

كنت محظوظا حيث تغلبت على مشكلة إضراب عمال الشحن وتمكنت في نفس الوقت من زيارة ماري قبل سفرى .بدأت عابرة المحيطات رافايلو في الإبحار في موعدها المحدد. كانت رحلتي من نيويورك إلى نابولي والتي استغرقت حوالي أسبوع من أمتع وأروع الرحلات التي قمت بها. كانت الخدمة على المركب على أعلى وأرقى مستوى، كان المطعم يقدم مختلف الأطعمة الإيطالية الفاخرة والكباين في غاية النظافة والأناقة. كانت البرامج الترفيهية تتضمن حفلات الرقص والموسيقي كما كانت تضم بعض المسابقات في الألعاب بأنواعها. اشتركت في مسابقة تنس الطاولة، وفزت بالمركز الأول وحصلت على جائزة مازلت أحتفظ بها حتى الآن. وأستخدمها في تثبيت الأوراق على مكتبي.

رست المركب في ميناء نابولي في الموعد المقرر في ٢٣ فبراير وتمت إجراءات مغادرتنا المركب بسرعة . شاهدت الإيطاليون في منطقة الميناء يمارسون بعض الأنشطة المشبوهة مثل التي يمارسها بعض السكندريين في منطقة الميناء في مصر. ويبدو أنهم نقلوا إلينا هذه الأنواع من الأنشطة ضمن ما نقلوه إلينا من حضارتهم. ذهبت إلى روما التي لا تبعد كثيرا عن نابولي، وبحثت فيها عن فندق مناسب، ثم توجهت إلى مركز شركة فيات وتسلمت السيارة التي سبق أن حجزتها ودفعت كامل ثمنها من الولايات المتحدة الأمريكية، كانت سيارة فيات موديل ١٢٤ حمراء. قام أحد المختصين من الشركة بتجربتها أمامي قبل استلامها. تمكنت بواسطة السيارة من زيارة روما والعديد من المدن الإيطالية وعلي وجه الخصوص مدينة بيزا حيث صعدت إلى برجها المائل ومدينة فيرونا التي شهدت أحداث تحفة شكسبير روميو وجوليت. وزرت بالطبع فيلا دى بورجيزى في روما حيث مقر أكاديمية الفنون المصرية. تمكنت خلال أيام قليلة من التعبير عن نفسي واحتياجاتي بالإيطالية، كنت ألجأ في بعض الأحيان إلى استخدام بعض الكلمات من اللغات الأخرى التي أجيدها أو أتذكرها. فضلت أن أسلك الطريق الساحلي في طريقي

من روما إلى جنوا وكنت أقارن في مروري بين المدن التي أمر بها بينها وبين الإسكندرية. لم أجد بينها مدينة أجمل من الإسكندرية. لمحت في طريقي أحد رجال الدين يعلن رغبته في توصيله، توقفت ورحبت به ودعوته للركوب بجانبي. كان حديثنا طوال الطريق بالإيطالية مما أكد لي قدرتي على الحديث بالإيطالية . غير إنني بكل أسف فقدت هذه اللغة الجميلة بنفس السرعة التي كسبتها بها. ندمت على عدم استمراري في تعلمها بعد وصولي إلى مصر. نزل رجل الدين من السيارة بعد وصوله إلى بلدته وصرت وحيدا في طريقي إلى جنوا. قررت أن أتوقف في إحدى المدن الصغيرة لأتناول وجبة الغذاء ودلوني من سألتهم عن المطعم . استقبلني صاحب المطعم بحفاوة منقطعة النظير وكأنه رأي ملاكا هبط عليه من السماء. حاول بكل الطرق أن يعبر عن ترحيبه وكرمه لدرجة أنه أرسل في طلب أحد أصدقائه ليشاركه التعبير عن الحفاوة والترحيب . كان مشهدا عجيبا وغريبا لكنه كان في نفس الوقت لطيفا وجميلا ومصدرا لإحساسي بالسعادة والزهو. كان الصديق الذي حضر مسرعا والذي استدعاه للاستعانة به رجلا مسنا ذكرني بشخصية زوربا اليوناني، كان يحمل الجنسية الأمريكية وكان قد هاجر إلى أمريكا وعمل بها لفترة طويلة واستحق الحصول على معاش يصرف له حاليا في إيطاليا بالدولار حيث قرر العودة ليعيش بين أولاده وأحفاده . كان يحكي لي بكل فخر واعتزاز عن أفراد عائلته الذين أصبحوا أكثر قدرة على مواجهة متطلبات الحياة في إيطاليا بسبب هذا المعاش الذي يحصل عليه نتيجة عمله السابق في أمريكا . كان سعيدا لأنه استطاع وهو في هذه السن أن يدخل البهجة والسرور إلى أبنائه وأحفاده.

تميز الطريق الساحلي إلى جنوا بالجمال والمتعة وكان بحق من أجمل الطرق التي سلكتها في أوروبا. وصلت بسلامة الله إلى جنوا، وسلمت السيارة لرجال الجمارك في الميناء الذين تولوا شحنها مع باقي أمتعتي في المركب التي سوف تغادر جنوا إلى

الإسكندرية في الثامن من مارس ١٩٦٩ .

الوصول إلى الإسكندرية :

أبحرت بنا المركب أسبريا من ميناء جنوا في الثامن من مارس ١٩٦٩ متجهة إلى ميناء الإسكندرية . لم تكن رحلتنا مع أسبريا أقل متعة من رحلتنا مع رافايلو . لم تكن الخدمة على أسبريا في نفس مستوى الخدمة التي تعودت عليها في رافايلو، غير أن شعوري بقرب لقائي بأهلي وأحبابي واقترابي من مدينتي التي أعشقها قد عوضني عن ذلك. كنت أتطلع طوال الرحلة إلى البحر حتى أكون أول من يقع بصره على أرض مصر. فوجئت بتوقف المركب وهي على مقربة من بوغاز الميناء . عرفت فيما بعد أن سبب التوقف هو إجراء روتيني ليتمكن رجال الجوازات من الصعود إلى المركب للعمل على إنهاء إجراءات دخول المسافرين إلى ميناء الإسكندرية . وبينما كنت أتامل الشاطئ الذي يلوح لي في الأفق سمعت صوتا ينادي « الدكتور سيد بك عبد الرسول » أيقنت بعد تكرار النداء إنني أنا هو الشخص المقصود . تقدم لي رجل شرطة برتبة الشاويش يرحب بي ويبلغني تحيات سيادة العميد مأمور قسم الميناء الذي كلفه بالعمل على سرعة إنهاء إجراءات وصولي حتى أكون في بداية المغادرين للمركب عند رسوها في الميناء. وأنه سوف يرافقني بعد ذلك لمقابلة سيادته حيث ينتظرني في مكتبه. من هنا كان مأمور قسم الميناء هو أول المستقبلين لي عند وصولي ميناء الإسكندرية. عرفت منه أنه قام بذلك بناء على طلب الآنسة نظيرة طالبة الدكتوراه التي تعرفت عليها في مانهاتن وأنها شقيقة زوجته. لم تذكر لي الآنسة نظيرة حين ودعتني في مانهاتن أي شيء عن نواياها الطيبة تجاهي ولو تلميحا. غير إنني رأيت في عينيها نظرات تنم على التقدير والامتنان لمواقفي الأخوية تجاهها طوال فترة وجودي في مانهاتن. إن المبعوثة المصرية تتعرض في غربتها وبالذات إذا كانت بمفردها أو غير متزوجة إلى معاناة أشد مما يتعرض لها المبعوثون من الرجال. كان

المبعوثون المتزوجون بالكاد يحيونها ولا يجرؤون على دعوتها إلى منازلهم خشية غيرة زوجاتهم. من هنا لم يكن أمامها سوى الاندماج وسط المبعوثين غير المتزوجين المنشغلين تارة بدراستهم وتارة أخرى بصديقاتهم الأمريكيات اللاتى يجدون معهن ما لا يجدوه معها. كانوا هم الآخرون يتحاشونها وفي معظم الأحيان يتجاهلونها. من هنا كانت نظيرة تعاني من الوحدة، ومن التجاهل في نفس الوقت. تفهمت الموقف ورأيت أن أتعامل مع نظيرة كأخ أكبر لها ولهم في نفس الوقت وعملت على حمايتها ورفع معنوياتها. ويبدو لي الآن أنها قد قدرت لي ذلك وأرادت أن تعبر عن شعورها بالامتنان لما قمت به نحوها في مانهاتن وهو ما اعتبرته هي جميلا بينما أنا اعتبرته واجبا أملاه على ديني وضميري. أرسلت إلى زوج شقيقتها مأمور قسم الميناء والذي لم يتردد في القيام بما قام به. أصر سيادته على دعوتي لزيارته في منزله وهناك التقيت بشقيقة نظيرة وسمعت منهم عبارات الشكر والامتنان لحسن معاملتي لنظيرة وأكدت لهم وجهة نظري في هذا الشأن وإنني لا أستحق كل هذا الشكر والثناء لأن ما قمت به تجاه نظيرة كان من صميم واجبي وما أملاه عليَّ ضميرى.

كتبت خطابا لنظيرة أشكرها فيه على ما قامت به، وانتظرت وصولها إلى مصر وقمت بزيارتها في مدينة نصر وكررت على مسامعها وأسرتها عبارات الشكر والتقدير لما فعلته. كان تصرف نظيرة وأسرتها معي يعكس الأصالة المصرية التي قد اختفت عند معظم المصريين المقيمين في الخارج نتيجة تأثرهم بتقاليد وعادات المجتمعات الغربية. ترسبت في عقلي الباطن فكرة مؤداها إننا لا يجب أن نعرض بناتنا لمثل هذه المواقف حرصا على كرامتهن وسلامتهن النفسية والعصبية. قمت بتطبيق هذه الفكرة بالفعل حين أبدت شقيقتي المعيدة في هندسة الإسكندرية الرغبة في السفر بمفردها إلى إنجلترا لدراسة الدكتوراه . رفضت سفرها بمفردها وأصررت على

أن يكون سفرها بمرافقة زوجها ، الأمر الذي تم بالفعل وإن كان قد أدي إلى تأخر سفرها إلى أن تزوجت وسافرت مع زوجها وقد أدي ذلك بالطبع إلى تأخر حصولها على درجة الدكتوراه . لم تعلم شقيقتي سبب إصراري على ذلك لكنها الآن وبعد مضي أكثر من أربعين عاما على تلك الأحداث سوف تعرف وأرجو أن تلتمس لي العذر في موقفي وهو العذر الذي لم تلتمسه لي طوال هذه الفترة.

العودة إلى أسيوط :

سافرت واستلمت عملي في هندسة أسيوط فور انتهائي من الإجراءات الجمركية وترخيص السيارة في مرور الإسكندرية، والقيام بالواجبات العائلية ومقابلة جميع الأقارب والأصدقاء، وتسليم كل منهم هديته . كنت قد تركت شقتي ومحتوياتها أمانه في حوزة صديقي الدكتور فتح الله الشيخ ليقيم فيها ويحافظ لي عليها، وهو الذي سبق ذكره في الفصل الثاني والذي كان يعمل في مصلحة الكيمياء وساعدته في الانتقال للعمل بصورة دائمة في قسم الكيمياء بكلية العلوم في أسيوط. وجدته بكل أسف قد فرط في الشقة، وسلمها لمالك العقار وبدد معظم محتوياتها. أنقذني الدكتور أحمد خضير الذي كان قد عاد من أمريكا قبل عودتي منها واستلم العمل في قسم الكيمياء واستضافني في شقته التي خصصتها له الجامعة حيث كان يقيم فيها بمفرده بعد أن فضلت عائلته الاستقرار في القاهرة. يبدو أن صديقي فتح الله الشيخ كان قد صدق هو الآخر الشائعات التي أطلقها المغرضون، واعتقد بأنني لن أعود إلى مصر فقام بالتفريط في الشقة والله أعلم بالمقابل الذي حصل عليه من مالك العقار نظير ذلك . غير أن علاقتي به لم تتأثر كثيرا وكانت أقوي من كل الظنون فقد كان زميل سنوات عمري منذ المرحلة الثانوية والجامعية والبعثة وحتى الآن. كانت والدته تدعو له دائما بأن يكون حظه مثل حظي فكنت أنا المثل الأعلى له

لدى والدته حسب روايته. وقام والده بإهدائي لافتة لمكتبي صنعها بيده من الخشب الأرو نقش عليها اسمي مازلت أحتفظ بها حتى الآن، من هنا لم أغضب منه لتفريطه في الشقة وتبديده لمعظم محتوياتها .

بعد أن تسلمت عملي في الكلية بدأ الحديث عن ضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لترقيتي وحصولي على اللقب العلمي أستاذ مساعد في هندسة الفلزات . تطلب الأمر تشكيل لجنة لفحص وتقييم إنتاجي العلمي. قام رئيس القسم مشكورا بكافة الإجراءات اللازمة وتمت ترقيتي وحصلت على لقب أستاذ مساعد في يونيو ١٩٦٩ بعد أن كنت أستاذاً مشاركا بجامعة ولاية كانساس بالولايات المتحدة الأمريكية وأنا في الثامنة والعشرين من عمري.

فوجئت برئيس النيابة الإدارية في أسيوط يتصل بي تليفونيا في القسم يطلب مقابلتي، أطلعني سيادته في هذه المقابلة على إيصال كنت قد وقعت عليه عام ١٩٦٥ يفيد استلامي ١١٠ صينية من مطعم الطلبة بالمدينة الجامعية ولم يتم إعادتها إلى المطعم . أقررت له بصحة التوقيع رغم نسياني تفاصيل الواقعة. اتهمني بتبديد الصواني ، لم أعر ذلك اهتماما لأنني كنت واثقا من إعادة الطلاب للصواني. وبرجوعي بالذاكرة إلى عام ١٩٦٥ ورغم الأحداث التي حدثت خلال تلك الفترة استطعت أن أتذكر أسماء بعض الطلاب من قيادات معسكر العمل الذى أشرفت عليه فى أسوان في ذاك الوقت غير أنهم كانوا بالطبع قد تخرجوا وتركوا الكلية ولم أتمكن من معرفة أماكن عملهم أو محل إقامتهم. لم أكن أتصور إنني سوف أتعرض في يوم من الأيام لمثل هذا الموقف وأن أتهم بتبديد بعض صواني المطعم. هذا في الوقت الذي يعلم فيه جميع المسؤولين بالجامعة أن المشرفين على النشاط الطلابي من أعضاء هيئة التدريس هم المنوط بهم التوقيع مكتبيا على استلام عهدة المعسكرات وكافة الأنشطة الطلابية بينما يقوم الطلاب باستلام

العهدة وإعادتها . يبدو أن الطلاب وقتها قد أهملوا ولم يقوموا باسترداد الإيصال الأصلي الذي وقعته واكتفوا باستلام إيصال مضاد يفيد تسليمهم للصواني. غير أن عدم عثوري على أي من هؤلاء الطلاب قد أدى في نهاية الأمر إلى اتهامي بتبديد ١١٠ صينية مطعم . كنت أتوقع أن تتدخل الجامعة وتأمر بحفظ الموضوع حرصا على كرامة عضو هيئة التدريس الذي كان كل ذنبه أنه أشرف عام ١٩٦٥ على معسكر عمل في أسوان رفع فيه اسم الجامعة عاليا ولازالت حتى الآن ذكراه عالقة في الأذهان. من هنا تصورت ولي الحق في هذا التصور أن الجامعة كانت ترغب من وراء ذلك توجيه رسالة لي مفادها «إياك والعودة إلى ممارسة الإشراف على النشاط الطلابي في الجامعة». وانتهي الأمر بتغريمي ثمن الصواني التي تم خصم ثمنها من مرتبي. هكذا كان استقبال الجامعة لي رغم إنني سبق وأن تبرعت بمرتبي بعد هزيمة ١٩٦٧ للجامعة خلال المهمة العلمية التي قضيتها بالولايات المتحدة الأمريكية .

وصول ماري مارتز إلى مصر :

كنت أحلم بوصول ماري إلى مصر ، لذا أعددت برنامجا حافلا بمناسبة قدومها. كان البرنامج الذي فكرت فيه يتألف من محطات ثلاث. المحطة الأولي في القاهرة والثانية في الإسكندرية والمحطة الثالثة والنهائية في أسيوط. فاجأتني ماري بإرسال برقية على عنواني في الإسكندرية تعلن حضورها في منتصف شهر مايو، أى في أسوأ شهر من شهور العام. التمست عذرها لأنها كما يبدو لم تتحمل الفراق. ورغم انشغالي لم يكن أمامي سوي ترك كل شيء لأكون في استقبالها في مطار القاهرة في الموعد المحدد في البرقية. قبل مغادرتي أسيوط اتفقت مع صديقي الدكتور أحمد السماحي وهو متزوج من أمريكية على أن تقيم ماري لديهم خلال زيارتها لأسيوط . تمكنت بسرعة من حجز شاليه على البحر في منطقة العجمي لتقيم فيه في الإسكندرية، حجزت فندقا قريبا من

النيل في القاهرة. وصلت ماري في الموعد المحدد وكان لقاؤنا يمكن وصفه بحق بلقاء السحاب كانت لهفتي على لقائها وشوقي إليها قد أنسياني حاجتها إلى الراحة من عناء السفر. كان برنامج زيارتها في القاهرة حافلا ومزدحما إلى الحد الذي أدى إلى إجهادها لدرجة أن بدا عليها التعب والإعياء. سافرنا بعد ذلك إلى الإسكندرية إلى المحطة الثانية وذهبنا مباشرة لاستلام الشاليه الذي كان في موقع متميز ويطل مباشرة على البحر . كان ذلك قبل بداية الموسم ولم يقم أصحابه بتنظيفه وإعداده قبل وصولنا ، من هنا لم يكن الشاليه على درجة كبيرة من النظافة. عثرت ماري في الشاليه على صرصار ولم تتمكن من السيطرة على أعصابها وأبدت امتعاضها فما كان مني إلا أن قلت لها إن هذا الصرصار في الأصل أمريكي . يبدو أن الزيارات المكثفة التي قمنا بها في القاهرة قد أرهقتها وأدت بالتالي إلى عدم سيطرتها على أعصابها وأنا بدوري أخطأت عندما أنستني رغبتي القوية في الاحتفاء بها ضرورة إعطائها قسطا وافيا للراحة من عناء السفر. تسببت واقعة الصرصار في وضع نهاية للبرنامج وبالتالي تم إلغاء المحطة الثالثة التي كانت أسيوط مقرا لها. اقتنعت ماري بذلك بعد أن وضحت لها أن الوضع في أسيوط أسوأ كثيرا من الوضع في الإسكندرية. أنهت ماري زيارتها دون الاتفاق على الزواج وقمت بتوديعها في المطار مع احتفاظ كل منا بحبه واحترامه للآخر .



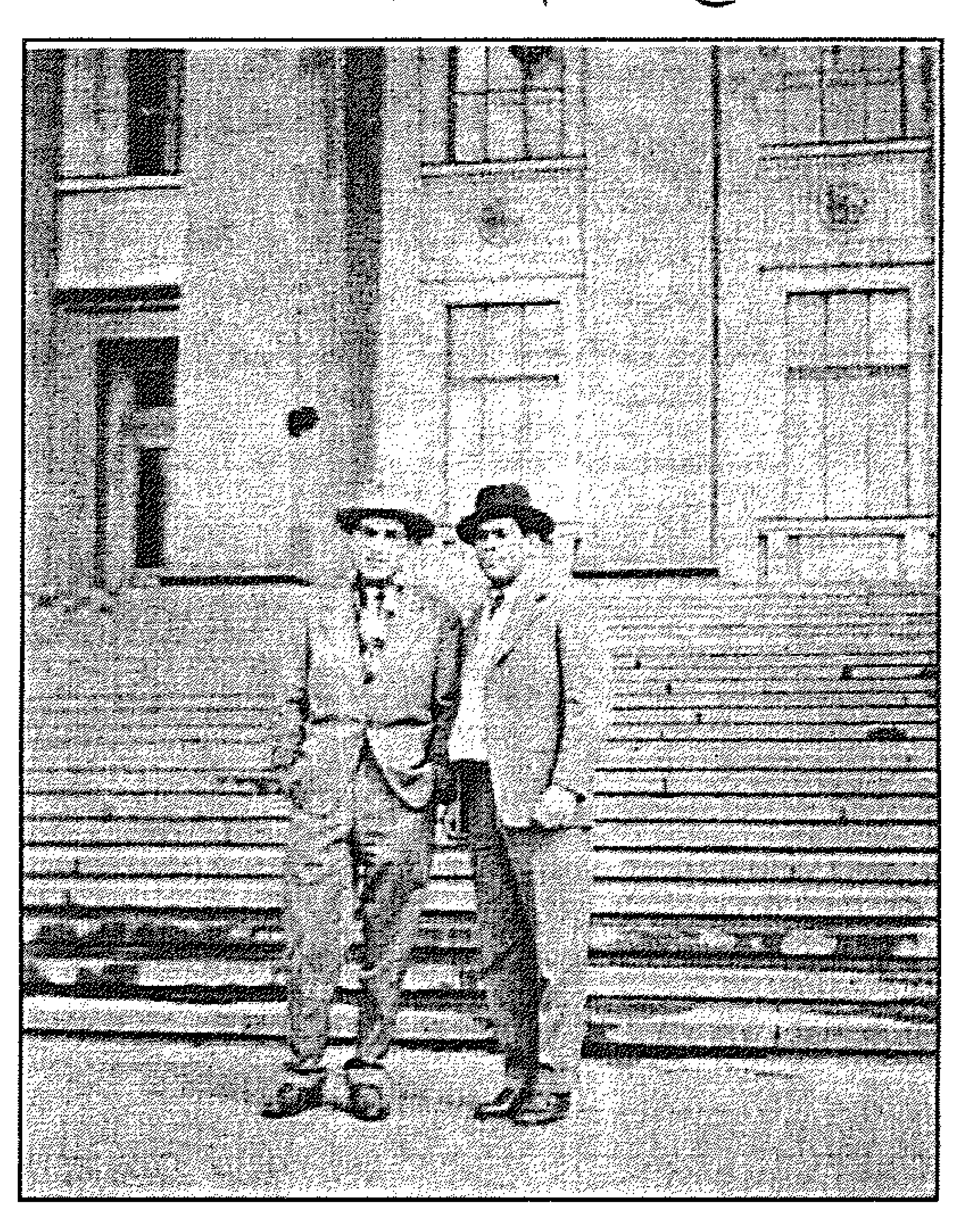
الفصل التاسع

أسيوط ثاني مرة
القضاء على الشائعات – توابع الزلزال ١٩٦٩ - ١٩٧٠

حرب الاستنزاف :

بدأت حرب الاستنزاف مباشرة بعد تنفيذ قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار على الجبهة .بدأت هذه الحرب عندما تجرأت إسرائيل وأرسلت المدمرة إيلات لتدخل المياه الإقليمية لمصر قرب ميناء بورسعيد تتحدى بذلك الإرادة المصرية وتعصف بما تبقي من كرامتنا بعد هزيمتنا المروعة في الحرب. فما كان من القيادة العليا للقوات المسلحة المصرية إزاء الغطرسة الإسرائيلية إلا أن أمرت القوات البحرية في بورسعيد بالتصدي للمدمرة الإسرائيلية وتدميرها باستخدام سلاح زوارق التوربيد. حمل خبر نجاح القوات البحرية في هذا العمل مفاجأة كبيرة لكل العالم كما كان صدمة كبيرة لإسرائيل التي اكتشفت فجأة صلابة وقوة إرادة المقاتل المصري، واكتشفت معها عزيمة وإصرار القوات المسلحة المصرية على الثأر وإلحاق هزيمة بهم لاتقل عن هزيمتهم لنا إن لم تزد. أدت هذه العملية إلى رفع معنويات جميع أفراد الشعب المصري فاستعادوا على أثرها ثقتهم في جنودهم البواسل. وبدأت مرة أخري الأغاني تعبر عن الأمل والبهجة والسرور بعد أن كانت تعبر عن الهوان والقنوط. استمرت بعد ذلك الاعتداءات المتبادلة من كلا الجانبين وكنا في كل مرة نرد لهم الصاع صاعين. كانت طائرات العدو تستهدف المصانع والمدارس ووقع اختيارها في إحدى غاراتها على مدرسة أطفال في محافظة الشرقية اسمها «بحر البقر» راح ضحيتها عشرات الأطفال والمدرسين والعمال. تنوعت غارات العدو وتفرقت وكانت جميعها تتسم بالخسة والوحشية. كانت سماؤنا مفتوحة أمام طائراتهم فحصلنا من الاتحاد السوفيتي على ما ساعدنا على غلقها وإلحاق الخسائر الكبيرة بطياريهم . كانوا يستهدفون المناطق النائية في هجماتهم، وقرروا في إحدى الهجمات السيطرة على إحدى الجزر الصغيرة النائية في البحر الأحمر اسمها جزيرة

شدوان. غير أن القوات البحرية أجبرتهم على الانسحاب بعد أن كبدتهم خسائر كبيرة في العتاد والأرواح. ولا أنسى أن أشيد هنا بالعمل البطولي الذي قام به الشهيد العقيد بحري حسني حماد الذي تصادف وجوده في مهمة تفقدية للموقع وأثناء الهجوم الإسرائيلي فآل على نفسه إلا أن يشترك في المعركة. وقاد أحد زوارق الطوربيد وأجبر قوات العدو المتمركزة في الجزيرة على الانسحاب بعد أن كبدهم أكبر الخسائر في العتاد والأرواح وحطم آماله في العودة مرة أخرى إلى الجزيرة.



صورة تجمعني والشهيد حسني حماد خلال تواجدنا في موسكو
والذي استشهد في حرب الاستنزاف في موقعة جزيرة شدوان

استشهد حسني حماد في هذه المعركة، وهو بعيد عن عمله الأساسي وعن أهله وأسرته فى الإسكندرية. كانت تربطني بالشهيد حسني حماد صله قرابة كما كانت تربطني به صداقة حميمة وجمعتني به ذكريات جميلة حيث التقينا معا مرات عديدة في

موسكو أثناء سفره وعودته من الأكاديمية البحرية الروسية في فرونز حيث كان يقضي بعض الدورات التدريبية خلال الأعوام من ١٩٦٠-١٩٦٢ .

كانت حرب الاستنزاف فرصة كبيرة أمام قواتنا المسلحة للانتقام من العدو الإسرائيلي الغدار والمتغطرس.وفرصة كبيرة أمام مختلف الوحدات لالتقاط الأنفاس وإعادة ترتيب أوضاعها بعد الهزيمة المريرة التي لحقت بنا في حرب الأيام الستة. وفرصة كبيرة كذلك أمام هذه الوحدات للتدريب على الأسلحة الجديدة التي اكتشفنا حاجتنا إليها. وفرصة للشعب المصري بكل فئاته للتعود على الحياة والعمل في ظل الغارات .كما كانت حرب الاستنزاف هي أبلغ رسالة وجهناها إلى العالم نعبر فيها عن الحق العربي وعن القضية الفلسطينية. كانت خسائر العدو من جراء حرب الاستنزاف لاتقل عن خسائرنا وربما كانت تزيد.من هنا كان استمرار حرب الاستنزاف ضرورة وطنية وقومية بكل المعايير.ومن هنا كان العدو الإسرائيلي يبذل قصارى جهده للإفلات من هذا المأزق والعمل بكل وسيلة على وضع نهاية لحرب الاستنزاف. إنني في نهاية هذا الجزء الموجز عن حرب الاستنزاف أتوجه بالرجاء إلى كل من يقرؤه أن يتلو الفاتحة على أرواح شهدائنا الأبرار ولا أنسي هنا أن أذكر بكل إجلال وتقدير وفخر الشهيد عبد المنعم رياض.

البداية الثانية فى أسيوط :

استأنفت حياتي مرة ثانية في أسيوط .بدأت تدريجيا استعادة علاقاتي القديمة بقصر الثقافة وأصبحت عضوا في مجلس إدارته .عدت إلى النشاط الرياضي حيث كنت لا أزال محتفظا بلياقتي فمارست ألعاب القوى وكرة القدم .كنت أقيم في ضيافه الصديق الدكتور أحمد خضير في إحدى العمارات المخصصة لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة.انضم عضو جديد لقسم هندسة التعدين وأبدى رغبته في العمل

في نفس مجال تخصصي في هندسة الفلزات أشركته معي في الإشراف على المعيدين الثلاثة الجدد الذين تم تعيينهم في القسم في هذا التخصص.من هنا أصبحت فرصتي في إجراء الأبحاث لمواجهة متطلبات الترقية القادمة كبيرة. استمرت علاقتي بالدكتور والتر ماير الذي أصبح رئيسا لقسم الهندسة النووية في كلية الهندسة بمنهاتن كانساس ومن ثم طلب مني الاشتراك معه في الإشراف على رسالة الماجستير لطالب عراقي كنيته الدجيلي، وحددت له موضوع رسالته « تأثير الإشعاعات النووية على الخرسانة » دون أن ألتقي به .

انضم النقيب المهندس زكريا إلى طلاب الدراسات العليا الذين أشرف عليهم والذي سوف يرد ذكره والحديث عنه مرة أخري في هذا الكتاب.أدي ذلك إلى زيادة ثقتي في أنني سوف يكون لدي من الأبحاث ما يكفي ويزيد للحصول على اللقب العلمي « أستاذ في هندسة الفلزات » وأيقنت أنني لن أحتاج إلى السفر مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية لهذا الغرض .

كنت أستشعر بأن كل تحركاتي في أسيوط مرصودة.كانت الشائعات التي وصلتني وأنا في الولايات المتحدة الأمريكية قد تمكنت هنا من عدد كبير من الزملاء سواء من يعرفني منهم أو من لا يعرفني. كانت علاقة مصر الرسمية بالاتحاد السوفيتي في تلك الفترة في أفضل حالاتها. لذا كان من الطبيعي أن يهتم رجال الأمن برصد أي أثر لهذه الشائعات رغم علمهم بل تأكدهم من عدم صحتها وإنني بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

علمت بالصدفة أن بعض المسؤولين في الاتحاد السوفيتي قد قرروا هم الآخرون الاستفادة من الشائعات التي يرددها المصريون، غير أنهم اختلفوا بالطبع عنهم في أهدافهم. ففي الوقت الذي نجد فيه المصريين يرددون هذه الشائعات بغرض

التسلية والاستمتاع والعبث بسمعة زميل لهم يدعى حسب اعتقادهم الثورية والوطنية، نجد أن الروس قد قرروا الاستفادة من هذه الشائعات بترديدها على مسامع المصريين من أعضاء الوفود القادمة من وزارة الصناعة، عند التفاوض معهم حول إنشاء أو توسيع بعض المشاريع الصناعية في مصر، وكان الروس في ترديدهم لهذه الشائعات أثناء اجتماعاتهم مع الوفود المصرية يبغون الإشارة إلى عدم وفاء بعض المصريين وتنكرهم للجميل، هذا من ناحية وحتى تصب نتائج المفاوضات لمصلحتهم من ناحية أخرى.

علمت بالدور الذي يقوم به الروس في هذا الشأن من الدكتور يوسف إسماعيل مفوض مشروع مصنع الألومنيوم في نجع حمادى الذى جمعتني به الصدفة أثناء سفرنا من القاهرة في نفس القطار. رأيت أن الواجب يحتم على مواجهة ورفض هذه الشائعات وعلى جميع المستويات سواء داخل مصر أو في الاتحاد السوفيتي.

تدويل الشائعات والمحاولة الأولي لاغتيالي معنويا :

تقدمت قبل سفري إلى الولايات المتحدة الأمريكية بطلب للقيد في نقابة المهندسين وتصورت أن إجراءات قيدي في النقابة قد انتهت خلال فترة غيابي. غير إنني للأسف اكتشفت أن الموظف المختص قد أهمل طلبي أو بمعني آخر ركنه وبرر ما فعله بأنه قد تصور إنني لن أعود إلى مصر بعد أن بلغه ما بلغنى من شائعات. لم أكن أتصور أن آثار الشائعات قد وصل مداها إلى هذا الحد. كان أغلب زملائي وأصدقائي الذين يتابعون أخباري ويهمني رأيهم يقيمون في القاهرة. لذا ترددت على القاهرة عدة مرات لألتقي بهم وأتقصى منهم عن مصدر هذه الشائعات، وأبذل كل طاقتي في دحضها، وإزالة أي أثر لها من أذهانهم. لم يكن الأمر سهلا فقد احتاج الأمر إلى عقد عدة جلسات معهم حتى استتبت الأمور واستعدت مرة أخري ثقتهم

واحترامهم. كان أصدقائي يعملون في مختلف كليات جامعة القاهرة وفي معهد الأورام وفي كليات الهندسة والعلوم بجامعات الأزهر وعين شمس وفي وزارة الصناعة والبترول والثروة المعدنية .كنت أشعر وأنا أدافع عن نفسي أمامهم بأنني متهم بخيانة مبادئي وخيانة ثقة زملائي التي منحوها لي.كان أمامي بعد ذلك أن أواجه زملائي في الإسكندرية وفي أسيوط .غير أن أكثر ما كان يشغلني كان العمل على دحض الشائعات في الجانب السوفيتي، وقررت أن أستعين في ذلك بالأستاذ الكبير الدكتور فؤاد مرسى الذي كانت قد نشأت بيني وبينه علاقة حب وتقدير منذ التقينا في حفل زفاف لطفي فطيم. كنت أدرك بالطبع مكانته وقدرته على التأثير على الجانب الروسي.

وخلال تواجدي في الإسكندرية تقابلت مع أصدقائي العاملين في كليات جامعة الإسكندرية، وتمكنت من دحض هذه الشائعات واستعادة ثقتهم وأخص منهم بالذكر الدكتور محمد بيومي ماضي وزوجته الروسية – من أوكرانيا- ليزا وكانت تربطني بهم صداقة قوية وحميمة.تحمست ليزا للدفاع عني وساعدتني في صياغة وكتابة مذكرة للدفاع على هيئة خطاب باللغة الروسية موجها إلى كل من وزير التعليم العالي في الاتحاد السوفييتي ومدير معهد الصلب والسبائك في موسكو وسفير الاتحاد السوفييتي في القاهرة .كانت فحوى هذه الخطابات تتلخص فيما يلي: « إنكم تعلمون جيدا عدم صحة هذه الشائعات ، ولديكم من الأجهزة التي تؤكد لكم ذلك وتؤكد لكم أن من أطلقوها في مصر ينتمون إلى القوى المضادة للثورة فلماذا إذن ترددونها وتؤيدون القوى المضادة للثورة في مصر وتشتركون في محاولة الاغتيال المعنوي لأحد خريجيكم الذي تعرفونه جيدا ويجدر بكم أن تفتخروا به .....» هكذا اكتملت لدى سبل الدفاع ومواجهة الجانب السوفيتي.

كتبت ليزا هذا الخطاب على طابعة المركز الثقافي السوفيتى بالإسكندرية حيث كانت تعمل هناك في ذلك الوقت. حددت موعدا لمقابلة الدكتور فؤاد مرسي في مكتبه بالقاهرة حيث كان يشغل منصب رئيس مجلس إدارة شركة مصر لتجارة السيارات. سلمته صورة من الخطاب الموجه إلى سفير الاتحاد السوفيتي في القاهرة بعد أن شرحت له الموضوع وأبعاده وأهمية العمل على دحض الشائعات والإفلات من محاولة الاغتيال المعنوي التي تدبرها لي القوى المضادة للثورة في مصر. وعدني سيادته بتسليم الرسالة وشرح أسبابها للسفير السوفيتي في أقرب فرصة مواتية.أرسلت نسخًا أخري من الخطاب إلى كل من وزير التعليم العالي في الاتحاد السوفييتي وإلى مدير معهد الصلب والسبائك في موسكو.

لم يكن في إمكاني أن أقوم بأكثر مما قمت به في سبيل مواجهه الشائعات ودحضها على الجانب الروسي.ولم يكن أمامي سوي الانتظار لأعرف صدى الخطابات التي أرسلتها في هذا الشأن .

مرت الأيام والشهور إلى أن وصلتني إشارة ترجمت لي صدى الرسائل التي أرسلتها.وصلتني هذه الإشارة أثناء حضوري إحدى المناسبات العلمية التي نظمها في ذلك الوقت معهد التبين للدراسات المعدنية الذي يشرف الروس على إدارته والتي جاءت على لسان الدكتور يافويسكى مدير معهد الصلب والسبائك في موسكو حيث جاء خصيصا لحضور هذه المناسبة.كان الدكتور يافويسكى يعرفني وأعرفه جيدا بحكم أستاذيته لي ويبدو أنه كان قد كُلِّف بنقل هذه الإشارة إلي وقال لى بالحرف الواحد : « سيد أرجو أن تتقبل اعتذارنا فقد تبينا أن تليفوناتنا رديئة التوصيل » كانت هذه الإشارة كافية لإزالة كل أثر سيء من نفسي تجاه الروس وأنها تؤكد على زوال سوء الفهم الناجم لديهم عن الشائعات التي أخترعها وروجها بعض المصريين.

لم يتبق لي بعد ذلك سوى مواجهة الزملاء في أسيوط حيث مصدر الشائعات وكان لعميد الكلية الفضل في نشرها في الكلية وفي أروقة الاتحاد الاشتراكي فى نفس الوقت الذى كان أمينا له. انتقلت الشائعات من الكلية إلى الاتحاد الاشتراكي ثم إلى جميع أنحاء الجامعة والبلاد إلى أن تخطت الحدود ووصلت إلى الاتحاد السوفيتي والسودان. كان بعض من يروجون الشائعات في أسيوط لا يعرفونني بل منهم من لم يسبق له أن رآني .من هنا كانوا يفاجؤون بي في بعض الأحيان جالسا بينهم مستمعا معهم إلى الشائعات التي تتعلق بي دون أن يتنبهوا أو ينبههم أحد إلى وجودي بينهم.تكررت هذه المفارقات ووصل الأمر بأحدهم مرة أن أقسم أمامي على أنه قد سمعني بأذنه في صوت أمريكا وأنا أندد بالثورة والاشتراكية ولم يكن قد رآني من قبل. كان انتشار خبر عودتي إلى جامعة أسيوط هو أفضل رد على هذه الشائعات.كانت عودتي عنوانا للحقيقة في مواجهه الكذب والافتراء .ومع مضي الوقت انقشعت في أسيوط غيامة الشائعات تحت تأثير شمس الحقيقة.

ولا أعتقد أن مصر سبق لها أن عرفت تعبير الاغتيال المعنوي أو أن هناك من استخدم هذا التعبير ولو مجازا في أحد الأعمال الأدبية قبل الثورة.من هنا يمكننا القول بأن ثورة يوليو كان لها السبق في نحت واستخدام هذا التعبير غير أن تعبير القوى المضادة للثورة يختلف في هذا الشأن ، حيث نجده ملازما لكل الثورات ، بينما الصراع بين قوى الثورة والثورة المضادة هو فقط الذي سوف يختلف في طبيعته وقوته من ثورة إلى أخرى، ومن شعب إلى شعب آخر.وقد عبر باسترناك في رائعته دكتور جيفاجو عن هذا الصراع، وكيف تمكنت القوى المضادة للثورة من الوثوب والسيطرة على الثورة البلشفية والسلطة في روسيا. وفي حالة ثورة يوليو لا تزال العلاقة بين الثورة والثورة المضادة في حاجة إلى المزيد من الاجتهاد والتفسير، غير

إنني أؤكد هنا على أن الثورة الحقيقية لا يمكن أن تؤدى إلى حكم مزيف أو إلى نظام حكم غير ديمقراطي الأمر الذي تميزت به ثورة يوليو .كما إننا ما زلنا مندهشين من جراء تنكرها لأعز وأخلص أبنائها أمثال محمد نجيب ويوسف صديق وخالد محيي الدين وأحمد حمروش وغيرهم من الأبطال المعدودين. ولم يكن تنكرها هذا إلا بسبب تمسكهم بالديمقراطية . كما أن استمرار الثورة في إتباع النهج الاستبدادي وتشجيعها للرياء والنفاق والتملق ومسح الجوخ والفساد والضرب بيد من حديد لكل صوت ينادى بالحرية، كل ذلك يؤكد لنا أن الثورة قد انحرفت عن مسارها، وأن القوى المضادة للثورة هي التي كانت تحكم البلاد وتدير شئونها وبدرجات تصاعدية منذ عام ١٩٥٤ وإلى الآن .

هذا ومن الجدير بالذكر أن الله سبحانه وتعالي قد عاقب عميد الكلية الذي كان له الفضل في نشر الشائعات المسيئة لي بأن سلط عليه أحد زملائه الطامعين في منصبة والذي قام بالدس له لدى بعض ذوى النفوذ ففوجئنا في يوم وليله باختفائه من الكلية ومن أسيوط هكذا ربك يمهل ولا يهمل .

توابع الزلزال ونهاية إمبراطورية صلاح نصر :

كانت هزيمة يونيو كالزلزال الذى أصاب الأمة العربية، وحطم العديد من ثوابتها. غيّر المصريون رأيهم وفقدوا ثقتهم في العديد من الثوابت التي ظلوا يؤمنون بها ويرددونها لخمسة عشر عاما هي عمر الثورة .

لم يعد حبهم لجمال عبد الناصر كما كان من قبل دون مقابل. استيقظت بعض رموز الحركة الوطنية من سباتها العميق، وظلوا يفكرون ويفكرون يتباحثون ويبحثون عن أسباب الهزيمة النكراء التي ألمت بهم، ولحقت ببلادهم وبأمتهم العربية، وأطاحت بآمالهم وأحلامهم .

كانت الأحكام التي صدرت ضد بعض قيادات الجيش هزيلة لا تشفي الغليل ولا تتناسب مع حجم الفجيعة التي ألمت بنا، لذا قوبلت برفض عارم في جميع الأوساط وبالذات من طلاب الجامعات. شهدت مصر لأول مرة منذ قيام الثورة مظاهرات حقيقية عام ١٩٦٨ عبر خلالها الطلاب عن سخطهم ورفضهم لا للأحكام الهزيلة فقط بل للنظام بوجه عام .

كانت فلسطين وشعبها هم أضعف وأكبر الضحايا. كانت نكبة الشعب الفلسطيني هذه المرة هي ثالثة الأثافي، وأكبر نكباتها على مر تاريخها الحافل بالنكبات. جاءت جميع نكباتها على أيادي الملوك والرؤساء العرب غير أن نكبتها هذه المرة قد جاءت على يد جيش مصر الباسل. عبر الفلسطينيون في كل مكان عن غضبهم وحزنهم. صبوا جام غضبهم على الملوك والرؤساء العرب الذين خذلوهم وتسببوا في احتلال دولتهم وتشريد أطفالهم. فرطت مصر في قطاع غزة كما فرطت في سيناء . فرطت الأردن كذلك في الضفة الغربية وفرطت سوريا في بحيرة طبرية والجولان. لم يعد للفلسطينين مأوى سوى اللجوء والعيش في بعض الدول العربية المجاورة لوطنهم، أقاموا فيها لحين عودتهم إلى ديارهم. أقام معظم الفلسطينيين في الأردن حيث كان يعيش فيها أعداد كبيرة من ذويهم وأصهارهم منذ فترة الأربعينيات. وجدوا في الأردن الأمن والأمان الأمر الذي شجعهم على جمع شملهم وتنظيم صفوفهم واستنفار روح المقاومة فيهم .

كنت أشعر بالأمن والأمان في مصر رغم الشائعات التي كانت تلاحقني وتزعجني . كثرت لقاءاتي مع أصدقائي وزملائي في الإسكندرية والقاهرة وأسيوط. كنت أسمع منهم فى هذه اللقاءات ما غاب عني طوال فترة غيابي وبالذات فترة الحرب وما واكبها من تداعيات .

حكوا لي عن المحاكمات الصورية التي عقدتها المحاكم العسكرية لبعض قيادات

القوات المسلحة لتبرير الهزيمة الثقيلة التي ألمت بنا. أجمع الزملاء والأصدقاء على أن محاكمة صلاح نصر رئيس المخابرات المصرية كانت هي الأهم من بين هذه المحاكمات. أوضحت لنا محاكمة صلاح نصر كما كشفت لنا جزءًا من المستور. أكدت الأحداث والمحاكمات ما كان يردده البعض بأن قطار الثورة قد انحرف عن مساره منذ عام ١٩٥٤ . وأن الصف الثاني لتنظيم الضباط الأحرار هو الذي تسلم زمام الأمور في البلاد منذ ذلك التاريخ . لم يهتم هؤلاء الضباط بمصلحة البلاد أو بالثورة ومبادئها التي ضحوا في يوم من الأيام بحياتهم من أجلها . اعتبروا أن مجرد انتمائهم إلى تنظيم الضباط الأحرار ونجاح حركتهم في الاستيلاء على الحكم في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان بمثابة التضحية بحياتهم وبالتالى أصبح لهم الحق أن يأخذوا دون حساب، أوليست الحياة سوي أخذ وعطاء؟! أعطى كل واحد منهم نفسه الحق في أن يكون رئيسا لا يحاسب في الموقع الذي يقع اختياره عليه. تمكن شمس بدران من السيطرة على مملكة المشير عبد الحكيم عامر، وأصبح المشير ملكا غير متوج في مملكته .وأصبح صلاح نصر هو الآخر المسيطر على ما تبقى من البلاد بها في ذلك الرئاسة. من هنا يذهب البعض إلى أن عبد الناصر في تلك الفترة وكما كان يصوره صلاح نصر لم يكن سوي موظفٍ بدرجة رئيس جمهورية .

ومن المعروف أن المخابرات العامة في أي بلد من البلاد تختص فقط بشؤون الأمن الخارجي . غير أن صلاح نصر على ما يبدو قد امتد نفوذه وهيلمانه حتى تمكن من السيطرة على جميع الأجهزة الأمنية في الخارج والداخل. وتمكن خلال فترة قصيرة من تحويل مصر إلى سجن كبير. كان يتباهى بين أصدقائه وعشيقاته بتحكمه في تحركات الرئيس وتحديد خط سيره ومحل نومه. كان يتصل فى وجودهم بالرئيس ينصحه بعدم المبيت الليلة في منزله لدواعٍ أمنية وكان الرئيس يعمل برأيه ويستجيب

إلى طلبه . كان يتلذذ بمشاهدة التعذيب الوحشي الذي كان يقوم به حمزة البسيوني للمعتقلين من أبناء الوطن الشرفاء . كان يختلق الذرائع والدواعي الأمنية ...... إلى آخره من هذه الكلمات المسمومة حتى ينكل بكل من تسول له نفسه أن يمارس حريته ويعبر عن رأيه . كان يتلذذ بمشاهدة تصوير الأفلام الجنسية الفاضحة التي كان يأمر بتصويرها لاستخدامها في تحقيق على حد قوله أهداف وطنية تنتهي بالاتجار بها لجلب العملة الصعبة للبلاد.

ردد زملائي على مسامعي قصة أحد الأساتذة بكلية الزراعة الذي فصل دون قرار، ولم يصرف له راتبه لأنه ذكر في محاضرة له عن الدواجن ما يفيد بأن إسرائيل قد تمكنت من مضاعفة قدرة الدجاج على التبييض عن طريق التحكم في الإضاءة . كان جزاء هذا الأستاذ هو العزل وعدم صرف راتبه لأكثر من عام. كان من بين تلاميذه من أبلغ الجهات الأمنية بما ذكره الأستاذ فاتخذوا في شأنه ما كان من الممكن أن يودي بحياته لولا أن رحمة الله واسعة . أدت هذه القصص وتلك الروايات التي سمعتها من أصدقائي وزملائي إلى خوفي واندهاشي وتمسكي بإيماني بأنه ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ صدق الله العظيم . شعرت بالخوف لأنه لو كان طالني صلاح نصر خلال الفترة ٦٣-٦٦ لكنت الآن في خبر كان واندهاشي من أن زبانيته كانوا إلى هذا الحد منشغلين بأشياء أهم حسب تقديرهم . والآن بعد انتهاء عهد صلاح نصر وزبانيته لن يكون هناك داعٍ للخوف أو الاندهاش وسأظل متمسكا بإيماني وثقتي بالله و إرادته سبحانه وتعالي .

العودة إلى النشاط الطلابي :

تخرج معظم الطلاب الذين كنت أعرفهم ويعرفونني خلال فترة غيابي عن أسيوط. كان هناك مع ذلك عدد قليل من الطلاب ممن عاصروني خلال الفترة السابقة . كان يملؤهم الحماس والرغبة في التجمع حولي مرة ثانية ولإحياء نشاط

أسرة إخناتون. بدأت الأسرة نشاطها هذه المرة في ثوب جديد يتلاءم مع الظروف الجديدة التي نعيشها . أصبحت قضية تحرير الأرض واستعادة الكرامة الوطنية هي المحور الأساسي في نشاط الأسرة . كانت مجلة الأستاذ هي مجلة الحائط للأسرة. اخترت لها هذا الاسم تيمنا بمجلة الأستاذ التي أصدرها البطل عبد الله النديم إبان الثورة العرابية . كانت تتناول الحديث عن ثورة عرابي وسيرة أبطالها وأبطال الحركة الوطنية. اخترت صورة عبد الله النديم لتكون شعارا ثابتا للمجلة . تعددت نشاطات الأسرة غير أنها رغم تعددها كانت تصب جميعها في اتجاه واحد وهو دعم الثورة من أجل تحرير الأراضي العربية المحتلة .

كان أعضاء الأسرة يقومون بجمع التبرعات من أجل شراء بعض احتياجات أسر المهجرين الذين تم تهجيرهم من منطقة القناة ويقيمون بصورة مؤقتة في أسيوط . تطلب هذا الأمر الحصول على قوائم بأسماء أسر المهجرين، وعناوينهم لكي يقوم أعضاء الأسرة بصفة دورية بزيارتهم ورفع معنوياتهم . اشتكى لي بعض الطلاب من قيام أحد المخبرين التابعين لمباحث أمن الدولة بملاحقتهم ومضايقتهم أثناء قيامهم بزيارة أسر المهجرين. كاد الطلاب في إحدى المرات أن يفتكوا بهذا المخبر لولا تدخلي لإنقاذه من بين أيديهم . هكذا كان جهاز أمن الدولة يضع كل من يقوم بأي عمل وطني تحت المراقبة بحجة الحرص على أمن وسلامة البلاد. لست أدرى ما إذا كانت تلك الأجهزة تعلم أو لا تعلم بأن ما تقوم به في هذا الصدد يؤدي إلى تثبيط همم من يرغبون في خدمة الوطن، وأن مجهودات تلك الأجهزة في هذا الشأن تصب في النهاية في خانة الأعداء. ولك أن تتصور حين يجد كل من يقوم بخدمة وطنه نفسه مراقبا . وأن من يقوم بمراقبته هو مجرد مخبر غلبان لا يجيد القراءة ولا الكتابة منعدم العلم والإدراك كل همه هو إرضاء رؤسائه بإضفاء الأهمية سواء

بالحق أو بالباطل على الدور الذي يقوم به والمعلومات التي يجلبها لهم . نقلت تصوري هذا إلى مفتش مباحث أمن الدولة في أسيوط في ذلك الوقت العميد عبد المنعم عوض الأمر الذي أدى إلى استمرار أعضاء أسرتي في زياراتهم لأسر المهجرين وأصبح المخبر رفيقا لهم ومشتركا معهم في نشاطهم .

اهتمت الأسرة بالترفيه عن أسر المهجرين وتقديم بعض الفقرات الترفيهية في محال إقامتهم . فكرت في تنظيم حفل ترفيهي يضمهم جميعا في الجامعة اخترت أن يضم الحفل عملا مسرحيا قمت بإخراجه واعتمدت فيه على ممثلين وممثلات من أعضاء الأسرة. وقع اختياري على قصيدة «ليلي العدنية» للشاعر الفلسطيني سميح القاسم وقمت بكتابتها في صورة نص مسرحي. كان اللواء ممدوح سالم الذي أصبح فيما بعد واحدا من أشهر وزراء الداخلية في مصر هو محافظ أسيوط . ذهبت إليه ودعوته لحضور الحفل الترفيهي لأسر المهجرين في الجامعة، ورحب سيادته ووعدني بالحضور. كانت أول وآخر تجربه لي في الإخراج المسرحي رغم نجاحها وكانت أول مرة حسب علمي يتم فيها تحويل قصيدة للشاعر سميح القاسم إلى مسرحية شعرية .

تضمن الحفل بعض الفقرات الترفيهية التي شارك فيها أفراد من أسر المهجرين. قام ممدوح سالم في نهاية الحفل بتوزيع الهدايا والجوائز على المشاركين في المسابقات، وكان هذا الحفل بمثابة مسك الختام لنشاط أسرة إخناتون للعام الدراسي ٦٩/ ٧٠ غير أن إدارة الجامعة قررت هي الأخرى الاشتراك على طريقتها في توزيع جوائز الحفل وأرسلت لي قرار رئيس الجامعة الصادر في ١٧/ ٣/ ١٩٧٠ بشأن نتيجة التحقيق في قضية النيابة الإدارية رقم ٢٦٣/ ١٩٦٩ لتسببي في ضياع عدد مائة وعشرة صوانٍ ألومونيوم أثناء إشرافي على معسكر العمل في أسوان عام ١٩٦٤ وتحميلي بمبلغ ١٠٠,٤٣٠ (مائة جنيه وأربعمائة وثلاثون مليما) قيمة المائة صينية وعشرة بالمصاريف

الإدارية ولفت نظري هذا رغم أنني سبق وأن تبرعت براتبي للجامعة أثر هزيمة ٦٧ طوال مدة المهمة العلمية في الولايات الأمريكية حتى مارس ٦٩ . وصلني هذا القرار بعد انتهاء الحفل الترفيهي الذي أقمته لأسر المهجرين في أسيوط .

ادارة الشئون القانونية

الموضوع :

الرقم ٨٨٠ / ٧ / ١١٨ مرفقات

بسم الله الرحمن الرحيم

مطبعة جامعة اسيوط / ٤٠ د / ١٩٦٧

السيد الدكتور / سيد محمد سيد عبد الرسول

الاستاذ المساعد بكلية الهندسة

تحية طيبة وبعد

بناء على نتيجة فحص التظلم رقم ٣٦ لسنة ١٩٧٠ والمقدم بتاريخ ١٩٧٠/٥/١٠ وتتظلمون فيه سيادتكم من قرار السيد الاستاذ الدكتور مدير الجامعة فيما تضمنه من :

" تحميلكم بمبلغ ٣٤٠ر١٠٠ (مليم جنيه) قيمة المائة صينية بالاضافة الى ١٠٪ مصاريف ادارية .. ولفت نظركم . "

قرر السيد الاستاذ الدكتور مدير الجامعة بتاريخ ١٩٧٠/٧/١٤ الاكتفاء بتحميلكم بقيمة العجز ويقسط على ثلاث سنوات .

برجاء الاحاطة .. واتخاذ اللازم نحو سداد المبلغ والافادة حتى يمكننا اخطار الجهاز المركزى للمحاسبات .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ..

١٩٧٠/٧/١٨

مدير الشئون القانونية

(جلال مازن)

١٩٧٠/٧/١٩

حملتني الجامعة قيمة العجز في صواني لمدينة جامعية في الوقت الذي كنت تبرعت بقيمة مرتبي أثناء المهمة العلمية وعدت إلى أسيوط لأعمل مدرسًا بعد أن كنت أستاذًا مشاركًا بجامعة ولاية كانساس بالولايات المتحدة الأمريكية وعجبي!!

ودارت بذهنى بعض خواطرى أذكر منها:

في مهرجان الحب كنت أنا المهزوم

وباللسان اتغلبت وأنا اللي عمري كتوم

ده مين يقول الحب باللسان يتقاس

وإن كان لسانك قصير بالمداس تنداس

عجبي !!



مذكرات
أستاذ جامعة

المقاومة والصمود والتغيير
(أسلوب حياة)

الفصل العاشر

العمل من أجل تغيير نظام الحكم
– نهاية عهد عبد الناصر –
بداية عهد السادات ١٩٧٠-١٩٧٢

نظام حكم مصر ١٩٥٤ـ١٩٧١ :

أصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بإلغاء الأحزاب وسمح فقط لجماعة الإخوان المسلمين بالبقاء على أن يقتصر نشاطها على الدعوة ودون التدخل في السياسة . وبذلك يكون قد حرم البلاد من عودة الحياة الديمقراطية التي كانت مصر من أوائل الدول التي مارستها مع بداية القرن العشرين . كما تخلص المجلس من أعضائه المتزعمين لعودة الضباط إلى ثكناتهم وأن يكون النظام الديمقراطي منهجا للثورة. وأصبح بذلك الطريق ممهدا أمام مجلس قيادة الثورة وتنظيم الضباط الأحرار للانفراد بالحكم والسيطرة على مقاليد الأمور في كافة أنحاء البلاد. كان كل من محمد نجيب ويوسف صديق وخالد محيي الدين وغيرهم ممن شاركوهم هذا الرأي من ضحايا تلك الفترة السوداء من تاريخ مصر. أصبح نظام حكم مصر منذ ذلك التاريخ نظاما ديكتاتوريا بكل ما تعنيه هذه الكلمة واختار البعض وصفا أكثر عذوبة أطلقوه على جمال عبد الناصر، وهو «الديكتاتور العادل»، واجتهد بعض دهاقنة النظام من رجال القانون ونحتوا تعبير الشرعية الثورية ليبرروا به انفراد جمال عبد الناصر وزملائه بالحكم، غير أن النظام سرعان ما أكتشف ضرورة وجود تنظيم مدني يقوم بالدفاع عن مجلس قيادة الثورة وتأييد قراراته في مختلف القطاعات بما يؤدى إلى حماية النظام وحراسته. تعددت المسميات لهذا النظام الذي بدأ بمنظمة التحرير ثم الاتحاد القومي ثم الاتحاد الاشتراكي، علاوة على التنظيم الطليعي ومنظمة الشباب . كان يشرف في كل مرة على هذه التنظيمات واحد ممن يتم اختيارهم ويثق فيهم جمال عبد الناصر وأصبح الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم المدني والرسمي والسياسي الوحيد في عهد جمال عبد الناصر. كانت كل هذه التنظيمات جميعها منظمات طفيلية تضم مجموعة من المنتفعين الذين تفرغوا للعمل من أجل

الحفاظ على النظام وهيبته وضمان استمراره إلى ما شاء الله . لذا تم تخصيص جزء لا بأس به من الدخل القومي للصرف منه على هذه التنظيمات الطفيلية التي انتشر أعضاؤها وهيمنوا على كافة المؤسسات الإنتاجية والخدمية ودون أن يقوموا بأعمال تذكر في هذه المؤسسات . كانوا يتقاضون أعلي الرواتب والحوافز المادية والعينية . من هنا عرفت البلاد منذ تلك الفترة ما أطلق عليه حاليا الفساد والإفساد ومراكز القوى ..... إلى آخر هذه المسميات . كانت هذه المنظمات الطفيلية تقوم بعملها بالتنسيق مع كافة الأجهزة الأمنية والرقابية التي كان ينالها بالطبع من الحب جانب . من هنا كان لوزارة الداخلية وكافة أجهزتها بما في ذلك جهاز الأمن المركزي ومباحث أمن الدولة نصيب لا بأس به من الدخل القومي لمصر، ويأتي قبل كل ذلك بالطبع نصيب القوات المسلحة والحرس الجمهوري وأجهزة الرئاسة وأجهزة المخابرات بأنواعها والأجهزة الرقابية بأنواعها وجميعها على أهميتها لاتساهم بقدر يذكر في الدخل القومي لمصر .

ويتم صرف ما تبقي من الدخل القومي على ضآلته على برامج التنمية والخدمات بأنواعها، وكذلك المرتبات. هذا ومن الجدير بالذكر إن بعض حكومات الدول النامية ومعظم الأنظمة العربية، قد نقلت عن مصر هذا النظام بعد أن ثبت لهم نجاحه في تثبيت دعائم الحكم بها وطبقته هي الأخرى في بلادها، وتمكنوا بواسطته من السيطرة الدائمة على مقاليد الحكم في بلادهم .

كان لنظام حكم مصر الذي يعتبر بحق من بنات أفكار زعيم الثورة جمال عبد الناصر بعض الإيجابيات، وبعض السلبيات، وسوف نقوم هنا بسرد بعض هذه الإيجابيات والسلبيات التي تميز بها نظام جمال عبد الناصر في حكم مصر أى خلال الفتره من ١٩٥٤ وحتى نهاية ١٩٧١ .

وتتلخص إيجابيات نظام حكم مصر في عهد جمال عبد الناصر فيما يلي :

١- وجود جمال عبد الناصر على رأس النظام .

٢- كان لعبد الناصر لما لديه من كاريزما طاغية دورًا مهما ورئيسيًا في التفاف الشعب كل الشعب حوله وتأييده في كل القرارات التي أتخذها وبصرف النظر عن الدور الذي كانت تقوم به كافة التنظيمات الطفيلية التي أنشئت في عهده .

٣- انتقال مصر من الملكية إلى الجمهورية .

٤- إنهاء الاحتلال البريطاني للسودان وإعطائهم حق تقرير المصير وحصولهم على الاستقلال .

٥- إنهاء الاحتلال البريطاني لمصر وتحقيق الاستقلال التام .

٦- صدور قانون تحديد الملكية الزراعية وتوزيع أراضي على الفلاحين المعدمين .

٧- تمصير البنوك الأجنبية وتأميم الشركات والمصانع الأجنبية .

٨- تأسيس النقابات وتمثيل العمال في مجالس إدارات المصانع والشركات .

٩- صدور قوانين الضمان الاجتماعي والتأمين الصحي والاهتمام بالحقوق الإجتماعية وإتاحة فرصة الالتحاق بالعمل أمام جميع أفراد الشعب .

١٠- بناء المساكن الشعبية .

١١- تأميم قناة السويس وبناء السد العالي .

١٢- نشر التعليم وإرسال البعثات إلى الخارج .

١٣- العمل على تحويل مصر إلى بلد صناعي وإنشاء مئات المصانع في مختلف لأنشطة والمجالات .

١٤- مساندة حركات التحرر في العالم، والوقوف بجانب الثورات في الجزائر

واليمن وليبيا والعراق وسوريا ومدّهم بالمال والسلاح والعتاد .

١٥- الاشتراك في تأسيس حركة عدم الانحياز ومنظمة التضامن للشعوب الأفريقية والآسيوية .

١٦- تثبيت دعائم المواطنة لدي جميع أفراد الشعب بكل فئاته وطوائفه .

هذه هي معظم الإيجابيات التي أتذكرها ولمستها وعايشتها على أرض الواقع خلال فترة حكم جمال عبد الناصر لمصر . وأعتذر مسبقا إذا غفلت عن ذكر إحدى الإيجابيات، وأن ذلك إن حدث يكون من باب السهو أو الخطأ غير المقصود .

هذا وتتلخص سلبيات نظام حكم مصر في عهد جمال عبد الناصر فيما يلي :

١- اختيار الديكتاتورية في حكم البلاد ومصادرة الرأي الآخر وحرية التعبير، والضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه ممارسة حقه في التعبير أو الإدلاء برأي مخالف لرأي جمال عبد الناصر.

٢- التخلص من جميع المعارضين لنظام الحكم مهما كانت قيمتهم أو وزنهم ومهما قدموه من تضحيات في سبيل الوطن وأخص هنا بالذكر محمد نجيب ويوسف صديق وخالد محيي الدين وفيما بعد عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين وزكريا محيي الدين ولم يتوقف عند ذلك بل قام بإلغاء جزء مهم من تاريخ النضال الوطني ووصف عصر ما قبل الثورة بالعهد البائد وحرم البلاد من الاستفادة من كل من كان قد تبوأ منهم منصبا في تلك الفترة رغم أن معظمهم كانوا من رجال الفكر المشهود لهم بالوطنية، وقدموا خدمات جليلة لبلدهم أخص منهم بالذكر الدكتور طه حسين، وهو أول من نادى ونفذ مجانية التعليم في مصر واشترط

على حزب الوفد ذلك حتى يوافق على تولي وزارة المعارف في حكومته .

٣- تسلمت القوي المضادة للثورة في عهده مقاليد معظم الأمور وتغلغلت وشغلت المناصب الهامة في جميع المنظمات الطفيلية التي تأسست في عهده مما أدى إلى غرس بذور الفساد والإفساد والتملق والرياء والنفاق ومسح الجوخ ..... إلى آخره من الأمراض الاجتماعية التي لم تكن معروفة من قبل، كما تمكنت مما هو أخطر عندما نجحت في اختراق الأجهزة الأمنية والسيادية في مصر .

٤- انتشرت في عهده القرارات التي اتصفت بالعشوائية وأذكر منها على سبيل المثال القرارات الخاصة بالتأميم ومصادرة أملاك المصريين، والقرارات التي أدت إلى تفتيت الأراضي الزراعية والقضاء على الثروة الحيوانية والاستثمار العقاري . كما كان التطبيق الاشتراكي في عهده يتم بواسطة أشخاص معظمهم ممن يعارضون التوجه الاشتراكي في مصر .

٥- الترويج في عهده لتعبير أهل الثقة وأهل الكفاءة. الأمر الذي أدي إلى عدم الاعتداد بالكفاءة في اختيار المسؤولين والاعتماد فقط على أهل الثقة . فأصبح بذلك كل من يقع عليه الاختيار يعتبر نفسه من أهل الثقة ومن لا يحالفه حظ الاختيار يكون من أهل الكفاءة . الأمر الذي أدى بالضرورة إلى إطلاق يد أعضاء الصف الثاني في تنظيم الضباط الأحرار، وأقاربهم في الهيمنة على مقدرات البلاد وثرواتها رغم عدم كفاءتهم .

٦- اعتمد النظام منذ بدايته على نفس الأجهزة الأمنية البوليس السياسي والقلم المخصوص التي كانت موجودة في ظل الملكية في ملاحقة رموز العمل الوطني بعد الثورة . كما أضاف إليها بعض الأجهزة التي لم تكن معروفه أيام العهد البائد على حد تعبيرهم لتعذيب المساجين السياسيين ضاربين بعرض الحائط بكافة القوانين

المحليـة والدوليـة وحقـوق الإنسـان والمواثيـق الدوليـة التـي وقعـت عليهـا حكومـة الثورة .

٧- هذا وقد عرفت السجون المصرية في عهد الثورة ولأول مرة ما أطلـق علـيهم « سجناء الرأي »، وكان هؤلاء المساجين يلاقون أسـوأ معاملـة في سـجنهم بالمقارنـة بباقي المسجونين في القضايا الأخرى مثل قضايا القتل والمخدرات والدعارة .

٨- جاء اهتمام النظام بمساعدة حركات التحـرر الـوطني في العـالم والثـورات في مختلـف أنحـاء الـوطن العـربي عـلى حسـاب خطـط التنميـة ونشر التعلـيم والبنيـة الأساسـية ومـد شـبكة التـأمين الصـحي إلى بـاقي المحافظـات ورفـع كفـاءة القـوات المسلحة في التصدي للعدو والدفاع عن الوطن .

٩- صرف النظر عن الوحدة العربية بجميع أشكالها سواء مع سـوريا أو العـراق أو السودان أو مع اليمن.تشجيع غـرس عبـادة الشـخص في عقـول المصريـين وكـان المقصود به جمال عبد الناصر وحده دون شريك .

١٠- إصرار جمال عبد الناصر على رفض الديمقراطية نظاما لحكم مصر رغم أن تحقيق هذا الحلم للمصريين كان أقرب إلى التحقيق في عهده من أي وقت آخر .

١١- أطلق عبد الناصر يد المشير عامر في القوات المسـلحة، مـع تأكـده مـن عـدم كفاءتـه ومـن نزواتـه مضـحيا في ذلـك بـأمن الـبلاد مقابـل حمايـة النظـام واسـتمراره شخصيا في الحكم.

١٢- انفراد جمال عبد الناصر باختيار أنور السادات خلفا له، رغـم تحفـظ بعـض زملائه عليه ورغم علمه المسبق بما كـان يحـوم حولـه مـن شـائعات وشـبهات ورغـم معرفته بخبرته السابقة في التعامل مع أجهزة المخابرات الأجنبية .

١٣- عدم تقدير أثر الثوابت السوفيتية على الصراع العربي الإسرائيلي .

هذا ومن الجدير بالذكر إنني بقدر معايشتي للإيجابيات فأنا شاهد أيضا على السلبيات، بل إنني كنت ممن عانوا منها وواجهوها وثاروا ضدها . كنت أحاول دائما أن أتحقق من شكوكي وأبحث عن مدي صدق أحاسيسي وظنوني . كان الأستاذ فتحي رضوان رحمه الله هو أول من وضح لي ماهية التغير الذي طرأ على شخص عبد الناصر وكيف وصل إلى حد ما نسمية بعبادة الشخص وكيف أن عبد الناصر كان يطرب لسلوك المحيطين به عندما ينقلون إليه هذا الإحساس . عندما وصلت الأمور إلى هذا الحد قرر فتحي رضوان الابتعاد وتقدم باستقالته من الوزارة رغم حبه لعبد الناصر ولأفراد عائلته . وقد لمست منه بنفسي ذلك في تعامله مع خالد النجل الأكبر لجمال عبد الناصر إبان فتره حكم السادات وكيف تعامل معه كأحد أبنائه ورأيت كيف اغرورقت عيناه بالدموع وهو يلاطفه ويسأله عن صحته وصحة إخوته .

كما أذكر هنا واقعة خطبة سعد زايد محافظ أسيوط، التي قارن فيها بين عبد الناصر والأنبياء نبيا نبيا ودون أن يستثني واحدًا منهم ليوضح من خلال خطبته تفوق عبد الناصر عليهم بعدها كافأه عبد الناصر على هذه الخطبة وعينة محافظا للقاهرة ثم وزيرا للإسكان .

كان من حظي إنني قد تعرفت على الدكتور مراد غالب خلال فتره عمله في الستينيات سفيرا في الاتحاد السوفيتي، واستمرت علاقتي به ولم تنقطع إلى أن لبي نداء ربه في ديسمبر ٢٠٠٧ . وجدت نفسي في إحدى لقاءاتي معه أسأله : بوصفك العضو المدني الوحيد في تنظيم الضباط الأحرار، وأنت كما نعلم كنت من المقربين إلى قلب وعقل جمال عبد الناصر، لماذا وأنت على هذا القدر من الحظوة لم تقترح

عليه تطبيق الديمقراطية في حكمه لمصر؟! قال لي سيادته إنه وبعض زملائه قاموا بالفعل بمفاتحته في هذا الشأن وقالوا له أنه لو أسس حزبا وأجرى انتخابات حرة في مصر في ظل تطبيق الديمقراطية فإنه سوف يكون بذلك أول رئيس للبلاد منتخب في ظل النظام الديمقراطي ، غير أن جمال عبد الناصر لم يستجب لرأينا لأنه – على حد قول مراد غالب – لا يطيق أن يرى واحدا يعارضه في مجلس الأمة . وهذا ما أكدته لنا الأحداث ذلك عندما تحدث الشيخ عاشور نائب دائرة الجمرك بالإسكندرية في أحد الاجتماعات عن الفساد الذي عم البلاد أختفي بعدها الشيخ عاشور ولم نسمع به أو عنه إلى الآن، كما أن ما حدث مع الدكتور رشوان فهمى إبان حقبة عبد الناصر يؤكد هو الآخر مدى خطورة وفساد هذه الفترة . كان الدكتور رشوان فهمى رحمه الله من أول المؤيدين لحركة الجيش حيث دعا فى ٢٤ يوليو ١٩٥٢ بصفته رئيسا لنادى هيئة التدريس إلى عقد اجتماع تمخض عنه إرسال برقية تم نشرها فى جريدة الأهرام فى ٢٥ يوليو باسم أعضاء هيئة التدريس بجامعة فاروق الأول يؤيدون فيها حركة الجيش . وأذاعت محطة الإذاعة البريطانية ما جاء فى البرقية التى فتحت الطريق إلى عشرات ومئات البرقيات المماثلة . كان رشوان فهمى مثالا للوطنية والثورية لذا اختاره الأطباء نقيبا لهم لثلاث دورات متتالية ٥٧،٦١،٦٥ الأمر الذى بعث القلق لدى الحكومة التى كانت تقوم فى كل مرة بترشيح منافس له من بين أطباء الجيش . وفى عام ١٩٦٦ نشرت جريدة الأهرام تصريحا لعبد الناصر يقول فيه « إننا نجحنا فى إدارة قناة السويس وفشلنا فى إدارة القصر العينى » – كان المبلغ المخصص للإنفاق اليومى على المريض فى ذلك الوقت هو تسعة قروش فقط – من هنا قام الدكتور رشوان فهمى فى جمع من الأطباء بالإشادة بأمجاد القصر العينى فى الماضي وأشار إلى النقص الشديد فى الامكانات التى تعانى منه حاليا وأضاف : « اعطوا القصر العينى الامكانات المتاحة لقناة

السويس وسوف ترون ما يمكن أن ننجزه » وفى نفس المقام قال زميله الدكتور عثمان وهبى مخاطبا الحاضرين « لقد رد رشوان فهمى اعتباركم ومكانتكم وكرامتكم »، وكان نتيجة ذلك أن فرضت الحراسة على كل من رشوان فهمى وعثمان وهبى فى يوليو ١٩٦٦، وتم فصلهما بقرار جمهورى من الجامعة . هكذا تخلصت القوى المعادية للثورة من أكثر الناس وطنية وثورية وأعلاهم شأنا فى قلوب المصريين وقام رئيس وأعضاء هيئة التدريس بقسم العيون بطب الإسكندرية – بعد رحيل عبد الناصر – بإطلاق اسم رشوان فهمى على قاعة المحاضرات بالعيادة الخارجية للقسم، ووضع صورة كبيرة له مع لوحة رخامية باسمه وتاريخ حياته وإنجازاته .

كما إنني أذكر جيدا ما كان يردده الدكتور عزيز صدقي في أحاديثه ونقل لنا ما كان يقوله له جمال عبد الناصر : « يا عزيز والله أنا خايف إن اللي ييجوا بعدنا يهدموا كل اللي بنيناه » كان الدكتور عزيز صدقي حين يردد ذلك على مسامعنا يقصد الدفاع عن عبد الناصر وعهده بينما كنت أنا عند سماعي هذا الحديث أرى عكس ذلك وأجده يحمل إدانه لعبد الناصر. لم أجهر برأيي هذا أمام الدكتور عزيز صدقي احتراما وتقديرا لمشاعره وللدور الذي قام به ولتأكدي من حسن نيته. فقد كنت أرى بعد أن سمعت ما جاء على لسان الدكتور عزيز صدقي، أنه طالما كان عبد الناصر حريصا على إنجازاته ويتخوف على ضياعها كان الواجب يحتم عليه أن يتخذ التدابير اللازمة للحفاظ على هذه الإنجازات، ذلك من ناحية ومن ناحية أخرى كان عليه أن يكون حريصا ودقيقا عند اختياره لمن يأتي بعده . وكان الأحرى به أن يتمسك بالديمقراطية لأنها الوحيدة القادرة على الدفاع عن الثورة ومكاسبها .

هذا ومن الجدير بالذكر أن إيجابيات عهد عبد الناصر سالفة الذكر كان من الممكن تعظيم الفائدة الناجمة عنها، كما كان من الممكن أيضا تقليل أو انعدام الآثار

الناجمة عن سلبياته في حالة ما إذا كان جمال عبد الناصر قد اختار النظام الديمقراطي لحكم مصر وكان من الممكن عندئذ أن تحتل مصر المكانة اللائقة بها وتكون من بين دول العالم المتقدم .

لماذا تغيير نظام الحكم ؟!

تأكدت بعد زياراتي المتكررة لمصانع الحديد والصلب من عدد من الحقائق التي تعتبر جميعها بكل أسف نتاجا عمليا للسلبيات . وهذه الحقائق على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

- من المعروف أن خردة الحديد تعتبر من العناصر الأساسية ضمن مستلزمات إنتاج الحديد والصلب في جميع المصانع العاملة في هذا المجال، من هنا كان يحق لهذه المصانع أن تستورد ما يلزمها من الخردة بدون جمارك . غير أن هذه المصانع كانت تسيء إستخدام هذا الحق حيث كانت في واقع الأمر تقوم باستيراد السيارات القديمة من أوروبا على أنها خردة لتقوم ببيع أجزائها لتجار قطع الغيار وتقوم في نفس الوقت بشراء من السوق المحلي ما يعادل وزنها من الخردة . كان ذلك يتم تحت سمع وبصر بعض المسؤولين الذين كان يدخل فرق السعر في جيوبهم .

- من المعروف أن سعر طن المسبوكات يختلف اختلافا شاسعا مع اختلاف أنواعها واستخدامها من هنا كانت تقوم المصانع بتسجيل معظم المسبوكات التي تنتجها على أنها من النوع الأدنى في السعر، بينما تقوم ببيع هذه المسبوكات بسعرها الحقيقي ليذهب مرة أخري فرق السعر إلى جيوب بعض المسؤولين.

- كانت مصر تعتمد في سد احتياجاتها من حديد التسليح على الإنتاج المحلي والاستيراد في أضيق الحدود. من هنا كان المعروض منه في السوق يقل كثيرا عن الطلب، ومن هنا تولدت السوق السوداء لهذه السلعة الإستراتيجية. استغلت

المصانع هذا الأمر فكانت تحجز جزءًا من إنتاجها وتعتبره مجازا مرفوضا مبررة ذلك باحتوائه على بعض العيوب الفنية وبالتالي لا يجوز بيعه لعدم مطابقته للمواصفات الأمر الذي يستجوب إعادة صهره والتعامل معه كالخردة . كانت المصانع تقوم ببيع هذا الجزء من حديد التسليح بمعرفتها في السوق السوداء وتشتري بجزء من ثمنه ما يعادله في الوزن من الخردة ومرة أخرى يذهب عائد هذه العملية إلى جيوب بعض المسؤولين .

- أما عن أذونات الاستيراد التي كانت توزع على بعض الضباط الأحرار وأقاربهم فحدث ولا حرج. كانت هذه المخالفات جزءًا ضئيلا من المخالفات المنتشرة في مختلف الوزارات والهيئات والمؤسسات والمصانع والشركات .

ومن جهة أخرى اكتشفت أن معظم الوفود التي تسافر في مهام رسمية في ذلك الزمان غالبا ما كانت تضع لنفسها برامجا موازية للمهام التي سافروا من أجلها. وتحضرني هنا واقعة دعوتي من أعضاء لجنة شراء تقاوي البطاطس، والتي أسفرت عن مشاهدتي لأول وآخر مرة في حياتي عرضا للإستربتيز كان ذلك عام ١٩٦٠ . كنت التقيت مع أعضاء اللجنة وتعرفت عليهم خلال رحلتنا سويا على متن الطائرة المتجهة إلى كوبنهاجن بينما كنت أنا في طريقي إلى موسكو . أخذوني معهم إلى الملهى الليلي الذي اعتادوا على السهر فيه على هامش مهمة شرائهم لتقاوي البطاطس. لم أكن أعرف وقتها أن مصر كانت تعتمد على أوروبا في الحصول على تقاوي البطاطس «والكوسة »، كما لم أكن أعرف وقتها بالعلاقة بين هذه التقاوي والإستربتيز. وحدثني في هذا الصدد المرحوم الدكتور حامد السبناوي من هندسة القاهرة والذي كان ضمن الوفد الذي سافر عام ١٩٦٤ إلى الاتحاد السوفيتي للتفاوض بشأن توسيع مصنع الحديد والصلب بالتبين لرفع طاقته التصميميه إلى

١,٧٥٠ مليون طن صلب في العام . وكيف كان معظم أعضاء الوفد يتهافتون على شراء المقويات الجنسية والهدايا وينشغلون بقضايا أخرى، وكانوا يتمارضون ويتغيبون بسببها عن حضور الاجتماعات وكان الجانب الروسي بالطبع على علم بكل تحركاتهم وفي نهاية الأمر لم يكن أمامهم سوى التوقيع بالموافقة على كل ما قرره الجانب الروسي . كان يحدث ذلك وغيره في ظل نظام لبس لباس الثورة التي كنا نحلم بها ونتوق إليها . هذا النظام الذي يتميز بشراسته وضربه بيد من حديد على يد كل وطني يرفع صوته ويجاهر بانتقاده للفساد مثل ما قام به الشيخ عاشور . كان النظام يرفع في ذلك الوقت شعار « لا يعلو صوت فوق صوت المعركة » . هذا ومن الجدير بالذكر إن الفساد في عهد الرئيس جمال عبد الناصر لم يبعد كثيرا عن بعض المقربين إليه من الوزراء – أحد وزرائه وواحد من الضباط الأحرار، فقد ذكر لي أحد المطلعين على الأمور والذي أفضل هنا عدم ذكر اسمه أن هذا الوزير كان قد استولي على بعض التحف ليزين بها منزله، وعندما بلغ عبد الناصر ما قام به هذا الوزير أمر بإجراء جرد للمتاحف، واتصل به في نفس الوقت يحذره وينصحه بشراء هذه التحف وتسجيل عمليه الشراء في سجلات المتحف بتاريخ سابق . كما قام عبد الناصر في مناسبة أخرى بمكافأة سعد زايد محافظ أسيوط وأحد الضباط الأحرار وعينة محافظا للقاهرة ثم وزيرا للإسكان لأنه رفعه إلى مصاف الأنبياء

ناهيك عن السرقات والرشاوى التي كانت تحدث جهارا نهارا، وتناولها العديد من الكتاب في كتاباتهم ورواياتهم، كما تناولتها السينما المصرية في بعض أفلامها . كما أنه ما من شك فيه أن المواطن العادي كان يستطيع في تلك الفترة معرفة ما هو أكثر من ذلك، كما أن الكثيرين منهم كانت ترتعد فرائصهم عندما كان يدور الهمس عنها في حضورهم .

هذا ومن الجدير بالذكر إن اتباعي للأسلوب والمنهج العلمي والموضوعي في تقييم نتائج التفاعلات الناجمة عن هذه الإيجابيات وتلك السلبيات سالفة الذكر وتحليلي لهذه النتائج قد أدي بي وبكل أسف – وياليته ما كان قد حدث – إلى صدمة كبيرة حين أيقنت أن الثورة التي أيدناها لم تكن الثورة التي كنا نحلم بها ونتطلع إليها ولا الاشتراكية التي كانوا يطبقونها قد حققت العدالة الاجتماعية التي كنا ننشدها . ولا شعارات القومية العربية التي رفعوها عملوا بها وحققوا الوحدة العربية التي لفظوها وداسوا عليها . حتى كتاب فلسفة الثورة وأهدافها الستة وشعار « ارفع رأسك يا أخي فقد مضي عهد الاستعباد » وكتاب الميثاق الوطني الذي كان المستشار حافظ بدوي يفتخر بتجويده له قد اكتشفت أن كل ذلك لم يكن يهدف إلى شيء سوي الضحك على الذقون.

من هنا لم أر أملا في وصول مصر في ظل نظام حكم جمال عبد الناصر إلى المكانة التي تليق بها ، بل وصل يقيني بكل أسف إلى أنه لو استمر لا قدر الله الحال في مصر على ما هو عليه فإن مصر لن تقوم لها قائمة . من هنا رأيت ضرورة وحتمية العمل من أجل تغيير نظام الحكم في مصر كما رأيت أن العمل من أجل تحقيق هذا الهدف يعتبر بمثابة الفريضة الغائبة بالنسبة لجميع المصريين. توصلت إلى هذه النتيجة التي تأكدت لي إلى درجة اليقين بعد أن شهدت مصر أول وأكبر هزيمة لها في التاريخ على يد أصغر وأحقر دولة في العالم .

كان جمال عبد الناصر بحق مثالا للوطنية كان مدرِّسا للتكتيك الحربي في كلية الأركان قبل الثورة وشارك في حرب فلسطين. كان قارئا ومفكرا مجتهدا ومتميزا وكان نقيا وشجاعا لا ينقصه الذكاء ولا قوة الإرادة ولا روح التحدي. غير أن نظام حكمه بكل أسف قد أدي إلى مصادرة معظم هذه الملكات. وأصبح هذا العملاق

العظيم الذي من النادر أن يجود الزمان بمثله أسيرا بين جدران نظامه، وأصبح وفق معتقدات صلاح نصر وزملائه مجرد موظف بدرجة رئيس جمهورية .

العمل من أجل تغيير نظام الحكم - أسيوط ١٩٧٠:

عندما بدأت العمل الجاد من أجل تغيير نظام الحكم لم أكن أبدأ من فراغ حيث كنت قد بدأت التفكير الفعلي في ذلك الأمر فور سماع خطبة سعد زايد محافظ أسيوط التي قارن فيها عبد الناصر بالأنبياء. والتي كافأه بعدها عبد الناصر بأن عينه محافظ للقاهرة ثم وزيرا للإسكان . تأكدت حينئذ من أن عبد الناصر يعلم بفساد نظامه ويقوم بمكافأة من يداهنه ويتملقه. أدت هذه الواقعة إلى قطع شعرة معاوية التي حافظت عليها منذ عودتي من البعثة . كما أن نشاطي خارج الجامعة المتمثل في رئاستي لاتحاد ألعاب القوي بمحافظة أسيوط ومشاركتي في معظم أنشطة قصر الثقافة ، وعلاقاتي بمختلف الجمعيات الأهلية والأندية الشعبية ، وزياراتي المتكررة لمختلف المصانع في جميع أنحاء البلاد، وعلاقاتي بأهل الفكر والفن والصحافة في القاهرة، وإشرافي على العديد من الأنشطة الطلابية في الجامعة وعلى وجه الخصوص في مجال الرياضة والجوالة ومعسكرات العمل ،وريادتي لأسرة إخناتون وتحريري لمجلتها التي اخترت لها اسم « الأستاذ » تيمنا باسم المجلة التي أصدرها خطيب الثورة العرابية عبد الله النديم، والحب والتقدير الذي غمرني بهما طلاب الجامعة، كل ذلك قد ساهم في تمهيد وإنارة الطريق الذي كان على أن أسلكه لتشكيل التنظيم الذي كنت أصبو إليه والذي كنت أهدف بواسطته إلى إحداث التغيير المنشود في نظام الحكم .

كان على أن أبدا بتقديم وتوضيح أفكاري لأصدقائي وزملائي الذين وقع اختياري عليهم لتأسيس هذا التنظيم . كانت هذه الأفكار تتعلق ببعض الأمور

والمفاهيم الأساسية والجوهرية والتي كان أهمها ما يلي :

تعتبر الحضارات الفرعونية والقبطية والإسلامية والعربية في مجموعها ومحصلة تفاعلها هي الهيكل الفكري والعقائدي للتنظيم . هذا وفي الوقت الذي نتأثر فيه بأفكار الآخرين ونؤثر بدورنا فيها وعليهم علينا أن نتمسك بأن تكون محصلة تفاعل الحضارات الأربعة هي وحدها التي تشكل عقيدتنا ومبادئنا .اخترت أن يكون عبد الله النديم رمزا للتنظيم وزعيما روحيا له .

وافق المؤسسون على هذه الأفكار ورحبوا بها وكان عددهم في الاجتماع التأسيسى للتنظيم عشرة أشخاص خمسة منهم من أعضاء هيئة التدريس بكليات الزراعة والعلوم والتربية والهندسة، وأربعة من العاملين في الجامعة من بينهم مدير المزرعة، وواحد من التربية والتعليم كان موجها للغة الإنجليزية وكان ضمنهم اثنان من المسيحيين .

أري إن الوسيلة التي على التنظيم أن يتبعها في إحداث التغيير المنشود يجب أن تؤدي إلى الوصول بالبلاد إلى تلك الحالة التي يتم عندها التغيير سلميا وتلقائيا .

ومن المفيد هنا أن أوضح للقارئ ما أقصده بعبارة « أن تؤدي الوسيلة إلى الوصول بالبلاد إلى تلك الحالة التي يتم عندها التغيير تلقائيا وسلميا » إن تفسير هذه العبارة يتطلب منا أن نتعرف على بعض قوانين التغيير والتي تؤكد جميعها أن التغيير لكي يحدث في أي منظومة يحتاج إلى توفر شروط معينة .

من هنا عندما فكرت في العمل من أجل تغيير نظام الحكم في مصر قررت أن أستفيد من هذا المفهوم العلمي لظاهرة التغيير. ومن السهل هنا على القارئ أن يعي أن أي تغيير في أي منظومة سواء كان ذلك كيميائيا أو فيزيائيا أو اجتماعيًا يلزمه بالضرورة توفر تلك الشروط المتمثلة إما في وجود حد أدنى من الذرات ذات

الطاقة المرتفعة أو في وجود فرق في الجهد أو وجود حد أدنى من الأفراد الذين لديهم الرغبة والقدرة على التغيير . كما يسهل على القارئ أيضا أن يتعرف على الفرق بين نوعين من التغيير ، النوع الأول ما نسميه غير التلقائي والذي يحتاج حدوثه إلى بذل الجهد المستمر من أجل حدوثه ويختفي التغيير عند زواله ، وأبسط الأمثلة على ذلك اضطرارنا إلى استخدام المضخات لتوصيل المياه إلى الأدوار العليا في المنازل أو وضع الطائر في قفص مغلق لمنعه من الطيران. أما النوع الثاني من التغيير فهو النوع التلقائي الذي يستمر حدوثه بمجرد أن يبدأ ولا يحتاج استمراره إلى بذل أي مجهود بل على العكس يكون علينا بذل الجهد من أجل منع حدوثه وتوقفه عن الاستمرار. وأبسط الأمثلة على هذا النوع هو ما يندرج تحت ما يسمي بظاهرة الانتقال. وتضم هذه الظاهرة العديد من الأمثلة منها انتقال المياه من المرتفعات إلى المنخفضات وانتقال الحرارة والكهرباء والرياح والملوثات والمعلومات وكذلك انتقال المجتمعات من النظم الديكتاتورية إلى النظم الديمقراطية. من هنا نجد أن النظم الديكتاتورية لا بد أن تبذل وبصورة مستمرة جهدا كبيرا وأموالا طائلة تستقطع من الدخل القومي في سبيل منع التغيير تجاه الديمقراطية. تقوم النظم الديكتاتورية بذلك حتى لو كلفها الأمر الاستدانة والاستعانة بالدول الأجنبية المعادية لشعوبها . لذلك نجد أن جميع النظم الديكتاتورية دائما مدينة وتعاني ميزانيتها من عجز أبدي . وتُعاقَب شعوب تلك الدول مرتين بسبب جبنها واستسلامها فمرة تعاني من القهر والظلم والاستبداد ومرة أخري من سداد أقساط الديون المتراكمة والتي استدانتها حكومتها من أجل السيطرة عليهم . من هنا فإن أي نظام ديكتاتوري يجب محاكمته على خيانته لشعبه والاستقواء عليه بأعدائه .

مما سبق يتضح لنا أن إحداث التغيير المنشود في نظام حكم مصر يتطلب منا

تجميع حد أدني من المواطنين الراغبين والقادرين على إحداث التغيير ذلك التغيير الذي بمجرد أن يبدأ سوف يستمر حدوثه بعد ذلك تلقائيا وسلميا، والمطلوب منا لكي يتم لنا ذلك أن نبحث عن الوسيلة التي نتمكن بواسطتها من الوصول بالمجتمع المصري إلى تلك الحالة التي يبدأ عندها هذا التغيير .

كان هذا هو تصوري لمهمة هذا التنظيم والذي يتضح منه عدم وجود أي خطورة أو مخاطرة من إنشائه واستمراره حيث لم تكن هناك أي تسجيلات سواء لأسماء الأعضاء أو لمحاضر الاجتماعات . كما أن الوضع الأمني في تلك الفترة كان إلى حد ما نسبيا مثاليا للقيام بالأعمال الوطنية، وبالذات بعد زوال إمبراطورية صلاح نصر، وأمثاله ومع بداية العمل الرسمي الجاد من أجل تحرير الأرض واستعادة الكرامة .

كان على أن أتنقل بين المحافظات للعمل على نشر التنظيم وأفكاره، ومتابعة نشاطه، لذا وافقت على ندبي لإلقاء المحاضرات في معهد البترول والتعدين بشبين الكوم وشركة الدلتا للصلب، وشركة البلاستيك الأهلية بالإسكندرية. كنت أنا الوحيد الذي يلتقي بالمؤسسين وبقيادات فروعه في مختلف المحافظات. وكانت أسيوط هي المركز الرئيسي للتنظيم .

إدارة النشاط :

حرصت على إدارة كافة الأنشطة التي أقوم بها بطريقة علمية، وبدرجة عالية من الكفاءة. تعددت مجالات الأنشطة، نشاط علمي يتضمن المحاضرات والأبحاث وحضور المؤتمرات، سياسي وممثلا أساسا في التنظيم الذي أسسته ويقع عليَّ عبء انتشاره ومتابعته ، طلابي وممثلا في ريادتي لأسرة إخناتون وتحريري مجلة الأستاذ، اجتماعي بحكم اهتماماتي وعلاقاتي وعضويتي في مجلس إدارة قصر الثقافة في عهد مديره الجديد صلاح شريت، رياضي بحكم استمراري في ممارسة كرة القدم

وألعاب القوي حيث عدت مرة أخرى رئيسا لاتحادها ومسؤولا عن نشر اللعبة وتنظيم مسابقاتها في أسيوط ومشرفا في نفس الوقت على فريق منتخب الجامعة، وأسري حيث أصبحت مسئولا عن رعاية أسرتي في الإسكندرية بعد وفاه والدي عام ١٩٦٤.

بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ عادت الدماء تسري مرة أخري بعد أن جفت في عروق الحركة الوطنية المصرية . عاد رموز الحركة الوطنية كل منهم على استحياء إلى ممارسة نشاطه. استهل الشاعر أحمد فؤاد نجم في تلك الفترة نشاطه في الحركة الوطنية بأشعاره التي أزعجت النظام وزبانيته رغم ضعفهم وانكسارهم. قام الشيخ إمام بتلحين وغناء أشعار أحمد فؤاد نجم مما ساعد على انتشارها رغم منع أغانيه من الأداء العلني، ومع ذلك انتشرت وعبرت جميع الحواجز حتى عمت جميع أنحاء الوطن، كانت أشعار نجم وأمل دنقل ومحمد الفيتوري تمثل أحد مكونات البرنامج الثقافي بالنسبة للتنظيم الذي أسسته. لبي الشاعر محمد الفيتوري دعوتي وحضر إلى أسيوط والتقي بطلاب أسرة إخناتون ونظَّمتُ بمناسبة حضوره أمسية شعرية ألقي فيها أشعاره كما ألقى بعض الطلاب أشعار أحمد فؤاد نجم وأمل دنقل. دعوت كذلك الأستاذة الكبيرة والصديقة العزيزة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد لزيارتي في أسيوط. أقمت بمناسبة حضورها احتفالية خاصة دعوت فيها العشرات من أعضاء هيئة التدريس التواقين لرؤيتها والتعرف عليها والاستماع إلى آرائها والنهل من ثقافتها. كانت هذه الندوات هي الأخرى تقع ضمن البرنامج الثقافي للتنظيم .

كان زميلي فتح الله الشيخ وأحد المشاركين في تأسيس التنظيم هو المنوط به إقامة معسكرات العمل بالجامعة. كان يقيم هذه المعسكرات في مختلف المدن والقرى المتاخمة لمدينة أسيوط . كنت أحضر معه هذه المعسكرات وأقوم في كل مرة بإلقاء

محاضرة على الطلاب في حضور أهالي المنطقة وبعض المسؤولين في المدينة أو القرية التي تستضيف المعسكر. أذكر أنني في إحدى المحاضرات التي اخترت أن يكون عنوانها « واجبات المواطن الاشتراكي في المجتمع المصري » أن طلب أحد الحاضرين من الأهالي مداخلة واجه فيها أحد المسؤولين من الجالسين بجانبي بقوله « سيادتك حضرت مع العمدة إلى منزلنا وقمتم بالضغط على عمي لينسحب من انتخابات مجلس القرية أمام مرشح الاتحاد الاشتراكي » هنا طأطأ المسؤول رأسه ولاذ بالصمت . لم أتردد في الثناء على المتدخل مؤكدا للجميع استحساني وتأييدي لما قام به وأن ذلك هو الترجمة الحقيقية لما قصدته بواجبات المواطن الاشتراكي في المجتمع المصري .

كانت المعسكرات عادة ما تختم نشاطها في هذه القرى بعقد حفلة سمر، وكنت أحرص على الاستعانة بفرقة الغناء الشعبي في كل قرية في إحياء هذه الحفلة. كان الريس متقال وفرقته هو أحد المفاجآت التي قدمناها للفنان سليمان جميل الذي كان من حسن الحظ في زيارة تفقدية لقصر ثقافة أسيوط فتولاه بالرعاية إلى أن طبقت شهرة الريس متقال وفرقته الآفاق، ومثل مصر في العديد من المهرجانات الدولية .

تعددت زيارتنا للمساجين في سجن أسيوط. كنا نأخذ لهم الهدايا ونشترك معهم في بعض المسابقات الرياضية، وأذكر هنا بكل الاعتزاز والتقدير الرائد حسين أبو شقة نائب مأمور السجن في ذلك الوقت الذي كان يغمرنا في كل مرة بترحيبه وحفاوته وتشجيعه بعد ما لمسه من أثر إيجابي على المساجين بعد كل زيارة لنا للسجن.

وامتدت علاقتي بالرائد حسين أبو شقة وهو من أهالي أسيوط إلى خارج حدود السجن .

أذكر أثناء ذهابي إلى الجامعة وأنا في الطريق الموازي لترعة الإبراهيمية أنني لمحت

وأنا في سيارتي شابا ملتحيا يبدو أنه طالب في الجامعة. كان مهملًا في هندامه ، حزنت لمنظره تذكرت أن من واجبات المسلم أن يكون حسن المظهر مهتما بنظافته وصحته، فقررت مقابلة المسؤولين في الجمعية الشرعية الإسلامية في أسيوط وأقنعتهم بأهمية تشجيع شبابهم على ممارسة الألعاب الرياضية. وحرصت على تكوين فريق من شباب الجمعية لتمثيلها في إحدى مسابقات ألعاب القوي التي نظمتها خلال فترة رئاستي، لاتحاد ألعاب القوي في المحافظة .

أحداث الأردن ورحيل عبد الناصر:

تكبدت إسرائيل خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد من جراء حرب الاستنزاف واضطرت إلى تطبيق حالة التعبئة العامة بين جيشها وشعبها طوال هذه الحرب. أصبح اقتصادها وكيانها مهددين بالانهيار . وكانت إسرائيل ترصد باستمرار ظهور أي تحرك لرجال المقاومة داخل الأردن . كانت تعتمد في ذلك على عملائها المنتشرين في جميع أنحاء الوطن العربي وعلى وجه الخصوص في مصر والأردن . فكرت إسرائيل فأوعزت إلى الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم إلى مصر ما أطلق عليه في وقتها مبادرة رودجرز – وزير خارجية الولايات المتحدة في ذلك الوقت – كانت المبادرة تتلخص في وقف العمليات العسكرية من الجانبين، ثم التفاوض بشأن فتح قناة السويس أمام الملاحة الدولية . كان عبد الناصر وقت إعلان هذه المبادرة التي رفضها السادات عند عرضها في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي في زيارة للاتحاد السوفيتي .

كانت جميع المؤشرات تؤكد على رفض عبد الناصر للمبادرة . غير أن المفاجأة كانت في قبوله لها وهو لا يزال في الاتحاد السوفيتي . الأمر الذي أدهش الغالبية وأغضب بعضهم . كان معظم الغاضبين من رجال المقاومة الفلسطينية الذين تجمع

شملهم ونظموا صفوفهم في الأردن . تمكن عملاء إسرائيل من استغلال الغضب السائد بين صفوف المقاومة في الأردن وأحدثوا الفتنة بينهم وبين بعض رجال الملك حسين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قاموا في نفس الوقت بالتهجم على عبد الناصر نظرا لقبوله مبادرة رودجرز.

كان عبد الناصر عندما أعلن موافقته على المبادرة يريد بذلك إعطاء فرصة كافية للقوات المسلحة المصرية لاستكمال حائط الصواريخ خلال فترة توقف العمليات العسكرية على الجانبين. تراجعت بالفعل كل من أمريكا وإسرائيل وسحبوا المبادرة مبررين تراجعهم باكتشافهم النوايا الحقيقة وراء قبول عبد الناصر للمبادرة الأمر الذي لم يدركه الأخوة الفلسطينيون في الأردن، والذين كما يبدو قد أسرفوا في الهجوم وقتها على عبد الناصر بسبب قبوله المبادرة. وقعت كل من مصر والأردن ورجال المقاومة في الفخ الذي نصبته إسرائيل تحت اسم مبادرة رودجرز. وكانت أمريكا وإسرائيل هم الرابحتين في الحالتين سواء طبقت المبادرة أم لم تطبق. أدت المؤامرة الإسرائيلية إلى حدوث مواجهه عسكرية بين رجال المقاومة والحرس الملكي وجيش الأردن. كما أدت في نفس الوقت إلى غضب الرئيس جمال عبد الناصر من بعض رجال المقاومة الفلسطينية الأمر الذي اتخذه الملك حسين ذريعة لتقليم أظافرهم وتأديبهم فأمر رجاله باتخاذ كافة الإجراءات لكبح جماح رجال المقاومة الفلسطينية حتى لو أدى الأمر إلى تصفيتهم. أدت هذه الأحداث إلى قيام بعض الفلسطينيين باغتيال الوزير وصفي التل الذي كان يتزعم حمله القضاء على المقاومة الفلسطينية في الأردن. استمرت المعارك بين رجال المقاومة الفلسطينية وبين الجيش الأردني عدة أيام راح ضحيتها الآلاف من رجال المقاومة ورجال الجيش الأردني. مما دعا عبد الناصر إلى الإسراع في الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة في القاهرة حضره

معظم الملوك والرؤساء العرب والذي انتهى إلى قرارات أدت إلى وأد الفتنة وإنهاء المعارك الضارية بين رجال المقاومة الفلسطينية والجيش الأردني وإلى نهاية مأساوية بالإعلان عن وفاة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

ووجدت نفسي أتمتم بكلمات ما زلت أذكرها :

مات المغني يا كنانة

مات مغنيك الوحيد

مات والفجر ما زال ينتظر النشيد

كانت جنازة عبد الناصر مهيبة وأعظم جنازة عرفها التاريخ قام معظم ملوك ورؤساء العالم بتشييع جثمانه إلى مثواه الأخير. عاد ملايين المصريين إلى حبهم القديم لعبد الناصر نسوا له جميع أخطائه وخطاياه، ووعدوه وهم يشيعونه بأنهم سوف يحققون له حلمه ويحرروا الأرض العربية تطبيقا لشعاره ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة. كان رئيس الاتحاد السوفيتي بدجورني من أوائل الرؤساء الذين حضروا لتشييع جثمان عبد الناصر قرر بدجورني التخلف في القاهرة بعد مراسم الجنازة والعزاء لبضعة أيام أنهى خلالها مراسم توقيع اتفاق صداقة وتعاون في جميع المجالات بين مصر والاتحاد السوفيتي. كانت هذه الاتفاقية على ما أظن هي أول اتفاقية وقع عليها السادات بصفته رئيسا لجمهورية مصر العربية. كانت حكومة الاتحاد السوفيتي بقدر ثقتها في جمال عبد الناصر لا تثق في السادات غير أنهم لسبب ما تصوروا أن توقيع السادات على هذه الاتفاقية التي وضعت فيها جميع النقاط على الحروف سوف يعطيهم الحق في محاسبته إذا أخل بأي بند من بنودها. وكان السادات هو الآخر يضمر الكراهية للروس ولا يكف عن التفكير والبحث عن وسيلة لفصم عرى الصداقة والتعاون معهم. عاد بدجورني إلى بلاده باتفاقية وقع

عليها طرفان لا يثق كل منهما في الأخر. كان السادات من قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية يرغب في فك الارتباط مع السوفييت ويتطلع إلى الدوران في فلك الولايات المتحدة الأمريكية .

السادات رئيسا للجمهورية :

اختار عبد الناصر السادات ليكون خلفا له. طلب منه إحضار مصحف عند توديعه في المطار لحلف اليمين ليكون نائبا له قبل سفره حيث علم باحتمال اغتياله أثناء زيارته للمغرب . هكذا ودون أي مقدمات أصبح السادات النائب الوحيد لرئيس الجمهورية. من هنا لم يكن هناك أي مشكلة دستورية بعد وفاة عبد الناصر في أن يصبح محمد أنور السادات رئيسا للجمهورية رغم أن الدستور ينص على أن يقوم النائب الأول للرئيس بأعمال الرئيس في حالة غيابه أو وفاته. كان السادات هو الوحيد من بين أعضاء مجلس الثورة الذي كان يتمتع بأكبر خبرة في العمل السياسي السري بما في ذلك التعامل مع أجهزة المخابرات الأجنبية . كان يتقن فن الدهاء والخداع. لم يعرف عنه أنه اختلف مع عبد الناصر في الرأي في أي يوم من الأيام أثناء حياته. وكان أقرب أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى نفسه في أيامه الأخيرة قبل وفاته . كان عبد الناصر قد أعتاد في أيامه الأخيرة على زياراته للسادات حيث كان يجد فيها متنفسا وراحة له كانت تنسيه لبعض الوقت أعباءه وهمومه ويذهب البعض إلى أنه ربما كان ذلك هو السبب وراء اختيار عبد الناصر للسادات لخلافته.

ومن المعروف أن الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل كان له دور كبير ومؤثر أثناء حضوره اجتماعات كبار المسؤولين في الدولة في ذلك الوقت للاتفاق على اسم من يخلف الرئيس جمال عبد الناصر، وأنه هو الذي أقنعهم باختيار محمد أنور السادات خلفا لعبد الناصر حيث إنه نائب الرئيس الوحيد ويعتبر بمثابة النائب الأول طالما لا

يوجد نائب آخر للرئيس. تمكن سيادته من إقناع الغالبية بهذا التفسير، ومن ثم أصبح السادات قائما بأعمال رئيس الجمهورية إلى أن تم انتخابه رئيسا فعليا لمصر .

والواقع الذي شاهدناه بعد ذلك هو أن السادات قد بدأ عهده بالسجود أمام تمثال عبد الناصر في بهو مجلس الأمة أمام أجهزة الإعلام، وأعلن أنه سوف يسير على طريق جمال عبد الناصر غير أن الشعب المصري خفيف الظل بعد أن تبين له حقيقة ما وعد به السادات أضاف « لكن بأستيكة » .

السادات في أسيوط :

كان شعار دولة العلم والإيمان هو أحد أهم الشعارات التي رفعها السادات في بداية حكمه . تفاءل معظم أفراد الشعب بهذا الشعار، ولم يكن الشعب قد اكتشف بعد تصريحاته الخداعة. لم أملك في ذلك الوقت إلا أن أعترف أمام نفسي بتأييدي له بتحفظ . لم يكن لدي أي سبب لعدم تأييده سوى إنني كنت أتشكك في نواياه . كانت هذه الأفكار تدور بيني وبين نفسي وكنت أتناقش حولها في بعض الأحيان مع المقربين من أصدقائي لا لشيء إلا لأن الظروف في ذلك الوقت لم تكن لتسمح بما هو أكثر من ذلك . كان ما يشغلني ويشغل معظم المصريين هو موقف السادات من تحرير الأراضي المحتلة . من هنا عندما أعلنت الجامعة عن زيارة مرتقبة يقوم بها الرئيس لأسيوط وأنه سوف يجتمع خلالها مع أعضاء هيئة التدريس بالجامعة وجدت في ذلك فرصة لأتأكد من نواياه تجاه هذه القضية المصيرية .

كانت الإجراءات الأمنية التي اتُّبعتْ خلال زيارة الرئيس على بساطتها أكثر تعقيدا من الإجراءات التي سبقتها خلال زيارة جمال عبد الناصر لأسيوط. كنت من بين الذين وقع عليهم الاختيار من الجامعة لحضور اللقاء والاستماع إلى كلمة

الرئيس والاشتراك في المناقشة. كان الرئيس يجلس أمامنا على المنصة وحوله نائبه حسين الشافعي ومعظم وزرائه أذكر منهم على صبرى وشعراوي جمعة ومحمد فايق. لاحظت عدم اهتمام الجالسين على المنصة بحديث الرئيس. كان أهم ما قاله الرئيس حول القضية المصيرية التي تشغلنا جميعا هو أنه يدرك جيدا أن أمريكا وراء إسرائيل وأنه لا يستطيع أن يحارب الولايات المتحدة الأمريكية. كنت من بين أصحاب المداخلات، وقلت له بالحرف الواحد: « فخامة الرئيس ذكرتم أن أمريكا وراء إسرائيل وإننا لا نستطيع أن نحارب الولايات المتحدة الأمريكية وأنا شخصيا أوافقكم وأؤيدكم في ذلك لكننا لا نطلب من سيادتكم إعلان الحرب على أمريكا غير أننا نستطيع ضرب مصالحها في جميع أنحاء العالم حتى تشعر بأنها سوف تدفع الثمن غاليا بسبب تأييدها ووقوفها وراء إسرائيل كما أننا علينا أن نحدد علاقاتنا الخارجية مع الدول على أساس مواقفها من القضايا العربية » قام الرئيس السادات بالرد على مداخلتي مشكورا غير أنه لم يذكر شيئا جديدا سوى قوله إن هذا الرأي هو ما ينادي به الأخ معمر القذافي في ليبيا. خرجت من هذا المؤتمر أقل تأييدا له وأكثر تشككا في نواياه . وتذكرت كلماتي :-

لا لن تشتروا مني السكوت

لن تشتروا صمت الفؤاد إلا بطلقة

ينساب دمي في الحقول يروي للفتيان ثورة

مات المغني يا ربابة مات المغني والربابة لم تزل تسأل الفتيان ثورة

توابع حرب الاستنزاف في مصر :

كان لحرب الاستنزاف توابعها في مصر، كما كان لها توابعها في إسرائيل . أطلق

البعض على هذه الفترة حالة اللاحرب و اللاسلم ألهمتني هذه الفترة بكتابة قصة قصيرة بعنوان « ابن حلال » عندما عدت إلى قراءتها وجدتها تعبر بصدق عن هذه الفترة أنقلها هنا دون حذف أو إضافة عسى أن يجد فيها القارئ ما يعوضه عناء قراءتها.

« ابن حلال » أسيوط ١٩٧٠ .

تمر ليالي الصيف طويلة كأجمل الليالي على مدينتنا. تتلألأ النجوم في السماء بينما القمر الحزين يكاد يعبر عن احتجاجه على ما أصابه من غزو وتشويه. تري ماذا يستطيع القمر أن يفعل لو قرر أحد رجال الفضاء الاستقرار عليه والبقاء فوق سطحه، هل يستطيع القمر أن يختفي أو حتى يحتجب احتجاجا على ذلك ؟! وكما أن اختفاء القمر من سماء هذه المدينة اللاهية أمر مستحيل الوقوع، فإن اختفاء الصخب واللهو من شوارعها أمر بعيد الاحتمال كذلك رغم كل ما تقاسيه من ألم ورغم أن الموت يكاد يدخل كل بيت من بيوتها العتيقة عبر شوارعها الضيقة وأزقتها التي تصب عادة في شوارعها الواسعة .

وفي المدينة غالبا ما تجد مقهى أو دار لهو عند ملتقى هذه الحارات بالشوارع الواسعة، وغالبا ما كان سكان المدينة بمختلف أنواعهم يلتقون بدورهم في هذه الأماكن. وكان من عادة سكان المدينة وأنا واحد منهم أن نقضي جزءًا كبيرًا من ليالي الصيف وجزءا أصغر من ليالي الشتاء على أرصفة أحد هذه المقاهي أو بداخلها ناظرين تارة إلى السماء متطلعين إلى وجه القمر الحزين، وتارة أخرى إلى الشارع حين يمر قمرا أرضيا مكتسيا وجهه بابتسامة حزينة وكأن كل الأقمار يجمعهم عامل مشترك واحد هو الحزن. كان ذلك يحدث بينما نحن مستمرين في لعبنا ولهونا ولكن شيئا واحدا فقط كان يستطيع أن يوقفنا عن لهونا ذلك حين كان يمر أيوب الرِّبع ورفاقه من أمام المقهى الذي تعودنا الجلوس عليه خلال رحلتهم اليومية مغنيا

مواله المشهور «شراع في السما واقف عليه الموج بيتكسر والعيون تزرف شجن والقلب يتحسر، والنجوم تمطر دموع والفلك يتفرج ، والشراع واقف وحيد والموج بيتكسر» وكانت هذه الكلمات تخرج من بين شفتي أيوب الرِّبع كأعذب الكلمات وأقربها إلى قلوبنا. كان هذا الأوركسترا الغريب يقوم بهذه الرحلة يوميا مرتين مرة في الصباح الباكر بينما نغط في نومنا تداعب جفوننا أحلام زرقاء ووردية، ومرة أخري في المساء وبعضنا جالس على المقهى، أو أمام التليفزيون يشاهد أحد البرامج المكررة، أو راقدا في سريره الدافئ المريح الذي لا يشاركه فيه سوى شريط يمر سريعا أمامه يحكي له بعض اللقطات التي مرت بحياته حتى تستسلم جفونه للنوم . وكان أيوب خلال هاتين الرحلتين يتوسط زملاءه منشدا بعض المواويل العذبة التي كاد بعضنا يفضل أن تمتد جلسته بالمقهى حتى يسمعها عن العودة إلى البيت مبكرا. وكان المقطف دائما يتمايل فوق كتف أيوب أثناء غنائه وكأنه يشاركه بالعزف أو يشاركنا الطرب حتى صارت المقاطف والفؤوس أعضاء دائمين في أوركسترا أيوب .

وتكررت الليالي وتكرر مرور الأوركسترا بالمقهى. ثم انتقل أيوب الرِّبع من ماهيته كفاعل يتقاضى خمسة وعشرين قرشا في اليوم الذي يعمل به في تفكيرنا إلى قائد أوركسترا ثم إلى فليسوف نستعين بمروره وبمواويله على لحظات البؤس والشقاء التي تمر بنا. وصار بعضنا يحسده على عيشته التي يبدو فيها سعيدا، ولما لا ألا يستقبل أيوب يومه بالغناء وينهيه به ؟ وأيوب علاوة على ذلك لا يفكر في مشكله الشرق الأوسط حتما نفس التفكير الذي نحن فيه ولا يهتم بما يجرى في الانتخابات الأمريكية أو الفرنسية، و لا حتى بمعاهدة السلام في فيتنام ، أو المعاهدة السوفيتية المصرية، أو فصل بعض المفكرين المنحرفين من الاتحاد الاشتراكي، أو في مظاهرات الطلبة، أو في وصول كيلو اللحم إلى جنيه ، أو اختفاء

الدواجن من الجمعيات الاستهلاكية ..... وخلافه .

وقد وصل الأمر إلى أن أعلن بعض أفراد الشلة أنهم سيكونون أسعد حالا لو كان كل منهم في مكان أيوب الرِّبع ، حيث أن الواحد منهم لن يضطر علاوة على ما سبق ذكره إلى تلميع حذائه كل يوم ، وإلي الذهاب إلى العمل واضعا في ذهنه مجموعة المجاملات المفروض عليه أن يؤديها لاعنا حظه حين يسبقه أحد زملائه في إدخال السرور على رئيسه، بينما هو مستغرق في تذكر آخر نكتة ليحكيها له ، ثم يعود إلى منزله بعد أن يكون قد اجتر الطابور الوظيفي الذي وقف فيه محلك سر قد أنهكه ، سائلا نفسه كم سيكون معاشه عندما يبلغ الخامسة والأربعين ؟ وهل يكون من الأفضل له أن يستمر في العمل حتى يصل إلى السن القانوني للمعاش؟ ..... إلى آخر هذه التساؤلات التي تخرج من رأسه كما تخرج الطلقات من مدفع رشاش مصوب إلى قاع المحيط. كل ذلك وهذا قليل من كثير يذكره بعض أفراد الشلة ليتأكدوا أنهم سيكونون أسعد حالا لو كانوا في مكان أيوب . فأيوب علاوة على أنه لا يفكر في ذلك لا يملك حتى حذاء يقوم بتلميعه .

كان يربط أيوب بزملائه عدة روابط منها القرابة والعمل والتراب والطعام والقطار الذي كانوا يركبون فوق عرباته كل يوم في مجيئهم وفي إيابهم . لكن أيوب فقط من بينهم كان يتميز بحلاوة الصوت واستقامة العود ومتانته ، وربما لذلك سموه بأيوب الرِّبع ، وهكذا صارت كنية أيوب لقبا يميز به عن أقرانه أو هكذا اختاروا له كنيته بعد أن وجدوا أن حلاوة الصوت لا تصلح لكي تكون كنيه في مثل ظروفه. لابد وأن أيوب كان يغني لزملائه في وقت العمل. ولابد أن غناءه يزيل بعض آثار العمل المرهق عن زملائه، والذين كانوا يقومون به عادة بين الرحلتين. لم نكن نعلم بالتحديد مكان عملهم لكنهم كانوا بانتظام يمرون من أمام المقهى التي

اعتدنا الجلوس فيها في ذهابهم إلى عملهم صباحا، وفي إيابهم منه مساء ليركبوا القطار الذي يمر بقريتهم والتي كانت تبعد عن مدينتنا بمسافة غير قصيرة يقطعها القطار في نحو نصف الساعة. لابد أن يكون رئيس العمال سعيدا بوجود مثل ذلك الأيوب بين أفراد مجموعته وبالذات وأنهم لا يدفعون شيئا مقابل هذا الصوت الجميل في مثل هذه الأماكن. وكان أيوب أحيانا يندمج في غنائه وهو في الطريق فكان يقف ومن حوله رفاقه حتى ينتهي من الليل الطويل الذي يخيل لي أننا جميعا لا نريده أن ينتهي منه لروعه أدائه وعذوبة كلماته .

وذات مساء، وقد طال بنا الشوق لسماع صوت أيوب مر خياله بأفئدتنا حين أعلن أحد أفراد الشلة أن مائة جنيه دخل في الشهر لا تكفيه لكي يقدم على الزواج. فأخذنا نتخيل أيوب بمشيته الموسيقية حاملا فأسه ومقطفه الذي يهتز فوق كتفه مع كل نغمة تخرج من فمه منتعلا الأرض راجعا إلى أسرته بما تبقى معه مما اكتسبه طوال يومه وهو حتما لا يزيد عن القروش العشرة. وطال بنا الانتظار ثم أدركنا أن آخر قطار قد ودع المحطة. وربما يكون قد مر رفاقه دون أن يجذبوا انتباه أحد منا، وبالذات وإننا لم نكن نميزهم إلا بصوت أيوب الذي كنا حين نسمعه من بعد نرفع أيدينا عن الطاولة والدومنيو والورق ونطيل النظر والإصغاء حتى يودعنا الصوت ويختفي الركب متجها إلى المحطة لركوب القطار والعودة إلى ذويهم الذين ربما كانوا في انتظار عودتهم . أنهينا جلستنا وودع كل منا الآخر إلى محاولة أخرى .

ومرت الأيام كما مرت بنا من قبل ثم تذكرنا أيوب حين حضر حسين أحد أفراد الشلة والذي كان مجندا على الجبهة في أجازه لمدة ستة وتسعين ساعة، والذي قرر أن يقضي معنا آخر ليلة من أجازته وذكر لنا حسين في أول حديثة أنه مصمم على أن يستمع إلى أيوب في هذه الليلة، وحكى لنا قصة ذلك التصميم وكيف أنه وجد

نفسه ذات ليلة أثناء خدمته سارحا بخياله في أيوب ورفاقه وهم عائدون من عملهم الشاق، وكيف كان صوت أيوب يرن في أذنه متحديا رجع الأصوات في الليل الموحش منشدا « شراع بيبعد والقلوب عايمه معاه عيني عليه والوحوش ترصد خطاه إيه مصير الحب اللي انكتب بشعاع على قلب الشراع ، إيه مصيري ومصيرك إن غرق وكان مصيره الضياع » وكيف سرت كلمات هذا الموال في عروقه وكيف أحالته إلى شعلة من الحماس، والنشاط أدت إلى بقائه طوال الليل متيقظا وإلي امتداح الضابط النبطشي له في طابور الصباح ليقظته أثناء تأدية واجبه ..... وضحك أحدنا معلقا على كلام حسين وقال: لم أكن أعرف أن بركات أيوب قد وصلت إلى الجبهة !! .

عجيب أنت يا أيوب تري ماذا يمكن أن يحدث لو رآك وسمعك جميع الجنود؟ مر هذا الخاطر بنا جميعا في هذه اللحظة وقررنا أن تستمر سهرتنا حتى نستمع إلى أيوب إكراما لحسين . وانتظرنا لكن أيوب لم يمر . تماما كما حدث من قبل، ترى ماذا حدث له حتى يتغيب مرتين؟. وافترقنا لكننا لم ننس أن نخص حسين بتحية اشتملت على القبل والأحضان علاوة على عزائنا له بشيء من المزاح على عدم استماعه في هذه المرة إلى أيوب .

واستيقظ حسين من نومه مبكرا كما يجب عليه أن يستيقظ ، ولم يكن ذلك صعبا عليه بعد أن قضى عامين في الخدمة العسكرية. ذهب حسين إلى المحطة ليركب القطار الوحيد الذي كان ولا بد أن يركبه ليصل في ميعاده المقرر وخلال انتظاره لقطاره وصل القطار الذي يركب فوقه أيوب ورفاقه . وشد حب الاستطلاع حسين من مكانه . وراح يجول ببصره بين الهابطين من القطار كمن يبحث عن صديق قديم .

ورأى جميع الوجوه التي يشاهدها من قبل من حول أيوب، وبحث بينهم عن

أيوب ولكنه لم يعثر عليه . واقترب حسين من أحد أصحاب هذه الوجوه وحياه ، ثم سأله بتودد ملحوظ عن أيوب . فنظر إليه الرجل باستغراب وقال مستغرقا في دهشته :-

وحضرتك تعرفه ؟

ورد حسين بارتباك على الرجل :

لا ، مجرد باسأل عليه

ما تأخذنيش وحضرتك بتسأل عليه ليه ؟

وهنا أضطر حسين أن يحكي قصته للرجل حيث أنه في الواقع لم يكن يملك غيرها مبررا لسؤاله فقال

الرجل بعد أن زالت دهشته .

فيك الخير يا دفعه مش عارف أقول لحضرتك إيه صوت أيوب كان نفسنا كلنا . الواحد فينا كان بيشتغل ذي النار، ولا يشعر بأيتها تعب . من يوم ما راح أيوب واحنا مش عارفين نعمل إيه ؟ حتى الريس ما عدش بيشخط فينا زي ما كان الأول قبل ما يروح أيوب .

وأيوب راح فين ياريس؟

راح فين أنت باين عليك دفعه ابن حلال . أيوب راخر ابن حلال زيك كده . أنت لازم تيجى تزورنا في البلد .

أنا متشكر خالص ياريس . أنا بس كنت عايز اطمئن عليه .

أيوب الرِّبع . كان صحيح ربع . يا سلام ياولاد ، يا ميت ندامه .

ليه ياريس حصل إيه ؟

شوف يا سيدي ، أيوب كان جاى معانا زي كل يوم ، مصلي الفجر وطاهر . وركبنا القطر علشان نروح الشغل . ويومها كانت برد شويه علشان كان فيه شويه ريح وفي وسط الطريق وقع المقطف من أيوب في العربية . نزل أيوب يتلقاه . مسكه الكمساري وأخذه على الضابط . وقال إيه أيوب راكب من غير تسكره . طب وهو معقول يا ناس نركب فوق القطر بتسكره . وكمان أيوب نزل يتلافى المقطف من العربية يعني كان بسببه ؟ هو ماكانش راكب في العربية ، ده كان حايطلع طوالى بعد ما يجيب المقطف .

ما هو ياريس المفروض الواحد لما يركب القطر لازم يقطع تذكرة سواء كان راكب فوق أو تحت.

حتى أنت يا فندي بتقول كده ، إزاي نقطع تسكره إذا كان الواحد فينا بيأخذ ربع جنيه في اليوم بيفضل منه بريزة . وأنت اللي افتكرتك ابن حلال !!

أنا متأسف ياريس أنا مش قصدي ، لا ده عجيب ، مش معقول المهم وبعدين؟

وبعدين ياسيدى حجزه الضابط في النقطة وهناك دماغهم وألف سيف ليدفعوه ثمن التسكره والغرامة كمان . طيب وهو كان لسه اشتغل وإلا قبض ده حرام .

طيب وبعدين ؟

حجزوه في النقطة قال إيه حتما يشتغل بثمن تسكرته ولما عرفوا أنه بيغني، خلوه كمان يغني لهم . ربنا يخلصه منهم الظلمة. أيوب وحشنا صوته. ومن غيره مش عارفين نشتغل. وولاده كل ليله ينتظروه واحنا نضحك عليهم ونقول لهم أبوكوا جاي بكرة .

وتذكر حسين موال أيوب تذكر الكلمات التي كان صداها يجب رجع كل

الأصوات في الليالي الموحشة التي كان يقضيها على الجبهة وسرت الكلمات في عروقه وفعلت به نفس ما فعلته أثناء خدمته. فودع حسين الرجل شاكرا واتجه صوب النقطة ....!! .

السادات وخبراته السابقة :

لم يكن أحد في مصر يتوقع أن ينجح السادات في التخلص من جميع خصومه ومعارضيه في زمن قياسي أقل من عام واحد من توليه الحكم .كان السادات دون زملائه يتمتع بشبكة علاقات كبيرة وقوية. كان الوحيد بينهم من لديه خبرة كبيرة في التعامل مع أجهزة المخابرات الأجنبية، وعلى وجه الخصوص المخابرات المركزية الأمريكية ، وكان حريصا على أن تظل القنوات بينهما مفتوحة . كان السادات يملك رصيدا كبيرا من العمل المدني والسياسي والمخابراتي قبل وبعد الثورة . كان جمال عبد الناصر يعلم عنه كل ذلك، ويعرف أيضا عنه أنه كان عضوا في تنظيم الحرس الحديدي للملك فاروق ورغم ذلك ورغم تحفظ زملائه اختاره جمال عبد الناصر ليخلفه في رئاسته مصر. حافظ السادات على ما يملكه من رصيد واستفاد منه في التخلص من جميع خصومه ومعارضيه من الوزراء ومن قيادات الاتحاد الاشتراكي معا في يوم واحد في ١٥ مايو ١٩٧١، . اعتبر السادات ما قام به بمثابة ثورة لتصحيح مسار ثورة يوليو وأطلق عليها اسم ثورة التصحيح. بزغ في هذه الظروف نجم اللواء ممدوح سالم الذي يعتبر بحق من أفضل وزراء الداخلية في مصر وأكثرهم حظا وشهره واختاره السادات فيما بعد ليكون رئيسا لوزرائه. كان أغلب خصوم السادات ومعارضيه الذين تخلص منهم واعتقلهم في ١٥ مايو ١٩٧١، من المؤيدين للعلاقات المصرية السوفيتية. لذا لم يجد القادة السوفيت بعد هذا اليوم بُدًا من التعامل بصورة مباشرة مع السادات رغم يقينهم من عدائه للشيوعية وبالطبع

للاتحاد السوفيتي .

تمخضت لقاءات السادات والعقيد القذافي وجعفر نميري عن مشروع إقامة اتحاد عربي يضم كل من مصر وليبيا والسودان. قام خلال هذه الفترة في ١٩ يوليو ١٩٧١ انقلاب شيوعي في السودان تردد أن شفيع الشيخ وهو من قيادات الحزب الشيوعي في السودان ويشغل في نفس الوقت منصب سكرتير عام الاتحاد العالمي لنقابات العمال هو الذي قام بهذا الانقلاب . قام شفيع الشيخ بالقبض على جعفر النميري وتحفظ عليه في أحد المعتقلات وأحكم سيطرته على السودان .

لم يكن المداد الذي كتب به مشروع إقامة دولة الاتحاد العربي قد جف بعد حين قرر السادات منع الحزب الشيوعي من الوصول إلى حكم السودان . من هنا فكر السادات بسرعة في وضع خطة ينقذ بها صديقه جعفر النميري ويعيد الأمور في السودان إلى سابق عهدها . قرر السادات إرسال الأستاذ أحمد حمروش أحد أهم اليساريين من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار في مهمة سرية إلى السودان ريثما ينتهي من وضع خطته دون أن يعرف بالطبع أحمد حمروش بما يفكر فيه أنور السادات وما يقوم بالتدبير له. كان السادات يفكر في وسيلة يعيد بها جعفر النميري إلى حكم السودان مرة أخرى. سافر أحمد حمروش في طائرة خاصة إلى الخرطوم ولم يكن صعبا عليه مقابلة شفيع الشيخ زعيم الانقلاب نظرا للمكانة الرفيعة والثقة الكبيرة التي يحظي بها أحمد حمروش لدي كافة اليساريين في جميع الدول العربية . اطمأن أحمد حمروش على سلامة جعفر النميري وعلى استتباب الأمور في السودان. كان السادات خلال الفترة التي قضاها أحمد حمروش في السودان قد انتهى من وضع اللمسات الأخيرة لخطته .

علم السادات بأن شفيع الشيخ قد أرسل في استدعاء باقي زملائه من قيادات

الحزب الشيوعي المقيمين في لندن للحضور إلى السودان . استقل الزعماء الثلاثة هاشم العطا وفاروق عثمان حمد الله وبابكر النور الطائرة المتجهة بهم من لندن إلى الخرطوم غير أنهم وجدوا أنفسهم معتقلين في ليبيا حيث تم اعتراض طائرتهم وأجبرت على الهبوط وتم القبض عليهم . من الواضح هنا أن السادات قد استدعى خبراته السابقة في التعامل مع المخابرات الأجنبية والتي ساعدته في اعتراض الطائرة وهبوطها في ليبيا وإلقاء القبض عليهم .

كان إلقاء القبض على رؤوس الانقلاب الشيوعي في السودان، هو الجزء الأخير والأسهل من هذا السيناريو، حيث تم فى ليبيا فى الوقت الذى ساعد العملاء في السودان على هروب جعفر النميري من المعتقل وليقوم بدوره بالقبض على شفيع الشيخ ويتبادل كل منهما موقعه مع الأخر. تسلم جعفر النميري الهدية التي أرسلها له القذافي وأصبح بعد ذلك زعماء الانقلاب الشيوعي الأربعة في قبضته وتحت رحمته . هنا اضطر القادة السوفيت نظرا لعلمهم بما دبره السادات وما له من حظوة لدى جعفر النميري أن يرجوه التوسط لديه من أجل الإبقاء على حياة الزعماء الأربعة وعلي وجه الخصوص شفيع الشيخ لما يتمتع به من مكانه دولية . قام السادات عندئذ بالاتصال بالفعل بجعفر النميري، وطلب منه الإسراع في إعدامهم وأنه سوف يرد على القادة السوفيت ويبلغهم أسفه حيث أن سهم الله كان قد نفذ وتم بالفعل إعدامهم وأنهم قد طلبوا وساطته بعد فوات الأوان .

نفذ جعفر النميري طلب السادات وأسرع بإعدام الزعماء الأربعة . كان القادة السوفيت من جهة أخرى ونظرا لعدم اطمئنانهم للسادات قد سجلوا جميع المكالمات التي دارت بينه وبين جعفر النميري في هذا الشأن وأسمعوها إياه في أول زيارة له قام بها بعدها للاتحاد السوفيتي يعرض فيها على القادة السوفيت احتياجات القوات

المسلحة المصرية لبعض الأسلحة وقطع الغيار الهامة . من هنا يمكننا القول وفي حالة صحة هذه الرواية بأن السادات عندما أوصى جعفر النميري بإعدام الزعماء الأربعة قد خان الأمانة التي كلفه بها القادة السوفيت ويكون بذلك قد ضحى بالمصلحة العليا للبلاد مقابل تحقيق إحدى نزواته .

اكتشف السادات بعد أن تخلص من معارضيه ومؤيدي العلاقات المصرية السوفيتية من الوزراء ومن قيادات الاتحاد الاشتراكي أن هناك آلاف الناشطين من اليساريين والشيوعيين والناصريين ممن يعارضونه ويرون أنه لابد من تقوية العلاقات مع السوفيت الذين يمثلون المصدر الوحيد للسلاح الذي نحتاج إليه لمحاربة إسرائيل المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، وحتى نتمكن من تحرير سيناء وفلسطين وجميع الأراضي العربية التي اغتصبتها واحتلتها إسرائيل. اكتشف السادات أن هؤلاء النشطاء يسيطرون على الجبهة الداخلية ويمتلكون مفاتيحها حتى بعد أن تخلص من جميع معارضيه من الوزراء وقيادات الاتحاد الاشتراكي. من هنا فكر السادات في وضع خطة يعتمد فيها مرة أخرى على الاستفادة من رصيده لكي يتمكن من السيطرة على الجبهة الداخلية ويحررها من قبضه جميع المناوئين له، وحتى تصبح يده مطلقة في التعامل مع كافة القضايا وبالذات قضية تحرير الأرض وطرد المحتل. وحتى تكون لديه حرية اختيار الأسلوب الذي يراه هو مناسبا في هذا الشأن. هداه تفكيره إلى إطلاق سراح قيادات جماعة الإخوان المسلمين الذين كانوا ما زالوا محتجزين في السجون والمعتقلات بعد أن يعقد معهم اتفاقا – أي يساومهم على استرداد حقهم في الحرية – يضمن لهم العودة إلى نشاطهم مقابل تأييدهم له والوقوف بجانبه ضد كافة التيارات الأخرى المناوئة له ، وتمكينه من السيطرة على الجبهة الداخلية وحتى يكون ظهره محميا. كان السادات يسعى من

وراء عقد هذا الاتفاق مع قيادات الإخوان المسلمين إلى أن يصبح هو وبطانته بمثابة اللاعب الوحيد في مصر ، ويكون هو وليس غيره المهيمن الوحيد على كل مقدرات البلاد .

أستأنف الأخوان المسلمون نشاطهم وعادوا إلى سابق عهدهم ، وعادت مجلة الدعوة إلى الصدور، وأصبح عمر التلمساني هو المرشد الثالث للجماعة. غير أن الجماعة بعد أن استقرت أمورها عادت إلى رشدها، ورفضت أن تتحول إلى جهاز من أجهزة الحراسة للسادات، وبوقا للدعاية له ولسياسته . وحدثت المواجهة الشهيرة في ذلك الوقت بين السادات وبين عمر التلمساني عندما اضطر الأخير إلى التقدم بشكواه إلى الله سبحانه وتعالى، وكان من السادات أن أمره بسحب شكواه غير أن عمر التلمساني تمسك بها ورفض أن يسحبها. هنا لم يجد السادات أمامه بدا سوى البحث عن خطة بديلة تصل به إلى تحقيق هدفه . هداه تفكيره إلى تأسيس تنظيم بديل للإخوان المسلمين الذين نقضوا عهدهم معه بعد أن حصلوا على حريتهم واستعادوا نشاطهم .

السادات مؤسس الجماعات الإسلامية في مصر :

تميزت فترة حكم عبد الناصر ببزوغ نجم الدكتور عبد الحميد حسن، والذي أطلق عليه اسم الطفل المعجزة كان عبد الحميد حسن رئيسا لاتحاد الطلاب ثم عين وزيرا للشباب ثم محافظا للجيزة في عهد السادات ثم أنهي تاريخه الوظيفي بفضيحة مدوية .

وتميزت فترة السادات ببزوغ نجم طفل معجزة آخر هو الدكتور أشرف مروان. تخرج أشرف مروان من كلية العلوم وكان يتصف بالورع والفضيلة، ركب معي بالصدفة القطار من الإسكندرية، ولاحظت أن عينيه لم تغفل لحظة عن مصحفه طوال فترة رحلته . كان حريصا على تحصيل العلم والمعرفة وحصل على الدكتوراه

في أحد فروع الكيمياء. عينه السادات سكرتيرا خاصا له بعد وفاة عبد الناصر. أوكل السادات إليه مسئولية إخراج وتنفيذ الخطة البديلة التي فكر فيها بعد أن خذله الإخوان المسلمون . كان السادات يهدف إلى السيطرة على الجبهة الداخلية ومطاردة جميع من يناوؤه وإدخالهم الجحور . كانت خطة السادات تتلخص في تأسيس تنظيم يستطيع أن يعتلي خشبة مسرح الجبهة الداخلية ولا يغادره حتى يقوم بالدور الذي حدده السادات لنفسه .

كان على أشرف مروان القيام بإخراج وتنفيذ هذا السيناريو . أسس أشرف مروان في البداية ما أطلقوا عليه في الجامعات الجماعة الدينية . أوكلوا الإشراف عليها في مختلف الكليات إلى بعض المتفعين من أعضاء هيئة التدريس . غير أن الجماعة الدينية لم تتمكن من اعتلاء خشبة أي مسرح في أي كلية نظرا لأن كل المسارح كانت مشغولة بالطلاب اليساريين والناصريين . كما أن الطلبة المنتمين إلى الجماعات الدينية لم يكن لديهم لا الدراية ولا الخبرة ولا حتى القبول الذي كان يتمتع به هؤلاء الطلاب . كانت عملية استبدال الممثلين الموجودين على خشبة المسرح بممثلين آخرين تحتاج إلى الوقت والجهد والخبرة التي لم تكن متوفرة لدى المشرفين على عملية الإحلال والراغبين في السيطرة على الجبهة الداخلية للبلاد واعتلاء خشبات مسارح النشاط في مختلف الكليات والجامعات في مصر . من هنا دعت الحاجة إلى تأسيس جماعة تعتمد على القوة والعنف في تنفيذ أغراضها أطلقوا عليها الجماعة الإسلامية، وكانت السلاسل والمطاوي قرن الغزال من بين الأدوات التي استخدموها في تحقيق أغراضهم . تمكنت الجماعة الإسلامية في أول تجربة لها من غلق أبواب نادي الفكر الناصري في جامعة القاهرة . من هنا نجح الطفل المعجزة في تنفيذ ما أوكل إليه وحاز على إعجاب وثقة الرئيس محمد أنور السادات . كان لا بد بعد نجاح هذه التجربة من العمل على نشرها في كل الكليات والجامعات

بل في جميع أنحاء البلاد، وسوف نتناول تفاصيل ذلك في الفصل القادم غير أنني أود هنا أن أشير إلى أنه إذا كانت الحياة الوظيفية للطفل المعجزة الأول قد انتهت بفضيحة مدوية فإن حياة الطفل الثاني قد انتهت هي الأخرى بفضحية مدوية .

المستشار مصطفي سليم محافظا لأسيوط :

تم تعيين اللواء ممدوح سالم وزيرا للداخلية وأصدر السادات قرارا بتعيين المستشار مصطفي سليم نائب رئيس محكمة النقض محافظا لأسيوط . كان المستشار مصطفي سليم من المشهود لهم بالوطنية منذ أن كان وكيلا للنائب العام . كان من أهالي الإسكندرية وكان يجمعنا صديقا مشتركا لذا توطدت علاقتنا وأصبحت أتردد عليه كثيرا في مكتبه في أسيوط، وكانت محافظة أسيوط في أشد الحاجة إلى المشروعات الصناعية والبيئية . شجعتني علاقتي به إلى تقديم العديد من الدراسات أذكر منها مشروع إنشاء مجزر آلى ومدبغة للجلود . كانت مخلفات الذبائح تتراكم في أطراف المدينة مما يؤدي إلى انتشار الأمراض . كان يعتبرني بمثابة مستشاره الصناعي في المحافظة . كان موضوع معالجة مياه الشرب واضطرار محطات المياه إلى تخزين اسطوانات غاز الكلور التي تجلبها من الإسكندرية يسبب لي قلقا كبيرا . كان هذا القلق يزداد في كل مرة تتعرض فيها ناقلات الكلور إلى الحوادث أثناء قدومها من الإسكندرية - حيث تنتجه شركة مصر للكيماويات بمنطقة المكس- وهي في طريقها لتوصيله إلى مختلف المحافظات لاستخدامه في محطات مياه الشرب . كان عدم وصول غاز الكلور إلى محطات مياه الشرب يتسبب في انتشار العديد من الأمراض ، كما أن تخزين أسطوانات غاز الكلور من ناحية أخري من الممكن أن يكون هدفا للعدو ويغريه بضرب محطات المياه وتفجير أسطوانات غاز الكلور السام الذي من الممكن أن يؤدي انتشاره إلى مئات الضحايا. من هنا قمت بتصميم جهاز

نقالى لإنتاج غاز الكلور اللازم في تنقية مياه الشرب وعدم الاعتماد على أسطوانات الكلور التي يمكن اعتبارها في ظل حرب الاستنزاف بمثابة قنابل موقوتة .

هذا ومن الجدير بالذكر أنه لا قدر الله إذا قام العدو بضرب المحطة فإن الجهاز الذي صممته سوف يتحطم ولا يؤدي تحطيمه إلى أي خسائر تذكر . قدمت هذا المشروع أيضا إلى المحافظ ولم أتقاض أي أتعاب أو مكافآت نظير قيامي وتقديمي هذه الدراسات .

صرف النظر عن السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية :

سبق أن ذكرت أنني تركت بعض المدخرات في الولايات المتحدة الأمريكية في صورة أوراق مالية لدي أحد مكاتب السمسرة وكانت تقدر بمبلغ ١٥٠٠ دولار. تركت هذا المبلغ تحسبا للزمن. فقد أضطر إلى العودة للولايات المتحدة لإجراء البحوث التي أحتاجها عندما أتقدم للحصول على اللقب العلمي أستاذ في هندسة الفلزات . من هنا عندما سارت عجلة القيام بالأبحاث وتمكنت خلال فترة زمنية قصيرة من إنهاء عدد من رسائل الماجستير وأصبح لدي رصيد كبير من الأبحاث يدعوني إلى الاطمئنان رأيت أن أطلب المبلغ الذي كنت أودعته في صورة أوراق مالية فقد يكون من الأفيد أن يكون هذا المبلغ موجودا هنا تحت تصرفي .

انتهزت فرصة سفر صديقي الدكتور أحمد خضير في مهمة علمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وسلمته رسالة موجهة إلى مكتب السمسرة طلبت فيها التنازل عن الأوراق المالية وتسليم الثمن إلى صديقي الدكتور أحمد خضير . أرسل لي خضير بعد وصوله ما يفيد أن مكتب السمسرة أرسل له شيك بمبلغ ١٥٠٠ دولار باسمى، وأنه سوف يرسل لي هذا الشيك مع أحد المصريين القادمين من أمريكا في أقرب فرصة .

وصلني بالفعل الشيك الذي أرسله الدكتور خضير غير أنني لم أتمكن من استخدامه في مصر. كان ذلك في صيف عام ١٩٧٢م وكان صديقي الجيولوجي عثمان شلبي في أجازه من عمله في مصفاة الشعيبة بالكويت. سلمت عثمان الشيك ليري مدي إمكانية وضعه في حسابه هناك بالدولار ويبلغني بنتيجة مسعاه في هذا الشأن. سافر عثمان إلى الكويت، وأبلغني بنجاح مسعاه وبأنني أصبح الآن لدي ١٥٠٠ دولار أمريكي في حسابه أستطيع أن أسحب منها أي مبلغ عند اللزوم .

إنني مضطر هنا أن أسبق الأحداث وأنوه عن سبب سردي قصه تحويل هذا المبلغ بهذه الصورة الدراماتيكية، ذلك لأن هذا المبلغ سوف يشترك في صنع المعجزة الرابعة في حياتي في الشهور القادمة .

فوجئت في أحد الأيام بمن يزف لي خبر حصولي على جائزة الدولة التشجيعية لعام ١٩٧٢ ، وكنت قد تقدمت للحصول على هذه الجائزة بالفعل مع بداية العام الدراسي ٧١/ ٧٢ . كان الخبر منشورا بجريدة الأهرام . انهالت على التهاني من كل صوب وحدب، وأذكر أن الرائد حسين أبو شقة نائب مأمور سجن أسيوط قد حضر إلى في منزلي خصيصا لكي يهنئني . غير أن المفاجأة الكبرى كانت في اليوم التالي لنشر خبر الفوز ذلك عندما نشر تكذيب لخبر الفوز . استنتجت من ذلك أن الرأي الأخير في تقييم المتقدمين للحصول على جوائز الدولة ليس في يد المختصين إنما هو في يد آخرين لا يمتون بصلة إلى العلم واعتبرت قرار حرماني من الحصول على الجائزة قرارا سياسيا وأمنيا لذا قررت عدم التقدم مرة أخري للحصول على أي من جوائز الدولة .



تأملات بين
الماضي والحاضر

المقاومة والصمود والتغيير
(أسلوب حياة)

الفصل الحادي عشر

الحركة الطلابية
الجماعات الإسلامية
– السجن تأجيل نظر الدعوى لأجل غير مسمى ١٩٧٢-١٩٧٣

السفر لتأجير المصايف للزملاء :

كنت عضوا في مجلس إدارة نادي أعضاء هيئة التدريس لجامعة أسيوط ، والوحيد من بين أعضاء المجلس من أهالي الإسكندرية ، وكنا على مشارف الصيف. اتخذ مجلس إدارة النادي قرارا باستئجار شقق مناسبة بمدينة الإسكندرية لتصييف الزملاء. رافقت زميلي الدكتور محمود راضي سكرتير النادى من كلية العلوم في السفر لإتمام هذه المهمة .وقع اختيارنا على عدد من الشقق وتعاقدنا على إيجارها طوال شهور الصيف. ونحن في طريق عودتنا إلى أسيوط ، ركبنا القطار من الإسكندرية الذي يصل بنا إلى محطة القاهرة في وقت يتوافق مع موعد قيام القطار الذي علينا أن نستقله للذهاب إلى أسيوط . حجز محمود راضى على هذا القطار بواسطة استمارات سفر صادرة من مديرية الشباب بأسيوط . حيث أن سفرنا كان في مهمة تابعة لنادي هيئة التدريس الذي تشرف عليه مديرية شباب أسيوط . كان الحجز في ذلك الوقت يشمل الحجز في القطار والحجز في التكييف أي أن كل مسافر كان يتسلم تذكرتين من الشباك تذكرة تفيد رقم القطار وموعد قيامه والتذكرة الأخرى تفيد رسوم التكييف ورقم المقعد وتاريخه. لم ينتبه محمود راضي عندما قام بالحجز مقدما على هذا القطار من القاهرة إلى أن تاريخ وموعد قيام القطار يختلفان عن موعد التكييف فهو في نفس القطار لكن في اليوم الذي يليه . لم ندرك هذا الخطأ إلا بعد أن صعدنا إلى القطار وبحثنا عن أماكننا المدونة على تذاكر التكييف لنفاجأ بآخرين يجلسون في مقاعدنا . كان القطار لا يزال واقفا على الرصيف ، لذا راجعنا رئيس القطار للبحث معه عن حل ونصحنا بالركوب وأنه سوف يقوم بحل هذه المشكلة خلال الطريق . استمرت المشكلة دون حل واضطررنا إلى السفر لأسيوط وقوفا. وعند وصولنا إلى أسيوط فوجئنا برئيس القطار الذي يبدو أن أحدا قد

أوصاه بطلب تسليمنا لناظر المحطة حيث إننا نعتبر من وجهه نظرة راكبين بدون تذاكر . هاج الدكتور راضي وماج واستمرت ثورته مع قيام ناظر المحطة بكتابة محضره والذي كان يبدو عليه هو الآخر أن هناك من أوصاه بذلك . تنبهت إلى إنني قد أكون المقصود بكل ذلك لذا تركت الحديث كله للدكتور راضي وبالذات وأنه هو الذي قام بالحجز على هذا القطار ولم ينتبه إلى الإختلاف بين تاريخ السفر وتاريخ التكييف . إن مسئولية هذا الخطأ من المفروض أن تقع على موظف الشباك لأنه هو الذي أرتكب هذا الخطأ . غير أنه وعلي ما يبدو أن أحد عملاء أمن الدولة ما صدق أن اكتشف خطأ أنا طرف فيه وقام بهذه التوصيات. وقعت في نهاية المحضر كشاهد على أقوال الدكتور محمود راضي وغادرنا مبني المحطة إلى منازلنا . ضاع منا على أثر هذه المشكلة شعورنا بالرضا لنجاحنا في المهمة التي أوكلت إلينا ولم يتبق لدينا سوي الشعور بالظلم والإرهاق والتعب . إنني أسرد تفاصيل هذه الواقعة لما لها من أهمية سوف يرد الحديث عنها في الفصل القادم .

تساؤلات بسيطة لكنها جوهرية :

كان الاتحاد السوفيتي هو الدولة الأولي، التي اعترفت بإسرائيل. كان الاتحاد السوفيتي يراهن على إمكانية وصول الحزب الشيوعي الإسرائيلي إلى الحكم. كان الاتحاد السوفيتي يتعاطف مع المسألة اليهودية، وبالذات وأن اليهود السوفيت كانت لهم مساهمات كبيرة في التقدم العلمي الذي أحرزه الاتحاد السوفيتي في شتى المجالات . من هنا كان تأييده لقيام دولة إسرائيل متفقا مع الثوابت التي يتبناها ومع بعض القواسم المشتركة بينه وبين إسرائيل .

علي الجانب الآخر نجد أن سعد زغلول قد رفض حتى أن يرد على الرسالة التي أرسلها له لينين يعلن له فيها تأييده لثورة ١٩١٩ . كما قام عبد الناصر هو الآخر في

بداية الثورة بالتخلص من زملائه من ذوى التوجهات اليسارية والديمقراطية من أمثال يوسف صديق وخالد محيي الدين وأحمد حمروش . كما رفض الإفراج عن المعتقلين الشيوعيين الذين كان قد تم اعتقالهم قبل قيام الثورة بتهمة الاشتراك في تنظيم لقلب نظام الحكم . وتم في عهد الثورة اعتقال جميع الشيوعيين في جميع أنحاء البلاد بناء على أوامر عبد الناصر، ولاحقت أمن الدولة كافة المنظمات اليسارية وتعرض الشيوعيون في السجون إلى كافة أنواع التعذيب . لم يكتف عبد الناصر بمحاربته للشيوعية في مصر فقام أيضا بملاحقتهم في سوريا ولبنان .

يتضح لنا مما سبق أن مساعدة الاتحاد السوفيتي لمصر ما كانت لتسمح بالقضاء على إسرائيل، كما يروج البعض في زمن عبد الناصر، لأن ذلك كما سبق أن ذكرنا يتعارض مع جميع ثوابت الاتحاد السوفيتي كما كان يتعارض أيضا مع كافة القوانين الدولية .

وعندما نستعرض موقف الولايات المتحدة هي الأخرى من الصراع العربي الإسرائيلي، نجد بلاشك أن تأييدها لإسرائيل كان متسقا ومتفقا بالكامل مع ثوابتها ومصالحها بعكس تأييدها لمصر .

مما سبق يتضح لنا سهولة الإجابة على تساؤلاتنا الجوهرية، بخصوص توجهات الأطراف الأساسية المشاركة في الصراع العربي الإسرائيلي، وعلى وجه الخصوص موقف القوتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي .

هذا ومن الجدير بالذكر أن الاتحاد السوفيتي عندما وافق على الوقوف بجانب مصر في هذا الصراع، ليزودها بالسلاح، ومساعدتها في تحقيق التنمية في مختلف المجالات كان يسعى من وراء ذلك إلى استقطاب مصر ثم سوريا لضمهم إلى دائرة نفوذه، والاستفادة في نفس الوقت من مكانة مصر للوصول إلى إفريقيا، وإلى دول

عدم الانحياز دون تفريط منه في أيٍّ من ثوابته على وجه الخصوص الحفاظ على أمن إسرائيل .

قام عبد الناصر من جهته برفع بعض الشعارات التي تدعو إلى الاشتراكية وقام بتنفيذ وعده لخروشوف وأفرج عن كافة الشيوعيين المعتقلين في مصر قبل حضوره حفل تحويل مجري النيل . وقام في نفس الوقت بشن حملة واسعة ضد الإخوان المسلمين لتمتلئ بهم المعتقلات مرة أخرى بعد أن أصبحت خاوية على عروشها .

كان من الواضح أن نظام عبد الناصر قد اعتمد في حربه ضد إسرائيل على سياسة اللعب على الحبال، والتي أطلقوا عليها تأدبا توازن القوى . لم يعتمد عبد الناصر على تنمية قدراتنا الذاتية لتصنيع ما نحتاج إليه من سلاح للدفاع عن أنفسنا وتحرير أراضينا . وكادت في عهده أن تتوقف التنمية بالكامل – الخطة الخمسية الثانية – وبدأ الحديث عن إقامة المشاريع الوهمية ينال حظا كبيرا في الصحف وأجهزة الإعلام . أطلق المصريون بعض النكات التي يعبرون بها عن عدم تصديقهم لتلك الأحاديث منها أن الرئيس عندما قام بافتتاح مزرعة للعجول أعطى القائمين على المشروع لكل عجل عشرة جنيهات لكي يصوروه مع الرئيس .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتفهم جيدا الدور الذي يقوم به الاتحاد السوفيتي وكأن هناك شبه اتفاق فيما بينهما تقوم الولايات المتحدة بموجبه بغض الطرف عما يقوم به الاتحاد السوفيتي، وتبارك له ما يحقق من مكاسب في أفريقيا بشرط أن يحافظ الاتحاد السوفيتي هو الآخر على أمن إسرائيل وعلى مصالح الولايات المتحدة في المنطقة . تجاهل عبد الناصر في غمرة الأحداث أن يستفيد من آراء الأعداد الضخمة من المبعوثين المصريين الذين أنهوا دراستهم في الاتحاد السوفيتي وأصبحوا خبراء في الشؤون السوفيتية . كانت هذه الثروة البشرية من

العقول المصرية كفيلة بأن تجيب على كل التساؤلات البسيطة والجوهرية وتضعها أمام عبد الناصر. ويعتقد البعض أن تلك الإجابات التي توصل إليها جمال عبد الناصر في أواخر أيامه هي التي كانت وراء اختياره لأنور السادات خليفة له.

ومع حكم السادات أصبح اللعب بين مصر والاتحاد السوفيتي على المكشوف وبالذات بعد أن تكشف للسوفيت خيانة السادات لهم. غير أن السادات لم يكن أمامه هو الآخر سوى الاستمرار في اللعب على المكشوف، ومواجهة تعمد الاتحاد السوفيتي التلكؤ في توريد طلبات القوات المسلحة من السلاح وقطع الغيار. وجدت نفسي في نهاية الإبحار والبحث عن الإجابات لهذه التساؤلات أردد تلك الكلمات :

يا عازقين الجناين ، يا منورين الخنادق	يا ناسفين الجبال ، يا محولين أنهار
هاتولى كل البنادق ، كل البارود أملاه	في جوفي وأحشي ضلوعي
ومرة واحدة أنفجر	يهز صوت الانفجار كل الجبال
يصحي أهل الكهف	والسكاري والحياري
كلهم يصحوا ويعرفوا	إيه الحكاية م البداية للنهاية

حجز السيارة الفيات ١٢٥ والمعجزة الرابعة :

تم الإعلان في نهاية عام ١٩٧٢ عن فتح باب الحجز على السيارة الفيات ١٢٥ التي اتفقت شركة النصر للسيارات على تجميعها وبيعها داخل مصر . كان عدد الراغبين في اقتناء سيارة من المصريين يقدر بعشرات إن لم يكن بمئات الآلاف نظرا لتوقف إنتاج السيارات في مصر منذ فترة طويلة . من هنا كان الإعلان يمثل فرصة أمام الراغبين في اقتناء سيارة وبالذات وأن نتيجة الحجز سوف تعتمد على الفرز الآلي للطلبات وبناء على المعلومات المدونة في استمارة الحجز . كانت شركة مقار في

أسيوط هي المسؤولة عن تلقي طلبات الحجز في أسيوط وكان آخر موعد للحجز هو ١٨ فبراير ١٩٧٣م .

كانت لدي فرصة لإرسال خطاب إلى صديقي عثمان شلبي في الكويت الذي أصبح لي في رصيده مبلغ ١٥٠٠ دولار، وطلبت منه أن يحول لي مبلغ ٦٥٠ جنيه مصري وهو المطلوب دفعه كمقدم للحجز. وذهبت إلى شركة مقار وأخذت منهم استمارة للحجز لحين ورود المبلغ في حسابي . كانت شركة مقار مجاورة لبنك الإسكندرية في أسيوط حيث حسابي الجاري . دخلت البنك ورجوت موظف الشباك أن يتصل بي عند وصول هذا المبلغ في حسابي . فكرت في حجز السيارة الجديدة واضعا في ذهني أحد الاحتمالين إما أن أبيع سيارتي، وأسدد من ثمنها ما يتبقى على ثمن السيارة الحديثة أو أن أتصرف في إيصال حجز السيارة الجديدة في حالة عدم تمكني من بيع سيارتي الفيات ١٢٤ موديل ١٩٦٩ .

حدثت المظاهرات الطلابية في هذه الفترة في جميع أنحاء مصر. ووصلت إلى أوجها في أسيوط خلال شهري يناير وفبراير وراح ضحيتها عشرات الطلاب والجنود وكان من أهم ضحاياها العقيد عبد العزيز حبيب مدير المباحث الجنائية التي كانت تربطني معه صداقة وإعجاب متبادل . كان رحمه الله محبا للعلم والمعرفة وحصل على درجة الماجستير في التاريخ فكان من ضباط الشرطة القلائل الذين يسعون إلى المعرفة والثقافة من هنا كان حبي واحترامي له . علمت بما حدث له وأن سائق السيارة التي تحمل الجنود قد فقد السيطرة عليها نتيجة عنف المظاهرة فسقطت عليه وحطمت ضلوعه . ذهبت لزيارته مع مجموعة من الطلاب وانهمرت دموعي أثناء الزيارة وبللت باقة الورد التي كانت بين يدي . شغلتني المظاهرات عن متابعة عملية حجز السيارة ، كما أن موظف الشباك لم يتصل بي ليبلغني ما إذا كان

المبلغ الذي أرسلت في طلبه قد وصل لحسابي أم لا ؟ وكنت في يوم ١٩ فبراير أي بعد يوم من انتهاء موعد الحجز قريبا من البنك، فدخلت وسألت وفوجئت بأن المبلغ الذي طلبته ليكون مقدم الحجز قد وصل بالفعل داخل حسابي . كان موظف الشباك قد تغير وبالتالي لم ينبأني بوصول المبلغ . ذهبت إلى شركة مقار وسألتهم عن إمكانية المضي في إجراءات الحجز فأجابوا بأنهم ليس لديهم مانع إذا وافق البنك على استلام مقدم الحجز فرجعت إلى البنك ودخلت إلى المدير وسألته وكان رده إيجابيا وفسر لي إن هذا الإجراء سليم لأن جميع المبالغ التي ترد إلى البنك يوم ١٨ فبراير بعد الثانية عشرة ظهرا يتم توريدها بتاريخ ١٩ . وكنت بذلك آخر واحد في أسيوط قد حجز السيارة الفيات ١٢٥ ، وهذه كما سبق أن ذكرت هي الحلقة الثانية فى المعجزة الرابعة .

ظهرت نتيجة الحجز في أوائل شهر إبريل وكان ترتيبي رغم أنني آخر الحاجزين هو أول المستلمين للسيارة، وكانت هذه هي الحلقة الثالثة في المعجزة الرابعة وإن الاستلام سوف يكون في غضون بضعة أسابيع، وأنني مطالب بتسديد المبلغ المتبقي من ثمن السيارة خلال شهر مايو ١٩٧٣ .

بعد إعلان نتيجة الحجز انتشر خبر فوزي بالمركز الأول في كل أنحاء أسيوط. كان هناك المئات من الذين حجزوا، وكانوا أحق مني في سرعة استلام سيارتهم نظرا لحاجتهم الملحة إليها. كانت كل أسيوط تعلم أنني أملك سيارة أخرى وبالتالي فإنني سوف أبيع حتما واحدة منهما حتى أتمكن من تسديد المبلغ المتبقي من ثمن السيارة الجديدة. لم أجد حلا لهذا المأزق سوي الاتفاق مع صديقي الدكتور عبد الحليم عفيفي بأن أبيع له السيارة الجديدة، لأنه كان في أشد الحاجة إلى سيارة ويقوم هو بتسديد ما تبقي من ثمنها وأصبح بعد ذلك رصيدي في البنك حوالي ألف

جنيه وهذه هي الحلقة الرابعة في المعجزة الرابعة .

اختراق التنظيم :

كان المهندس منير فهمي أحد الأعضاء المؤسسين في التنظيم، وكان يعمل في وظيفة مؤقتة في رعاية شباب الجامعة . عرض منير فهمي علينا مشكلته التى تتلخص بالتلويح له بإمكانية الاستغناء عن خدماته في رعاية الشباب . تمخضت المناقشات عن احتمال أن يكون التنظيم مخترقا، وأن ما حدث مع منير فهمي قد يكون تحذيرا للجميع .

استعرضت مع فتح الله الشيخ أسماء الأعضاء لأنني ونظرا لغيابي الاضطراري عن أسيوط طوال ثلاث سنوات قضيتها في الولايات المتحدة الأمريكية قد اعتمدت في المرحلة التأسيسية للتنظيم في أسيوط على ترشيحات وتذكية فتح الله الشيخ . وعندما قمت بمراجعة أسماء الأعضاء توقفت عند اسم المهندس على عثمان وسألت فتح الله الشيخ عنه وعرفت أنه شقيق محمد عثمان الذي يسعى إلى نشر الجماعات الإسلامية في جامعة أسيوط . وعاتبت فتح الله الشيخ على ارتكابه هذا الخطأ! غير أنه دافع عنه بقوله : إنه بالفعل شقيق محمد عثمان لكنه يختلف معه في الرأي! فات على فتح الله الشيخ معرفة تقاليد أهل الصعيد وأن محمد عثمان هو الشقيق الأكبر لعلي عثمان وأيقنت بعدها أن التنظيم قد تم اختراقه غير إنني مع ذلك كنت مطمئنا لأنه لا توجد أي تسجيلات سواء للأسماء أو لمحاضر الاجتماعات . استمرت اجتماعاتنا مرة في منزل الكاتب المسرحي مصطفى ومرات في منزلي . كنا نبدا اجتماعنا بأغنية أحبك . التي أقول فيها:

أحبك وأموت م الجوع عشان خاطرك

وأسهر ليالي بطولها أحلم بك

واشتاق لك وأنا جنبك

في حضنك أبوس تراب أرضك

أحبك وأنا في حيرة من أمرك

في هجرك في بعدك في شرود عقلك

وألمح في السما ضيك

أضمه بقلبي وانده لك

هذا جزء من الأغنية والتي كنا نستهل بها اجتماعاتنا فى كل مرة وكنت أستعين بالجيتار في غنائها عندما تعقد الاجتماعات في منزلي .

قررت التعامل مع الاختراق بالقيام أنا الآخر باختراق مباحث أمن الدولة في أسيوط فقمت بتكليف أحد الأعضاء من مدينة دشنا أي من بلديات العميد عبد المنعم عوض مفتش المباحث بأن ينقل لي المعلومات التي لديهم عن التنظيم ونواياهم المستقبلية في هذا الشأن . هذا ومن الجدير بالذكر أن هذا العضو الذي كلفته بهذا العمل قد تقلد فيما بعد منصب نائب ورئيس جامعة في إحدى الجامعات بمدينة القاهرة .

سنة الضباب :

كانت الجبهة الداخلية فى حالة غليان مستمر. لم تكن الجماعات قد نجحت بعد في اعتلاء خشبة المسرح والقيام بدورها المرسوم. اجتمع رموز الحركة الوطنية وأصدروا بيانا أدانوا فيه الاستسلام لحالة اللاحرب واللاسلم. بدأ طلاب الجامعات في تهيئة أنفسهم لخوض معركة طويلة ضد ممارسة القهر للإرادة الوطنية التي تنادى بالحرب من أجل تحرير الأرض .

كان السادات منذ أن تولي الحكم يمني الشعب بالحرب . وبأنها قد باتت قريبة على الأبواب، ثم يختلق الأعذار لتأجيلها في كل مرة . وهذه المرة ونحن في عام ١٩٧٢ أراد الناس أن يصدقوا ما وعدهم به بأن الحرب سوف تكون خلال هذا العام . غير أنه مرة أخرى وقف يخطب في الناس يؤجل موعد الحرب معللا ذلك بالمعارك التي نشأت بين الهند وباكستان واصفا هذه السنة بعام الضباب . أدى هذا الخطاب إلى ثورة عارمة بين صفوف الطلاب هاجموا النظام وطالبوه بالحرب . وتعددت هجمات الشرطة ورجال الأمن على الطلاب في كل مكان. واستخدمت الجامعات مجالس التأديب سلاحا ضد القيادات الطلابية. فكانت القوات المسلحة من جهة أخرى تقوم بتجنيد الطلاب فور صدور ضدهم قرارات تأديبية بالفصل المؤقت من كلياتهم . اتضح لي أن هناك تنسيقًا واضحًا بين رجال الأمن والشرطة والقوات المسلحة والجامعة في سبيل القضاء على الحركة الطلابية التي كنت أرى أنها التعبير الوحيد الآن في مصر لمقاومة الاحتلال .

أصدرت بيانا للدفاع عن الحركة الطلابية أقدم هنا ملخصًا له قد يساعد القارئ على التعرف على الحركة الطلابية خلال هذه الفترة .



بيان هام
نظره موضوعية إلى الحركة الطلابية

إن الحركة الطلابية في أي جامعة من الجامعات لا يمكن فصلها عن باقي الحركات الطلابية في الجامعات الأخرى، لذا من الممكن دراسة الحركة الطلابية عامة عن طريق دراستها في جامعه واحدة هذا لأن أسباب الحركة الطلابية واحدة رغم اختلاف الطلاب والمكان .وتتلخص أسباب الحركة الطلابية فيما يلي :

- احتلال جزء عزيز من أرض الوطن .

- اعتقاد الطلاب الراسخ بمقدرة شعب مصر على طرد المستعمر واسترداد أرضه وكرامته . بشرط أن تستخدم إمكانيات هذا الشعب العظيم الاستخدام الأمثل .

- رفض الحل السلمي لمشكلة الشرق الأوسط حتى يكاد أن يكون الشعار الذي يمكن أن يعبر عما في أذهان الطلاب هو « ما أخذ بالقوة لا يجب أن يسترد إلا بالقوة » .

- اعتقاد الطلاب بأن مشكلة الشرق الأوسط هي مشكلة شعوب، وليست مشكلة حكومات. ويخشون دائما من أن تفرض الحكومات العربية على شعوبها حلا لا ترضاه هذه الشعوب سالكين في ذلك طرقا غير ديمقراطية .

-عدم وجود اتحاد طلاب يمثل القاعدة الطلابية ويعبر عن رغبات الطلاب وآمالها . هذا مع عدم السماح بأي طريق آخر للتعبير .

- فقد الشغف المادي أو حتى المعنوي لدي الطلاب لكي يحصلوا العلم أو

يتخرجوا من كلياتهم .

هذا هو مجرد ملخص للأسباب ولايشمل كل الأسباب .إن الحركة الطلابية ظاهرة صحية تماما وهي حركة شريفة نابعة من أبناء الشعب المصري ومنعكسة من أهم قضية يعيشها الشعب المصري على مر العصور والأزمنة ولا يمكن لهذه الحركة أن تقبل الهزيمة فهزيمتها هي هزيمة الإرادة المصرية إذ هي التعبير الوحيد الآن في مصر لمقاومة الاحتلال . وسوف تستمر هذه الحركة طالما الأسباب المذكورة آنفا قائمة . وجميع هذه الأسباب مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية المصير العربي . وسوف تظل هذه الحركة طالما هذه القضية قائمة . ومن يحاول القضاء على هذه الحركة هو بالضبط كمن يحاول إحلال لغة أجنبية محل اللغة العربية في مصر .

الجماعات الإسلامية مرة أخري :

بعد نجاح الجماعات الإسلامية في غلق أبواب نادي الفكر الناصري بجامعة القاهرة . رأي السادات ضرورة نشر هذه الجماعات وفي كافة المحافظات .

إن التجربة التي قامت بها الجماعات في جامعة القاهرة، وأسفرت عن غلق نادي الفكر الناصري بالجامعة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن العنف في هذه الواقعة قد أدى من وجهه نظرهم إلى نتيجة إيجابية حيث نجحوا في إسكات أحد الأصوات المعارضة لسياسة السادات لكنهم مع ذلك لم يتمكنوا من اعتلاء خشبة المسرح والقيام بدور المؤيد لسياسته . كما أن السادات قد تنبه وذلك لا يمكن أن يكون بعيدا عن تفكيره إلى أن تكرار تجربة الجماعات التي نجحت هذه المرة في جامعة القاهرة قد لا تنجح في جامعات أخرى مما يهدد فكرة الاستعانة بتنظيم الجماعات الإسلامية كما أن ذلك قد يؤدي إلى حرب داخلية مصغرة من الممكن أن تؤدي إلى انهيار الحكم في البلاد . فكر السادات في أن يتبع أسلوبا سلميا في نشر الجماعات

الإسلامية تحت وطأة حاجته الملحة فى السيطرة على الجبهة الداخلية والتخلص من جميع معارضيه . اتصل بي بعض الزملاء من ذوي التوجه الديني بالتحديد الدكتور محمد دهيم وخالد عودة وحامد عجينه المحامي وطلبوا مني الانضمام إليهم للعمل من أجل مساندة تنظيم الجماعات الإسلامية في جامعة أسيوط . عرفت من الحوار معهم أن محمد عثمان إسماعيل الذى كان أمينا للاتحاد الاشتراكي في أسيوط وقت أن قلت « أن الاتحاد الاشتراكي مجموعة من الجثث ويجب القضاء عليه »، والذي أصبح من المقربين إلى الرئيس السادات بعد أن أخذ نواب وجه قبلي، وذهب بهم إلى السادات إبان أزمة مايو وأشهروا مسدساتهم هاتفين بحياته ومضحين بحياتهم من أجله . أصبح محمد عثمان بعد ذلك من رجال الحكم في مصر ويبدو أنه أراد أن يعمل مع الدكتور أشرف مروان في نشر الجماعات الإسلامية سلميا في الجامعات وقرر أن يبدأ بجامعة أسيوط حيث يوجد أهله وأصدقاؤه وزملاؤه ومحاسيبه . عندما علمت بذلك رفضت أن أتعاون معهم أو أساعدهم، وقلت لهم بالحرف الواحد « إنني لا أعتبر أن محمد عثمان هو ذلك المسلم الذي يستحق أن أضع يدي في يده ....»، حاولوا معي كثيرا لأنهم يعلمون مقدار شعبيتي بين الطلاب وأن تأييدي للجماعات الإسلامية سوف يكون مكسبا كبيرا لهم. اقترحوا على لقاء محمد عثمان وفتح صفحة جديدة معه غير أنني أمعنت في رفضي وتمسكت بموقفي . غير أنهم كما يبدو قد أبلغوه بموقفي وبرأيي فيه الأمر الذي أضمره في نفسه ولم ينسه ودفَّعني ثمنه غاليا كما سيتضح فيما بعد .

المظاهرات والجماعات :

عمت مظاهرات الطلبة جميع أنحاء مصر. كانت هناك بعض الأيدي الخفية تقف وراء تهييج الطلاب وحثهم على التظاهر وكانت نفس هذه الأيادي تعمل على

الإساءة إلى الطلاب فكانوا يلقون داخل المواصلات العامة بعض مجلات الحائط وبها صورة لجيهان السادات في بدلة رقص. كان من الواضح أن هناك هدفا خفيا يبغي النظام تحقيقه من وراء هذه المظاهرات. لم أكن مهتما بالمظاهرات ولا متابعا لتحركاتها. كنت أمارس نشاطي العادي في الجامعة .

وكنت متفقا مع الدكتور مصطفي عبد الهادي لزيارته في قسم الرياضيات بكلية العلوم وعندما ذهبت في الموعد المحدد وجدته واقفا أمام باب القسم ومعه الدكتور عبد العال مباشر والدكتور أحمد راضي. بادرني مصطفي عبد الهادي باعتذاره عن الموعد وأضاف ياريت تكسب ثواب وتأتي معنا لنعيد الطلاب المتظاهرين لأن الأمن متربص بهم وسوف يفتك بهم. اضطررت لمرافقتهم وفى طريقى والتقطت بعض أظرف الطلقات الفارغة المتناثرة في أرض المعركة، ولفت نظري أنها مكتوب عليها صنع في مصر وتذكرت أن هذه الأظرف كانت على أيامي مكتوب عليها صنع في إنجلترا. وهذا هو التغيير الجوهري الذي أحدثته الثورة في مصر . استمرت المظاهرات وكان قراري أنني ليس لي في هذه المظاهرات لا ناقة ولا جمل علاوة على أن زوجتي ترقد في المنزل لأنها تعاني من حالة إجهاض مهدد الأمر الذي يتطلب الراحة التامة وكنت لا أفارقها إلا كما يقولون للشديد القوي .

فوجئت صباح اليوم التالي بزيارة غير متوقعة من شخص لا أتوقع إطلاقا أن يقوم بذلك الأمر الذي أدى إلى توجيهي إليه العديد من الأسئلة التي تعبر عن شكوكي في نواياه بالذات بعد أن وجدته يحدثني عن المظاهرات وعن ضرورة أن يكون لأعضاء هيئة التدريس موقف في هذا الشأن أعتقد أن اسمه هو محمد فهمي . ذهبت بعدها إلى رئيس الجامعة الذي قال لي أن هناك لجنة مشكلة بالاشتراك مع الاتحاد الاشتراكي لتهدئة الموقف مرة أخرى حضر إلى زيارتي في المنزل كل من

الدكتور محمد دهيم وخالد عودة في وقت متأخر من الليل ودون موعد سابق . كانت تربطني بدهيم على وجه الخصوص صداقة كبيرة علاوة على أنه كان يتمتع بثقتي على عكس خالد عودة . من هنا أحضر خالد عودة الدكتور دهيم معه حرصا على كسب ثقتي فيما سوف يطرحه على من أفكار وروايات . حكي لي أن محمد عثمان حضر إلى أسيوط بغرض دراسة الوضع، والعمل على تهدئة الموقف وأنه تفقد الأوضاع داخل الجامعة وخارجها متخفيا داخل سيارة محمد دهيم الفيات ٦٠٠ وأنهم حضروا إليَّ ليبلغوني بتقرير مفتش مباحث أمن الدولة في الاجتماع الموسع الذي انتهي توا بمبنى الاتحاد الاشتراكي، والذي قال فيه : إنني المحرك الفعلي لكل هذه المظاهرات وإنني أنا الذي أستطيع أن أنهيها كما أشعلتها . قال لي الاثنان ذلك من منطلق صداقتهم لي وحرصهم على سلامتي . ورتبوا لي لقاء مع محمد عثمان حوالي الثانية صباحا . دار حوار بيني وبينه استعرضنا فيه معا تاريخ الحركة الوطنية المصرية وأكدت أنا فيه على أن الحركة الطلابية هي الآن التعبير الوحيد ضد الاحتلال وبالتالي لا يجب القضاء عليها غير أنه أصر على أن هؤلاء الطلاب عملاء وعلينا أن نتخلى عنهم وطلبت منه أن يثبت لي ذلك وأنا سوف أكون أول من يتخلي عنهم وطالما لا يستطيع إثبات ما يدعيه، فالواجب يحتم علينا كأساتذة لهم أن نقف بجانبهم ننصحهم وندافع عنهم .لم يثبت بالطبع اتهامه للطلاب بالعمالة وتذرع في ذلك بالسرية التي تمنعه من التصريح بما لديه من معلومات في هذا الشان.ذهبت في الصباح ، وقابلت المستشار مصطفى سليم محافظ أسيوط وكان يجلس بصحبة المستشار عيسى عبد العظيم المحامى العام ومحمود البكري رئيس النيابة، و أخبرتهم بما يدور من حولي من شائعات، وشعوري بأنهم يرغبون في إلقاء المسؤولية على نظرا لما أتمتع به من شعبية بين الطلاب . هنا التقط المستشار مصطفى سليم طرف الحديث وقال لي: ياريت إذا كنت تقدر على تهدئة هذا الموقف ألا تدخر وسعا في

سبيل ذلك، وطمأنني بقوله إنني أرجو منك ذلك في وجود كل من المستشار عيسى عبد العظيم ومحمود البكري وهم شهود على ما طلبته منك .

اشترطت عليهم لكي أقوم بهذا الدور أن نشكل لجنة لمواصلة الحركة الطلابية تكون من مهامها حضور التحقيقات التي تجريها النيابة مع الطلاب، وتقوم بتوكيل المحامين لهم بمعني أن تتبع الحركة الطلابية أسلوبا سلميا في التعبير عن نفسها، وأن تقوم جهات التحقيق هي الأخرى من ناحيتها، باتباع الأسلوب الحضاري والقانوني في التعامل معهم .

تبين لي فيما بعد أن المظاهرات الطلابية التي عمت أنحاء البلاد لم تكن سوى عملية جراحية قام بها النظام تبرر له القبض على جميع اليساريين والناصريين، أي المناوئين لسياسة السادات لتتمكن بعد ذلك الجماعات الإسلامية من النزول إلى الميدان واعتلاء خشبة المسرح في كل مكان .

قام النظام بتنفيذ هذه الفكرة الجهنمية لأن السادات لأمر ما كان على عجلة من أمره . كان يرغب في إعادة ترتيب الجبهة الداخلية على وجه السرعة، ولم يجد أمامة بدا من إشعال فتيل المظاهرات حتى يتم إزاحة المقاومين له من فوق خشبه المسرح واعتلاء الجماعات الإسلامية مكانهم . مرة أخرى يضرب السادات المصلحة العليا للبلاد من أجل نزواته فهل هناك تهريج أكثر من ذلك وتلفيق وجود تنظيم يعمل على نشر الشيوعية، في وقت ليس لدينا فيه من يزودنا بالسلاح اللازم لتحرير أراضينا سوى الاتحاد السوفييتي؟!

من هنا كان من المنطقي بعد أن قام السادات بكل ما يسيء إلى العلاقات المصرية السوفيتية وما ترتب على ذلك من آثار أن يُصدر قرارا بطرد الخبراء الروس الذين كان يقدر عددهم في ذلك الوقت بسبعة عشر ألف خبير معظمهم كانوا يخدمون في

صفوف القوات المسلحة المصرية .

خلع المستشار مصطفي سليم وتعيين محمد عثمان محافظا لأسيوط :

كان من الواضح أن محمد عثمان كان له دور بارز في الأحداث. من هنا كان حريصا على حضور المؤتمر الذي دعا إليه مجلس إدارة نادى هيئة التدريس بالجامعة ليعلن فيه تضامنه مع الطلاب واستنكاره للاعتداء عليهم وعلى دخول رجال الشرطة الحرم الجامعي والقبض على الطلاب دون تصريح من الجامعة. أجمع الحاضرون من أعضاء هيئة التدريس على مطالبة رجال الأمن بسرعة الإفراج عن الطلاب الذين تم القبض عليهم من داخل الحرم الجامعي. حضر المؤتمر المستشار مصطفي سليم محافظ أسيوط، وجميع القيادات الأمنية والسياسية في المحافظة وجلس محمد عثمان إسماعيل على المنصة بجوار المحافظ، وكان بالطبع يدافع عن كل ما قام به رجال الأمن من تجاوزات بما في ذلك القبض على الطلاب والاعتداء على الحرم الجامعي شهد المؤتمر المساجلة التي دارت بيني وبينه حول مشروعية القبض على الطلاب داخل الحرم الجامعي ووجوب الإفراج الفوري عنهم حيث كما ذكرت أن ما بني على الباطل فهو باطل . تحدث المستشار مصطفي سليم، وأشار في حديثه إلى الدور الإيجابي الذي يقوم به أعضاء هيئة التدريس تجاه المجتمع وذكر على سبيل المثال الدراسات التي قمت بها للمحافظة في هذا الشأن . فوجئ رجال الأمن بما قاله المحافظ غير أن هذه المفاجأة من ناحية أخرى قد أثلجت صدر كل من محمد عثمان، والعميد عبد المنعم عوض مفتش مباحث أمن الدولة . كان كل منهما يحتفظ للآخر بالود والحنين إلى الماضي القريب عندما كان محمد عثمان أمينا للاتحاد الاشتراكي في أسيوط . كانت تجمعهما الصداقة والمصالح. لذا عمل عبد المنعم عوض على عودة محمد عثمان إلى أسيوط لكن هذه المرة في منصب المحافظ حتى لو

كان ذلك على جثة المستشار مصطفي سليم الذي اعتكف في منزله بالإسكندرية من هول المفاجأة . حدث ذلك خلال شهور أبريل / مايو ١٩٧٣ . وصل محمد عثمان إلى أسيوط واحتل المنصب الذي كان يحلم به ويسعي إليه ولم ينس كل من ساعدوه وأيدوه ، ولم ينس كذلك لي أنني كنت من ألد خصومه منذ أن كان أمينا للاتحاد الاشتراكي وإنني رفضت مساعدته في نشر الجماعات الإسلامية وقلت لمن وسطهم في هذا الأمر: « إن محمد عثمان ليس هو هذا الشخص المسلم الذي أضع يدي في يده » ومن المؤكد أنهم أبلغوه . كما أنني عارضته في لقاءاتي الأخيرة في أسيوط في موقفه من الطلاب وتأييده للقبض عليهم . ازدهرت حركة اعتقال الطلاب بقدومه .

تابعت التحقيقات التي بدأتها النيابة مع بعض من تم القبض عليهم . استشعرت الخطر المحدق بي في حالة استدعاء خالد عودة للشهادة، وبالذات وأنه كان من المقربين لمحمد عثمان . اتصلت بخالد عودة وأكدت عليه أن يبلغني في حالة استدعائه للإدلاء بأقواله في النيابة . وحرصت على توصيله بسيارتي عند ذهابه وتعمدت أن أقول له قبل مغادرته السيارة « يا خالد أنا وأنت مختلفان في الرأي لكن الحرية في مصلحتنا إحنا الاثنين ، لذا أرجو ألا تستجيب للضغط والإغراء وتقول الكلام اللي يرضيهم وأرجوك ألا تضطرني أنا الآخر أن أقول كلاما أنا لا أريد أن أقوله وترك خالد السيارة واتجه إلى سراي النيابة . من المحتمل أن يكون قد خمن إنني من الممكن أن أفشي سر اجتماعاتنا أنا وهو وحامد عجينه ودهيم بغرض تسهيل مهمة الجماعات الدينية في الجامعة .

غير أن ما لم يعرفه خالد أن ذلك الأمر كان من المستحيل على أن أقوم به وبالذات أنه كان من الممكن أن يلحق الأذى بالدكتور محمد دهيم، وهو من كنت أكن له، ولعائلته كل الحب والتقدير. غير أن ما كنت ألمح به ولم يعيه هو شيء آخر سوف يأتي الحديث عنه بعد ذلك .

الالتهاب الكبدي الوبائي :

كانت زوجتي طالبة بالصف الثاني بحقوق عين شمس . كانت مطالبة بخوض الامتحانات في ثلاث مواد فقط سافرت معها إلى القاهرة حيث أقامت في منزل والدها للاستعداد للامتحانات الثلاثة. كان يفصل الامتحان الثالث عن الثاني فترة تزيد عن عشرة أيام .

لذا كان هناك تفكير في حضورها إلى أسيوط بعد انتهاء امتحان المادة الثانية. عدت إلى القاهرة وأقمت بمفردي في الشقة الواسعة غير إنني شعرت بتعب وضعف وبأعراض شبيهة بأعراض الأنفلونزا، فضلت زيارة الطبيب نظرا لاستمرار الأعراض لفترة أطول من فترة الأنفلونزا .

اكتشف الطبيب أنني أعاني من الإلتهاب الكبدي الوبائي . كان هذا المرض منتشرا في هذه الفترة في أسيوط ولم يكن معروفا لنا من قبل وكانت نصيحة الطبيب لي هي الالتزام بالراحة التامة بمعني عدم التحرك إلا للذهاب إلى الحمام مع اتباع نظام غذائي خاص وإجراء تحاليل لوظائف الكبد بصفة مستمرة ومنتظمة .هذا ومن الجدير بالذكر أن الدكتور فتح الله الشيخ قد تجنب خلال هذه الفترة زيارتي ، رغم إنني أرسلت البواب في طلبه أكثر من مرة ورغم أنه كان يقيم في العمارة المجاورة .

كنت أري إننا لابد أن نلتقي ونتحدث وفي أقرب وقت وبالذات، وأن كل منا كان يتوقع استدعاءه للإدلاء بأقواله أمام النيابة العامة في أي وقت ويفضل أن نتفق فيما بيننا قبل الإدلاء بأقوالنا غير أنه قد استمر في رفضه وقال لي في التليفون : « أنا عارف ما سوف أقوله » .

***

مديرية الصحة بأسيوط
المعمل المشترك

LIVER FUNCTION TESTS

اســم المريض : [illegible]

الجهه الراسله [illegible] عنبر ——— سرير ———

التاريخ : ٢٤/٥/١٩٧٧

Icterus Index	—	Units
Van den Bergh Reaction		
Serum Bilirubin (Total)	٢,٥	mg %
(direct)	—	mg %
(indirect)	—	
Plasma Proteins (Total)	—	G %
(Albumin)	—	G %
(Globulin)	—	G %
(A / G)		
ALK. Phosphatase	٦,٦	K. A. U. / 100 ML
Zinc Sulphate Turbidity	—	Units
Thymol / Turbidity		Units
S. G. O. T	المصل غير رائق	units
S. G. P. T	٤٠	units 30 - 32

التاريخ ٢٤/٥/١٩٧٧ مدير المعمل

لم أفكـر في اسـتدعاء زوجتـي لتكـون بجـانبي وأنـا أمـر بهـذه الظـروف، كـان في استدعائها ضياع سنة دراسية عليها. ساعدني النقيب مهندس زكريـا عبـد الوهـاب الذي أقوم بالإشراف على رسالته في الخروج من هذا المأزق . أعطيتـه مفتـاح الشـقة وسلمه هو لأحد جنود المراسلة التابعين له والـذي كـان يحضر لي الوجبـات الـثلاث يوميا من ميز الضباط ويقـوم برعـايتي ويقـوم بطلبـاتي . كـما كـان يحضر ممـرض مـن معمل الوحدة ليأخذ عينة من الدم لتحديد وظائف الكبد . استمرت هذه الخدمات

طوال فترة امتحانات زوجتي وإلي أن انتهت من المادة الثانية . ولم يبق أمامها سوى الامتحان الأخير وهو بعد حوالي عشرة أيام . طلبت من زوجتي الحضور دون أن أخبرها عن مرضي وقررت أن أكون بنفسي في استقبالها في المحطة رغم خطورة ذلك حرصا مني على راحتها وسعادتها . ونحن في طريق عودتنا من المحطة لمحنا محمد عثمان بسيارته، كان ذلك يوم الخميس الموافق ٣١/ ٥. وفي صباح اليوم التالي فوجئت بزيارة اثنين من ضباط أمن الدولة الرائد إبراهيم سرحان، والنقيب صلاح الشريف ودار بيننا حديث ودى، وشربا خلاله الكركديه المثلج وبعد أن انتهينا من شربه طلبا مني مصاحبتهما لأخذ أقوالي في موضوع المظاهرات بعد أن أكدا لي- حين سألتهم - بأنني سوف أعود قبل صلاة الجمعة . غير أنني لم أتمكن من العودة إلى منزلي إلا يوم ١٥ سبتمبر ١٩٧٣م ، يوم خروجي من السجن . عادت زوجتي إلى القاهرة في نفس اليوم الذي تم التحفظ على فيه في مقر أمن الدولة في أسيوط . وقام صديقي الدكتور محمود راضي بتوصيلها إلى المحطة ليستقبلها أهلها في محطة القاهرة ودموعها ما تزال تنهمر من فرط الحزن والألم والحسرة .

التحقيق :

كان يحيي نور هو وكيل النيابة المنوط به التحقيق . كان يحضر التحقيق في كل مرة واحد من ضباط أمن الدولة . كان يحيي نور عريسًا جديدًا تملؤه الرغبة في العودة إلى عش الزوجية بالإسكندرية الأمر الذي وعدوه به فور انتهائه من التحقيق في هذه القضية . التقيت أنا ويحيي نور من قبل في عدد من المناسبات وكانت علاقتنا من الممكن أن تتطور إلى صداقة لولا ما طرأ عليها من ظروف . تعددت جلسات التحقيق واستغرقت كل منها العديد من الساعات . فوجئت أثناء التحقيق بما ورد في أقوال خالد عودة رغم تحذيري له . كان من بين ما قاله ما يلي :

أنه شاهدني وأنا أحيل الجامعة إلى ساحة قتال .

أنه شاهدني وأنا أنقل الطلاب بسيارتي ومعهم قنابل المولوتوف .

أنه حضر أحد الاجتماعات التي اعتدت عقدها في منزلي والتي أدعو فيها إلى الإلحاد وشاهد وجود الدكتور مختار عوف .

كل هذه الاتهامات غير صحيحة بما في ذلك الاتهام الذي كان من الممكن أن يكون مختار عوف وزوجته من ضحاياه . حيث أن الاجتماع الذي يدعى حضوره لم يكن سوى زيارة عائلية قام بها مختار عوف وزوجته وجلسنا نحن الرجال في حجرة المكتب نتبادل الحديث والقفشات. غير أنه من الواضح أن التعليمات التي قد صدرت لخالد عوده هي أن يثبت عليَّ تهمة قيادة المظاهرات والدعوة إلى الشيوعية والإلحاد .

سألني يحيي نور بعد أن تلا على كل الاتهامات التي وردت على لسان خالد عوده عن مدى معرفتي بخالد عودة ؟ ذكرت في إجابتي الحقيقة وهي إنني وخالد أكثر من أصدقاء وعلاقتنا مستمرة منذ الستينيات . يدخل بيتي وأدخل بيته وصداقتنا على المستويين الشخصي والعائلي . هنا وجد يحيي نور أنه قد عثر على ضالته وحان له توجيه الضربة القاضية، فوجه لي السؤال القنبلة الذي يوجهونه للمتهمين في هذه الحالة « إذن كيف تفسر والأمر كذلك اتهام خالد عوده لك ......» لم يدر يحيي نور أنه بسؤاله هذا قد أعطاني طوق النجاة، وأنه قد سدد الضربة القاضية لنفسه وليس لي وذلك لأنني استبحت لنفسي أن أقول ما لم أكن أرغب في قوله وفاجأته بقولي: « إن تفسيري ذلك هو أن خالد عوده قد أضمر في داخله شرا لي بعد أن ألغيت مشروع مصاهرتي له عندما لجأ أخوه فيصل للمخابرات الأمريكية للعمل معها ضد مصر » فقد يحيي نور أعصابه عند سماعه هذا الكلام وحطم قلمه وألقاه على

الأرض وانفجر في الصياح « أنت لم تقل لي ذلك في البداية !» :قلت « وأنت لم تسألني هذا السؤال في البداية » .

كان فتح الله الشيخ هو الآخر قد أدلي بأقواله. وكان أن أقرّ واعترف في أقواله بأنه يعتنق الشيوعية . غير أنه بكل أسف عندما سأله يحيي نور عن الشخص الذي تأثر به عند اعتناقه للشيوعية قال فتح الله الشيخ أنه تأثر في ذلك بالدكتور السيد عبد الرسول كان فتح الله الشيخ يعلم جيدا بأن اعتناق الشيوعية لا يعتبر في حد ذاته تهمة تضع صاحبها تحت طائلة القانون، إنما التهمة تكون في الترويج للشيوعية. من هنا، كان فتح الله الشيخ هو الوحيد من بين ما يزيد على السبعين متهما الذي ألصق بي هذه التهمة حين ذكر في أقواله أنه قد تأثر بي حين اعتنق الشيوعية . سألني يحيي نور عن رأيي فيما ورد على لسان فتح الله الشيخ وأنه قد تأثر بي في اعتناق الشيوعية. كانت إجابتي على سؤال يحيي نور علمية ومنطقية حيث قلت : « إنني لست في استطاعتي منع أي شخص من التأثر بي غير أن ما يدهشني أنه خصني وحدي بذلك في الوقت الذي يعرف هو فيه بعض كبار الشيوعيين، ومنهم على وجه الخصوص والد زوجته الروسية، والذي أعلم أنه من قيادات الحزب الشيوعي في روسيا ».

خرجت من هذا التحقيق مصدوما في كل من خالد عودة وفتح الله الشيخ . مصدوما في الشخص الذي باعني رغم حبي وصداقتي له وتعاطفي مع عائلته، ومصدوما في الشخص الذي اعتبرته إلى هذه اللحظة صديق العمر . كما خرجت أيضا بحقيقة تعجبت لها وهي كيف أن كل من الشامي والمغربي قد اتحدا معا في تلفيق الاتهامات ضدي. من هنا تبين لي أن أمن الدولة التي وقع عليها عبء تنفيذ سيناريو المظاهرات توطئة للقبض على كل اليساريين والناصريين تمهيدا لاعتلاء

أعضاء الجماعات الإسلامية خشبه المسرح والسيطرة على الجبهة الداخلية قد وقع اختيارهم عليَّ لأكون أنا المسؤول الأول عن هذه المظاهرات، ورئيسا لتنظيم سري للعمل على تغيير نظام الحكم والترويج للشيوعية . ويبدو أن مخطط أمن الدولة هذا كان معروفا لدى البعض وهذا يفسر لي ما قام به كل من خالد عودة وفتح الله الشيخ عندما تطوعا بتقديم المبررات في أقوالهما التي تحتاج إليها النيابة لاستكمال المخطط الذي وضعته أمن الدولة وبالذات بعد أن أصبح محمد عثمان محافظا لأسيوط. هذا ومن الجدير بالذكر أنني قد اعترفت في أقوالي برغبتي في تغيير نظام الحكم وإنني اعتبر ذلك عملا مشروعا للمواطنين بشرط أن يتبعوا الأسلوب السلمي في سبيل تحقيق ذلك . وشبهت نفسي فى التحقيق كمن كان يشرب اللبن من زجاجة يداريها عن أعين الناس، فظنوا أن بها خمرا . أما نشري للشيوعية فهذا هو المستحيل بعينه لأنني أكره كل الأفكار التي تنادي بالديكتاتورية فما بالنا بديكتاتورية البروليتاريا. تضمَّنَ التحقيق أيضا بعض الأسئلة عن علاقتي بالقوات المسلحة في أسيوط نظرا لما قاموا به تجاهي من خدمات إنسانية، ويبدو أن كل من أمن الدولة والنيابة قد انتهوا إلى عدم وجود علاقة لهم بالتنظيم وأن ما قاموا به تجاهي لم يكن سوى موقف إنساني من تلميذ تجاه أستاذه .

في نهاية التحقيق معي وجهت النيابة إليَّ تسعة وعشرين اتهاما أهمها قتل العقيد عبد العزيز حبيب مدير المباحث الجنائية في أسيوط . وأصبحت المتهم الأول في القضية رقم ٥٠٢ أمن دولة ١٩٧٣م . وقاموا بالتحفظ على في مقر مباحث أمن الدولة في أسيوط لحين ترحيلي إلى السجن لأنضم إلى باقي المتهمين .

العقيد فتحي قته :

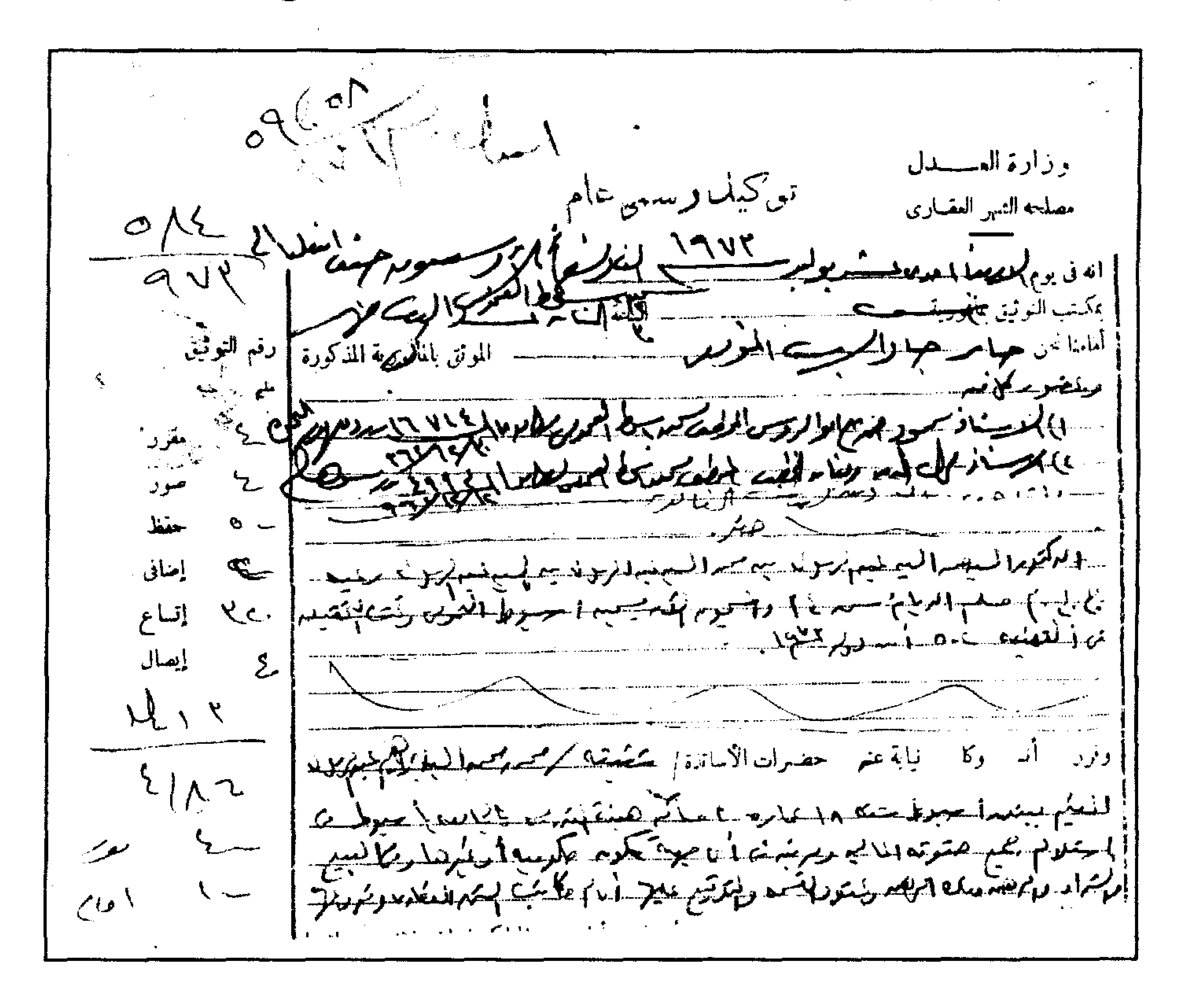
من المصادفات غير السعيدة في هذه القضية أن معظم المشتركين فيها سواء من

رجال أمن الدولة أو النيابة أو شهود زور أو متهمين أو محامين كانوا على معرفة سابقة ببعض . كانت هذه العلاقة تصل بيني وبين بعضهم إلى حد الصداقة، لذا لم يكن مستغربا أن أقدم مشروب الكركديه المثلج إلى ضباط الشرطة الذين فاجأوني بزيارتهم صباح الجمعة، بينما كانت نيتهم هي القبض على واحتجازي في مقرهم .

كنت أقضي معظم الوقت خلال احتجازي في مبني أمن الدولة، إما في القراءة أو في الحديث مع النقيب صلاح الشريف، والملازم محمد عبد السلام اللذين رافقا عميد الكلية الدكتور عمر الخطاب أثناء انتقاله إلى منزلي لاستلام أوراق الامتحانات من زوجتي . جاء بعدها النقيب صلاح ليبلغني الرسالة الشفهية التي وقع اختيار زوجتي عليه لينقلها لي . كاد أن ينفجر من الضحك وهو ينقل لي رسالة زوجتي حيث أوصته بتحذيري أن أعترف حيث أن الاعتراف كما درست في الكلية هو سيد الأدلة . كانت زوجتي بعد طالبة في كلية الحقوق، وأرادت أن تساعدني في محنتي فكانت أن أرسلت لي هذه النصيحة مع أحد ضباط أمن الدولة . غير أن ما أحزنني كان ما أعلنه عميد الكلية، وهو واقف عند باب شقتي وبأعلى صوته يشهد الجميع وبقول : « أنا أول مرة آجى هذه الشقة » .

يبدو أن قضيتي كانت معروفة في أسيوط . وكان الناس يتناقلونها فيما بينهم حتى وصلت إلى شركة مقار وكيل شركة النصر للسيارات في أسيوط . لذا فاجأني النقيب صلاح الشريف في أحد الأيام بسؤاله « ماذا تريد أن تفعله بالسيارة ؟» كان التوكيل على ما يبدوا قد اتصل بهم وأخبرهم بأن سيارتي جاهزة على الاستلام، وهم محتارون ويبحثون عن وسيلة للانتهاء من هذا الأمر . حضر الموظف المختص من الشركة إلى مقر أمن الدولة، وسلمني السيارة وقامت أمن الدولة مشكورة بتوصيلها إلى مساكن أعضاء هيئة التدريس حيث أقيم في العمارة (أ) . أصبح لدي

بعد الآن سيارتان من المقرر أن تنقل ملكية السيارة الجديدة إلى الدكتور عبد الحليم الذي قام بدفع ثمنها قبل سفره إلى الإسكندرية . وقمت وأنا في أمن الدولة بتحرير توكيل رسمي عام لأخي ليعطيه حق التصرف في السيارة وبالطبع في أشياء أخرى .



وزارة العدل
مصلحة الشهر العقاري

توكيل رسمي عام

انه في يوم ... ١٩٧٣
بمكتب التوثيق
أمامنا نحن ... الموثق بالمأمورية المذكورة
رقم التوثيق
مقرر
صور
حفظ
إضافي
إتساع
إيصال
وقرر أنه وكل نيابة عنه حضرات الأساتذة

حضر من القاهرة العقيد فتحي قتة في زيارة لمباحث أمن الدولة في أسيوط ، أو هكذا بدا لي. غير إنني علمت فيما بعد أن السبب الحقيقي لقدومه هو للتعرف علَّ وعلي أفكاري قبل ترحيلي إلى السجن. تحدثنا في كافة المواضيع كان المعنى الرئيسي الذي قصدته في حديثي هو توضيح خطورة الموقف بالذات وإنني أري أن المخابرات المصرية وجهاز أمن الدولة قد تم اختراقها بواسطة المخابرات المركزية والموساد. كان يستمع إلى حديثي هذا ويبدو عليه الموافقة لدرجة أنني صدقته

وأكدت ضرورة أن يبلغ رؤساءه حتى يتخذوا التدابير اللازمة في هذا الشأن. كان أقوى دليل أبرزته له هو ما يحدث معي حاليا حيث أن أجهزة الأمن في مصر تعلم جيدا إنني لست شيوعيا بل أنا من المعادين للشيوعية، وتعلم أجهزة الدولة أنني كنت أستاذا في أمريكا ورغم ذلك حضرت لأكون مدرسا لأقوم بخدمة بلادي أثناء محنتها وإنني قد تبرعت بمرتبي أثناء وجودي في أمريكا. من هنا فأنا أتساءل من هو صاحب المصلحة في تلفيق هذه الاتهامات وحرمان البلد من خدماتي. إن الإجابة الوحيدة على هذا التساؤل هي أن أصحاب المصلحة، إما أن تكون المخابرات المركزية أو الموساد أو الاثنين معا. كان فتحي قتة ينصت إلى مبديا علامات تنم على موافقته على كلامي . وأصبحنا أصدقاء بعد أن أكد لي صدق مشاعره، وأنه سوف يقوم بالفعل بتوصيل رأيي ورسالتي إلى رؤسائه في القاهرة .

نقلوني بعد ذلك للإقامة في السجن . كانت جميع الأوراق الدالة على مرضي بالالتهاب الكبدي الوبائي بحوزتي، ومعها تقرير الطبيب المعالج وقدمتها إلى إدارة السجن لتحويلي إلى مستشفي السجن لاستكمال علاجي. غير أنني علمت بعد ذلك أن أمن الدولة قاموا بتمزيق كل الأوراق التي سلمتها لإدارة السجن، وألقوها في سلة المهملات وقالوا حسب ما بلغني: يموت في ستين داهية ! بلغني أيضا أنني قبل انتقالي من مقر أمن الدولة إلى السجن أن العقيد فتحي قته قد ذهب إلى السجن وعاين الزنزانة التي سوف أسجن فيها، واعترض عليها، وطلب زنزانة بمواصفات أخري تكون فتحتها من أعلى يطلقوا عليها الزنزانة الجب ولم يكن في سجن أسيوط زنزانة تنطبق عليها هذه المواصفات . إنني لا أستطيع أن اصف مقدار المرارة التي شعرت بها عند سماعي هذه القصة وبالذات أنني كنت قد صدَّقت ما كان يقوله لي العقيد فتحي قته، وقررت بيني وبين نفسي أن أبحث عنه لو أعطاني الله عمرا

لأسأله من أين تأتي له الاعتقاد بأنني ذلك الخطير الذي يبحث له عن الزنزانة الجب. لم أتوقف عن التفكير في فتحي قته وندمت على إنني قد فتحت قلبي له ووثقت فيه وصارحته برأيي بأن المخابرات المركزية والموساد قد تكونا أصحاب المصلحة الحقيقية في كل ما يحدث حاليا في مصر. وأن جهازى أمن الدولة والمخابرات المصرية قد تم اختراقهما بواسطة هذين الجهازين. أخذت أفكر وأفكر وسؤال يتردد في أذني يقلقني، ولا يفارق ذهني . هل ما ذكرته لفتحي قته هو الذي جعله يعتبرني من الخطرين وبناء عليه حدد أن يكون مصيري هو الزنزانة الجب ؟! وهل يكون فتحي قته قد أستشعر إنني كنت أقصده هو حين ذكرت له أن جهاز أمن الدولة مخترق ولهذا السبب أمر بتمزيق التقارير الطبية التي سلمتها لإدارة السجن لإلحاقي بالمستشفى حيث كنت ما زلت مريضا ولم يتم شفائي وقال لهم: يموت في ستين داهية !! كل هذه الأفكار التي تداعت إلى مخيلتي ولم تفارقني حتى الآن قد جعلتني أكثر تصميما على البحث عنه ومتابعة أخباره ومواجهته .

وقعت عيناى أول مرة وبالصدفة على اسمه في عبارة وردت في مذكرات اللواء فؤاد علام وكيل الإدارة العامة لمباحث أمن الدولة في مصر والمنشورة في مجلة روز اليوسف خلال شهر يوليو ١٩٩٥ . ذكر فؤاد علام في مذكراته أنهم حين تأكدوا من احتمال وقوع محاولة اغتيال الرئيس السادات أثناء حضوره العرض العسكري في أكتوبر ١٩٨١ ، كلفت الإدارة اللواء فتحي قته بتوصيل رسالة إلى الوزير النبوي إسماعيل في موقع العرض العسكري تحذره من وقوع عملية الاغتيال أثناء العرض العسكري . غير أن اللواء فتحي قته عاد لهم بخفي حنين معربا عن فشله في توصيل الرسالة للنبوي إسماعيل . تم اغتيال السادات أثناء حضوره العرض العسكري بواسطة بعض أفراد من الجماعات الإسلامية التي أسسها .

كانت المرة الثانية التي وقعت فيها عيناي على اسمه كانت حين قرأت إعلانا منشورا بجريدة الأهرام حول نشاط شركة الفرسان للعقارات ورئيسها هو اللواء فتحي قته الذي أصبح على ما يبدوا من أصحاب الملايين!!

أخر حلقات المعجزة الرابعة :

قد يتذكر القارئ حديثي عن المعجزات الأولي والثانية والثالثة الوارد ذكرها في الفصل الخامس من هذا الكتاب من هنا تكون هذه المعجزة هي الرابعة بين المعجزات التي خصني بها الله، والتي لولاها لما حققت ما حققته ولما وصلت إلى ما وصلت إليه ولا تمكنت من المحافظة على كرامتي وكرامة أسرتي . فقد أدت المعجزة الرابعة إلى وجود رصيد لدي من المال يكفي أسرتي طوال فترة بقائي في السجن . وقد أكرمني الله سبحانه وتعالي بأن يستمر صرف مرتبي كذلك طوال فترة السجن، ومن هنا أصبح لدي ما يكفيني من مال لأنفقه في عدد من الأوجه الضرورية فأرسلت مبلغا إلى والدتي المكلومة على ما حدث لابنها عسي أن يعمل ذلك على رفع معنوياتها وتبديد بعض الحزن الذي اعتراها . وطلبت من زوجتي أن تقوم بشراء تليفزيون – لم يكن لدينا حتى تاريخه يونيو ١٩٧٣، يعينها إلى حد ما على البقاء في أسيوط، حيث اختارت أن تكون بجانبي خلال مروري بهذه المحنه رغم إلحاحي عليها بأن تعيش مع أسرتها في القاهرة . وبالطبع كانت هناك أتعاب المحاماة ولم يكن في مقدوري أن أتحمل كل هذه الأعباء دون اللجوء إلى الاستدانة لولا حدوث المعجزة الرابعة ودخول مبلغ الألف جنيه في رصيدي في هذا الوقت بالتحديد . ومن المسلم به أن هذا المبلغ لو كان قد دخل رصيدي قبل هذا التاريخ أي قبل دخولي السجن لكان قد تم التصرف فيه بأسلوب آخر وكان سيفقد أهميته ولا تكون هناك معجزة ولا يحزنون . كما أنه لو كان قد وصل بعد خروجي من السجن لحدث كذلك نفس الشيء من هنا فالمعجزة الرابعة تكمن في

وصول مبلغ الألف جنيه ودخوله إلى رصيدي في هذا التوقيت بالتحديد حتى يتم الاستفادة منه في الحفاظ على كرامتي، وكرامة أسرتي ويساعدني في رفع معنويات والدتي وأهلي . إنها رحمة من الله سبحانه وتعالى الذي رحمته فوق كل شيء .

السجن ولياليه :

كنت آخر من وصل من المعتقلين إلى السجن . كان دخولي الزنزانة أول مرة أصعب على نفسي من مواجهه الموت . قلت لنفسي: أأنا من تتنكر له بلاده ويتعرض فيها إلى هذا الموقف؟! كان كل شيء في السجن بعيدا كل البعد عن تصوري وخيالي. ما زلت أذكر كيف دفعني السجان، وهو يدخلني إلى الزنزانة عندما تصلبت قدماي على بابها . ولا يزال صوت المفتاح الذي أداره السجان بقوة في الباب حين هم بغلقه يرن في أذني . ارتميت بعدها على السرير وانهمرت دموعي، وانخرطت في البكاء وأناجي بلادي بتلك الكلمات :

بلادي ... بلادي أنا أحبك يا بلادي

رغم أن الشر يرتع في ثراك

أنا أحبك ... وأنا ... ما زلت أهواك

أعرف أنهم يقتلون الجياد حين تهرم

ويردمون النبع حين ينضب

ويستخدمون الإنسان حيوان تجارب

ذلك كله أعرفه

لكني لم أعرف أبدا شعبا ينسى أمجاد بلاده بمزاجه

ويستبدل أعداءه بأبنائه

ويطبع هذا في عقول أحفاده

هذا جد لم أعرفه

لكنه يحدث .. يحدث فيك يا بلادي

يحدث باسم القانون

يحدث ويقولون أنه من أجلك يا بلادي

وأنا أهذي كالمجنون

كطائر كتب عليه ألا يهبط في عشه لحظة

وأتمتم بالكلمات

بلادي ... بلادي أنا أحبك يا بلادي

رغم أن الشر يرتع في ثراك . أنا احبك ... وأنا ما زلت أهواك !

كنت في سجن انفرادي أي لم يشاركني في الزنزانة سوى الحشرات والفئران . تعلمت التعامل مع السجانين والمساجين . لم يكن مسموحا للمساجين بالاحتفاظ بأي نقود ، كان كل ما لديهم يوضع في حسابهم في الكانتين غير أن العملة المعتمدة في السجن كانت السجائر من هنا كان على رغم أنني لست مدخنا أن أشتري علب السجائر لأشتري بها كل ما أحتاج إليه من خدمات، على سبيل المثال: كنس وتنظيف الزنزانة ، تركيب مصباح كهربائي ومفتاح بحيث أتحكم في إضاءته وأشياء أخرى كثيرة يصعب على الآن أن أتذكرها . كنا نخرج يوميا في فسحة لمدة نصف ساعة نحتسي فيها الشاي أو نذهب إلى الحلاق أو نتمشى في فناء السجن كان كل منا ينتقي حجرا يجلس عليه أثناء شربه للشاي . كانت إدارة السجن تتعمد أن يكون موعد فسحتنا في غير مواعيد باقي المساجين لعدم الاختلاط معهم أو التأثير عليهم .

بطاقة التعامل مع كانتين السجن

جمعتني الفسحة بزملائي في التنظيم الشيوعي المزعوم، وفي أول فرصة عاتبت فتح الله الشيخ على ما قاله في التحقيق، وكان عتابي له أمام الجميع واعتذر وقال بالحرف الواحد: « عيل وغلط » غفرت له ما اقترفه نحوي من خطيئة غير أن علاقتنا لم تعد كما كانت من قبل ولم أعتبره صديقا لي من بعد ذلك اليوم . وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فقد حاول الدكتور محمد دهيم معي مرارا لأسامح خالد عودة غير إنني أصررت على مقاطعته إلى الآن .

ضم السجن بجانبنا المحكوم عليهم في مختلف القضايا، الثأر والمخدرات والقتل والسرقة وتنتهي بقضايا الدعارة والآداب .وكانت إدارة السجن تطلق علينا سجناء

الرأي وكان المساجين يطلقون علينا سجناء الحركة الوطنية . أما السجانة فكانوا يتعاملون معنا بحرص شديد حيث سبق أن مرَّ عليهم عدد من سجناء الرأي ثم أصبحوا وزراء فيما بعد ومنهم من كان يشغل هذا المنصب في الوزارة الحالية . لذا كانوا يقصدوننا للتوسط في تشغيل أقربائهم أو ما شابه ذلك من خدمات .

كان المساجين يرسلون لنا تحياتهم كل مساء . لم يكن مسموحا لهم بالحديث معنا أو حتى رؤيتنا فكانوا ينتظرون قدوم المساء والزنازين مقفولة، ويرسلون لنا تأييدهم و تحياتهم وكانوا يرددون كلاما منظوما على هيئة أغنية جماعية يقولون فيها :

واحد يا موحد الواحد ، اتنين سيدنا الحسن والحسين ، ثلاثة والله العظيم ثلاثة ، أربعة قعدتنا حلوة مربعة ، خمسه خمسة وخمسين صلي على النبي ، ستة يا ست أم هاشم ، سبعة أولاد النبي سبعة ، ثمانية ....

كنت أسمع منهم هذه الأغنية كل مساء . وفي الصباح كانت أوامر إدارة السجن أن يفتحوا علينا الزنازين قبل المساجين بنصف ساعة، حتى نتمكن من الدخول إلى الحمامات بسرعة قبلهم، حيث إن الدخول معهم هو من سابع المستحيلات وكان هذا الإجراء يعتبر من علامات التكريم لنا .

عرفت في السجن قيمة أشياء كثيرة لم أكن أشعر بقيمتها من قبل . عرفت قيمة الكرسي ، عرفت قيمة المصباح الكهربائي وقيمة التحكم في إشعاله وإطفائه ، عرفت قيمة الراديو ، عرفت قيمة كوب الشاي أو القهوة عندما تطلبها . حتى الأسفلت عرفت قيمة رؤيته . كنت أقضي كل وقتي وأنا في الزنزانة في القراءة كانت مكتبة السجن عامرة ببعض الكتب التي آنستني فى وحدتي .

كنت أعامل ملكيا بمعني أنني كنت أدفع إيجارا عن الزنزانة وكان الطعام يصلني عن طريق المتعهد المتعاقد مع السجن يوميا كما كانت غياراتي تصلني أيضا عن

طريق نفس المتعهد . أذكر أننا في أحد الأيام بينما كنا في الفسحة وكل منا ممسكا بكوب الشاي وجالسين على إحدى الأحجار المترامية في فناء السجن أن سمعنا صوت البروجي وكان ذلك بمثابة إعلان عن مرور مأمور السجن غير إننا لم نكن نعلم أن البرتوكول يقتضي في هذه الحالة وقوفنا فلم نقف وبالتالي خرقنا أحد التعليمات الهامة للسجن مما يعتبر تمردا جماعيا يجب معاقبتنا عليه .

بلغنا أن إدارة السجن تفكر في معاقبتنا وفكرنا في وسيلة تعفينا من هذا العقاب غير أن كل الوسائل لم تكن مقبولة بالنسبة لنا وبالذات وإننا لم نمتنع عن الوقوف ولم يكن ما حدث منا تمردا. غير إننا كنا نعمل حساب معاقبتنا ونخشى أن تقوم إدارة السجن بفتح زنازيننا في نفس الوقت الذي تفتح فيه باقي الزنازين، كان هذا الأمر يؤرقنا ويخيفنا . لم يستمر خوفنا كثيرا لأن إدارة السجن رأت معاقبتنا بأن تكون فسحتنا هي التي في نفس الوقت مع باقي المساجين .

كان هذا الإجراء بمثابة عقاب من وجهة نظر إدارة السجن غير أنه في الحقيقة كان بمثابة مكافأة بالنسبة لنا وللمساجين وحمدا لله على أنه ألهم إدارة السجن، باتخاذ هذا الإجراء لمعاقبتنا غير أن هذه العقوبة لم تستمر طويلا إذ سرعان ما تدخلت أمن الدولة وألغتها، وعلى ما يبدو أنهم قد وضَّحوا لمأمور السجن ما وقع فيه من خطأ حين سمح باختلاط سجناء الرأي مع باقي المساجين . ومن المؤكد أن المأمور قد حمد ربنا على أنها جت على كده .

استفدت شخصيا من هذا العقاب الذي أتاح لي فرصة الالتقاء مع المسجونين في مختلف القضايا وبالذات في قضايا الثأر . كان موضوع الثأر المنتشر في وجه قبلي يشغلني، ووجدتها فرصة للاستفادة من وجودي بين هؤلاء المساجين وقمت بإجراء بحث عن الثأر وقمت بكتابة مقال عنوانه: « حتى لا يكون هناك بدوي آخر » :

حتى لا يكون هناك بدويٌ أخر

بقلم : الدكتور/ السيد محمد عبد الرسول

إن من يخدم إحدى الأقليات المتميزة في أي مكان في العالم يكون قد خدم كافة الأقليات المتميزة في جميع أنحاء العالم .وإن من يوافق على أن يكون في خدمة الأقلية المتميزة في وطنه إنما يكون قد اختار لأهله نفس مصير الهنود الحمر .

أجمع المختصون على أن قضايا الثأر ليست سوى ثمرة من ثمار الصراع الطبقي الذي بدأ مع ظهور أول مجموعة من الأفراد، رغبوا في الاستئثار بمزايا ومكاسب دون الآخرين، واستخدموا في ذلك كافة السبل غير المشروعة . وأصبحوا نتيجة لذلك أقلية متميزة في المجتمع الذي يعيشون فيه وسط أغلبية ساحقة من المعدمين وعندما يدين هؤلاء الأفراد بدين يختلف عن الدين الذي يؤمن به الأغلبية فإن هذه الأقلية المتميزة من الأفراد يكونون قد عثروا على قناع يخفون وراءه أطماعهم ودرع يحمي لهم مكاسبهم وبالذات عندما تتضمن عقيدة الأغلبية بعض النصوص التي تحقق لهم ذلك . غير أن هذا القناع لا يمكن استخدامه إلى الأبد دون أن تنكشف حقيقتهم إذ لا بد أن يصل الظلم الواقع على الأغلبية المطحونة حدا يهون عنده إعادة النظر في تلك النصوص وعند ذلك تسقط جميع الأقنعة، ويصبح رد الحقوق لأصحابها أمر لا مفر منه . لذا عملت هذه الأقلية فكرها وقدحت ذهنها من أجل التوصل إلى حيلة تضمن لأفرادها الأمن والأمان وليستغنوا عن هذا القناع الزائل يوما ما والذي اضطروا إلى ارتدائه في بداية الأمر . واهتدوا إلى فكرة ذكية وهي أن تستجير كل عائلة منهم بإحدى العائلات القوية من الأغلبية، وأطلقوا على كبيرها لقب البدوي . ولم تقتصر مهمة البدوي – الذي يجتهدون في اختياره – على حماية العائلة التي استجارت به بل تتعداها إلى ما هو أخطر إذ تصل إلى حد البطش بكل من

تسول له نفسه الاعتداء على أي من ممتلكات الأسرة المستجيرة – ونتيجة لذلك ونتيجة للفتنة التي أحدثها الأقلية المتميزة بين هؤلاء البدو نجد أنفسنا الآن أمام سلسلة من الاعتداءات الواقعة بين عائلات الأغلبية وهي سلسلة الجرائم المعروفة بالثأر .

إن فكرة البدوي التي اهتدت إليها الأقليات المتميزة في قرى ونجوع مصر لم تتم بمعزل عن باقي الأقليات المماثلة والمتناثرة في مختلف أنحاء العالم والتي كان لديها هي الأخرى أفكارها . بل من الطبيعي أن تتبادل هذه الأقليات الرأي والمشورة وتعقد لذلك اللقاءات والمؤتمرات المغلقة بغرض التوصل إلى أفكار تحقق لها الانتصار ولا نستبعد أن يصل التماثل بين هذه الأفكار إلى حد التطابق . ومن الجدير بالذكر أن ما حدث في فلسطين وما زال يحدث لا يخرج عن كونه تطبيقًا مباشرًا لفكرة البدوي التي سبق اختبارها والتأكد من نجاحها في قري ونجوع مصر . وعلي سبيل المثال نذكر هنا بعضا مما قام به بعض البدو من العرب لصالح الأقلية المتميزة من اليهود نظير الأوسمة والنياشين وشهادات التقدير والاعتراف بمواهبهم الفذة في كبح جماح شعوبهم .

فقد ذكرت جولدا مائير في مذكراتها أنها عندما أرادت أن تذكر الملك عبد الله – ملك شرق الأردن – بوعده لها كتبت له تعبر عن خوفها فرد عليها معاتبا :

عليك يا سيدة مائير أن تتذكري ثلاثة أشياء :

إنني بدوي وهذا يعني أنني رجل شريف .

إنني ملك وهذا ما يضاعف شرفي .

إنني لم أحنث قط وعدا قطعته لامرأة .

ومن الملاحظ أنه قدم في رده لقب البدوي على الملك مما يعكس أهمية هذا اللقب عند العرب . ولا أدري لو طال العمر بالملك إلى وقتنا هذا هل كان يضيف لقب ساذج

إلى باقي ألقابه إذ أنه لو لم يكن كذلك لتمكن من اكتشاف الفرق بين البداوة والخيانة .

وكما أن البداوة تورث فإن الاستجارة تورث؛ لذلك نجد أن الملك حسين بن طلال بن عبد الله يواصل التزامه تجاه أبناء عشيرة جولدامائير من أمثال ألون وبيريز وتتوطد معه علاقاتهم إلى الحد الذي يقوم فيه من أجلهم بقتل آلاف الأبرياء من الفلسطينيين ويتفوق في ذلك على جيش الصهاينة رغم تفوق الأخير في العتاد . إن الأقلية المتميزة اليهودية الموجودة في المنطقة العربية تعمل دون هوادة على زيادة عدد الأشخاص المناسبين والذين يجيدون القيام بدور البدوي .

ولا نستبعد كذلك أن تكون محاولة ضرب القوى الوطنية في مصر يقف من وراءها أحد هؤلاء البدو الذين لا يرون الفرق بين البداوة والخيانة . وإنني لأرجو أن يساهم هذا المقال في إلقاء الضوء على موضوع من أخطر المواضيع التي تمس الأمن والأمان في بلادنا وأن يساهم كذلك في إقناع كل من يفكر في القيام بدور البدوي أن يعدل عن تفكيره حرصا على حياة الكثيرين من الشرفاء الذين كرسوا حياتهم من أجل الدفاع عن مصالح الأغلبية من أبناء الشعب العربي، وحتى لا يجد نفسه في النهاية في قفص الخيانة لأن من يوافق على أن يكون في خدمة الأقلية المتميزة في وطنه إنما يكون قد اختار لأهله نفس مصير الهنود الحمر . اللهم إني قد بلغت .... اللهم فاشهد .

***

السيد رئيس جمهورية مصر العربية - القاهرة

" سيدي القائد "

رفضت الأستاذية بأمريكا لأشارك في التحرير والتعمير

لا للتخريب حتى لا يفيد سوى إسرائيل أرجو الإفراج عني لضمان لأثبت

ولائي . تحياتي القلبية بأعياد الثورة .

دكتور السعيد عبد الرسول

أستاذ مساعد بهندسة أسيوط

المتهم في القضية ٥٠٢ أمن دولة

نص البرقية التي أرسلتها لرئيس الجمهورية بمناسبة أعياد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٧٣

جلسات المعارضة في أمر الحبس :

كان يوم خروجنا لحضور جلسات المعارضة يوم عيد . كنت أتأنق وأتزين بحيث أكون في أبهى صورة وأحسن حال . وأتعمد أن يكتسي وجهي بابتسامة عريضة وأن يبدو على ملامحي روح التحدي وقوة العزيمة كان خروجنا فرصة نري فيها الناس والشارع وأقاربي وأقارب الآخرين . كانت رحلتنا من السجن إلى مقر محكمة أسيوط على قصر المسافة، تستغرق بعض الوقت نظرا للقيام ببعض الإجراءات الأمنية . كان كل منا مقيدة يداه بالقيد الحديدى . كان منظر القافلة وهي تسير في طريقها إلى المحكمة، وفي عودتها إلى السجن يوحي بأنهم ينقلون أعتى المجرمين الخطرين على جميع أنواع الأمن . غير أن المواطنين لم يعيشوا في هذا الوهم فكانوا يشيعون السيارات المصفحة بالهتافات والزغاريد . كانت قاعة المحكمة تعج بالحاضرين القادمين من شتي البلاد لرؤية أبنائهم ومتابعة أخبارهم . أذكر أنني في

أول جلسة لي من جلسات المعارضة وكنت قد أعددت نفسي شكلا وموضوعا لحضورها أنني قمت وأنا واقف في القفص بين المتهمين بتوزيع قبلاتي على من أعرفهم من الحاضرين .

اكتشفت أن حامد عجينه المحامي الذي وكلته للدفاع عني، وكان ذلك نزولا على رغبة زوجتي قد قرر أن يدافع عن النظام، ويبرر لهم القيام بسجني. كان حامد عجينه تربطه صداقة قوية بكل من المحافظ محمد عثمان والعميد عبد المنعم عوض مفتش المباحث . كنت أعلم عنه ذلك غير إنني رأيت أن أمنحه مع ذلك فرصة للسبب الذي ذكرته. وتأكد لي عدم صلاحيته حين قال في دفاعه عني أمام هيئة المحكمة من المستشارين « إن الذنب الأكبر يقع على الدولة التي أرسلته في بعثة إلى الاتحاد السوفيتي .... » هنا قررت أن أقوم بتوكيل الأستاذ عاطف الحسيني ليقوم بالدفاع عني دون إلغاء توكيلي له . وكان يحضر الأستاذ فتحي خير المحامي وكيلا عن الأستاذ عاطف الحسيني في معظم الجلسات، وكان يقوم بتنفيذ ما أطلبه منه ويأخذه في الاعتبار في مرافعاته، وتمكنت بذلك من إحداث نوع من التوازن في هيئة الدفاع .

كنت وأنا في الزنزانة دائم التفكير في أقوال السادة المحامين وفي محاولاتهم الصادقة في الدفاع عنا وبذل الجهد في الإلمام بالقضية . عرفت أن أوراق القضية قد زادت عن الألف، وأن المحامين يجدون صعوبة كبيرة في الإطلاع عليها لذا قررت أن أقوم بالدفاع عن نفسي . وفي إحدى جلسات المعارضة طلبت وأنا في قفص الاتهام من هيئة المحكمة أن أدافع عن نفسي. وافقت المحكمة وأعطتني الكلمة اعترى كل الحاضرين بمن فيهم المحامين الوجوم والذهول !

بدأت دفاعي : سيادة الرئيس حضرات المستشارين .

اسمحوا لي أن أدافع عن نفسي وأدرأ جميع الاتهامات الموجهة لي والتي أهمها ما يلي :

أولا : أنا متهم بتأسيس تنظيم من أجل تغيير نظام الحكم والترويج للشيوعية. وأنا لست شيوعيا و أتحدى أن تثبت أمن الدولة إنني كنت منتميا في أي يوم من الأيام إلى أي حزب أو تنظيم شيوعي سواء داخل مصر أو خارجها . ولدينا قاعدة علمية تقول : إن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف يتأتى لي أذن أن أقوم بالترويج للشيوعية وأنا لست شيوعيا .

ثانيا : من الثابت في أوراق القضية أن إدارة الأدلة الجنائية قد أقرت بأن قنابل المولوتوف التي تم ضبطها غير صالحة وبمعني آخر فشنك، وأرى إن اتهامي بصنعها يتضمن الإهانة لي، والتقليل من شأني لأن مثلي يمكنه الاشتراك في صنع قنبلة ذرية وليس قنبلة مولوتوف فشنك . و إن تاريخي العلمي يؤكد لكم ذلك .

ثالثا : إنني متهم بنشر الشيوعية بين شباب الجمعية الشرعية الإسلامية هذا في الوقت الذي دفعتني فيه غيرتي على الإسلام أن أحثهم و أشجعهم على ممارسة الرياضة من هنا كيف يمكن أن تؤدي ممارسة الرياضة البدنية إلى نشر الشيوعية .

رابعا : إنني متهم بإحداث التخريب في مختلف أنحاء الجامعة . وأنا أستاذ في كلية الهندسة فلماذا إذًا لم يحدث أي تخريب في كلية الهندسة .

خامسا : استندت النيابة في اتهاماتها الموجهة لي إلى أقوال الدكتور خالد عودة وأرى أن جميعها ينطبق عليها الشهادة الزور. والدكتور خالد عودة كانت تربطني به علاقة تسمح لنا بتبادل الزيارات المنزلية كما أن الدولة لم تبخل على أجهزتها الأمنية ووفرت لها جميع أجهزة التنصت والتسجيل. من هنا اسمحوا لي أن أتساءل طالما توفر لدى النيابة و أمن الدولة شاهد مثل خالد عودة وتوافرت لديهم أجهزة

التنصت والتسجيل لماذا إذن لم تقدم أمن الدولة أو النيابة أي تسجيلات تدعم بها أي من الاتهامات المزعومة التي وجهتها النيابة لي؟! إن الإجابة على هذا التساؤل يا سيادة المستشارين لا بد أن تكون واضحة وهي أنه لو كانت لديهم بالفعل أي تسجيلات لكانت في مصلحتي، وليست ضدي لأنها كانت ستؤكد لكم مدى إخلاصي ووفائي لبلادي، والتي ضحيت من أجلها بعملي أستاذا في الولايات المتحدة الأمريكية وعدت لأعمل مدرسا في هندسة أسيوط، ولينتهي للأسف بي الحال بالوقوف الآن أمامكم لأدرأ هذه التهم المزورة التي لفقتها لي النيابة و أمن الدولة، وإنني لا يسعني في نهاية دفاعي إلا أن أتوجه لعدالتكم بالشكر على سعة صدركم والاستماع إلى مرافعتي و إنني كلي ثقة في عدالتكم، وفي قراركم بالإفراج عني في أقرب فرصة ممكنة .

أصدرت المحكمة في هذه الجلسة حكمها بالإفراج عني مع تسديد كفالة قدرها خمسون جنيها . كانت قد أصدرت تباعا في الجلسات السابقة أحكاما بالإفراج على جميع المتهمين في القضية ولم يعد غيري محتجزا على ذمة القضية . يبدو أن التقاليد كانت تقتضي أن يكون المتهم الأول هو آخر من يفرج عنهم . هذا ومن المعروف أن أحكام الإفراج التي تصدر عن دوائر أمن الدولة يلزم قانونا عرضها على رئاسة الجمهورية التى لها حق الاعتراض ولها أن ترسل رأيها خلال خمسة عشر يوما من تاريخه، وعادة ما تعقد نفس الدائرة اجتماعا لاحقا تنظر فيه ما يصلها من رئاسة الجمهورية بخصوص قرار الإفراج وتصدر بعدها حكمها النهائي في هذا الشأن . من هنا، ورغم صدور الحكم بالإفراج عني تحتم عليهم إعادتي مرة أخرى إلى السجن انتظارا لرد رئاسة الجمهورية وصدور الحكم النهائي بشأن الإفراج عني من عدمه .

صدور الحكم النهائي بالإفراج مع دفع كفالة قدرها خمسين جنيها :

بعد صدور الحكم أعادوني إلى السجن . كنت واثقا من خلال متابعتي لأحكام الإفراج السابقة عن زملائي بأنني سوف يفرج عني نهائيا بإذن الله في الجلسة القادمة بعد خمسة عشر يوما . لذا كانت تلك الفترة بمثابة أيامي الأخيرة أو أيام وداعي للسجن . ووجدت نفسي منكبا على كتابة « نظرات وداع بالجملة » أكتفى هنا بكتابة مطلعها :

اشتقت لأهل الأرض جميعا في لحظة

لكني نسيت ... أنى مسجون منذ سنين

سجنوني الأسباط في جب سدوا فتحته بالطين

وأمالي لم تتحطم بعد في أن أخرج مرة

لأشاهد أهل الأرض جميعا في لحظة

وقبل أن تنتهي فترة الخمسة عشر يوما فوجئت على غير العادة بمن يفتح الباب الكبير للعنبر، وبالذات إن هذا اليوم كان يصادف يوم الجمعة الموافق ١٤/ ٩. ويوم الجمعة في السجن هو يوم التكدير بالنسبة للمساجين لا يسمح فيه لهم بالفسحة أو الخروج من العنبر من هنا كان فتح باب العنبر، ورصد الخطوات القادمة مع اقترابها من زنزانتي قد زاد من رغبتي ورغبة المساجين في استطلاع الأمر. لم تمر سوى دقائق معدودة لأسمع المفتاح يصارع باب زنزانتي، ويفتحه ليطل منه أحد السجانة ويقول لي : « نائب المأمور طالب يشوفك » .

طبعا أنا ما صدقت فالخروج من العنبر أيام الجمعة يعتبر أملا كبيرا لدي معظم المسجونين . دخلت على نائب المأمور ووجدته مطأطئ الرأس وقال لي : « مبروك !»

كنت أنتظر حادثا سعيدا وأتوقع أن تضع زوجتي أول مولود لنا خلال هذه الأيام . غير إنني لم أفهم سبب الحزن البادي على وجه نائب المأمور حتى قال لي معلهش إنت رزقت بابنة وطلبوا مني في أمن الدولة أن أسألك عن الاسم الذي تختاره لها؟ تذكرت فور سماعي سؤاله القصة التي تعبر عن مدى احترام هتلر لحقوق الإنسان ذلك عندما قام جنوده بالقبض على شقيقين، وحكم عليهما بالإعدام وبعد أن توسلت إليه أمهما أمر بأن تختار الأم أحدهما لتنفيذ فيه الحكم و الإبقاء على الآخر حيا . تذكرت هذه القصة واندهشت من حرص أمن الدولة على احترامها لحقي في اختيار اسم طفلتي! أجبت على نائب المأمور بأنني وزوجتي سبق أن اتفقنا على الأسماء سواء بالنسبة للابن أو الابنة . أراد النائب هو الآخر أن يكون كريما معي وسألني أي خدمة ؟ وانتهزت فرصة كرمه وطلبت منه أن أتصل تليفونيا بزوجتي في المستشفي للاطمئنان عليها . أعتذر النائب، وقال لي لو سمحت لك بذلك سوف يكون مصيري هو الزنزانة اللي جانبك . شكرته وعدت إلى العنبر حيث كان على أن أواجه حب استطلاع المساجين الذين لم يتوقفوا طوال اليوم عن الغناء وإعلان ابتهاجهم لسماع هذا الخبر . كنت مندهشا لخروج كل هذه الأحاسيس الجميلة من مثل هذه الزنازين المغلقة الضيقة والخانقة .

انتقلت في صباح اليوم التالي ١٥/ ٩/ ٧٣م إلى سراي المحكمة للاستماع إلى الحكم النهائي والذي كان منطوقة :« بالاطلاع على اعتراض رئاسة الجمهورية بالإفراج عن ..... قررت المحكمة قبول الاعتراض شكلا ورفضه موضوعا » خرجت من المحكمة وعدت إلى السجن لاستلام كافة متعلقاتى، وانتقلت إلى القسم ثم إلى أمن الدولة حيث التقيت لآخر مرة بالنقيب صلاح الشريف الذي أخذ يعزيني وقال لي: معلهش يا دكتور لكل جواد كبوة غير إني فاجأته بردي عندما أكدت له بأنني عشت

أعظم تجربة في حياتي غير إنني أرجو آلا تتكرر، كما أرجو أن يجربها كل شباب مصر لأن هذه التجربة سوف تكسبهم المناعة اللازمة لمقاومة الاستسلام .

أخيرا وصلت إلى منزلي، وعدت إلى بيتي وزوجتي . كان الجميع في انتظار عودتي يتلهفون على رؤيتي بينما أنا كنت متلهفا على رؤية ابنتي التي اخترت لها اسمها سوزان على اسم زوجتي تقديرا لموقفها معي في محنتي . غنينا جميعا لسوزي في سبوعها أغنية كتبتها لها فور أن وقعت عيناي عليها قلت فيها :-

زي القمر زي القمر

دى سوزي حلوة زي القمر

زي القمر في السما مدور

وش سوزي جميل ومنور

زي القمر زي القمر

يا وردة نادية في بستانا

عطرها مسك وعنبر

يا نبع صافي في جنتنا

وميته شهد مكرر

يا نهر جاري في حياتنا عمال يكبر

زي القمر زي القمر

دى سوزي حلوة زي القمر

هذا وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإن ابنتي الكبرى سوزي على وشك الحصول

على الدكتوراه من المعهد العالى للصحة العامة فى مراقبة الأغذية وهى متزوجة ولها ولدان (محمد وعبد الرحمن) كما أنها عضو باتحاد الكتاب .

تأجيل نظر الدعوى لأجل غير مسمي :

أصدر السادات بصفته رئيسا للجمهورية قرارا بحفظ التحقيق في جميع قضايا المظاهرات الطلابية في كافة المحافظات والجامعات فيما عدا القضية رقم ٥٠٢ لسنة ٧٣م التي تتعلق بمظاهرات أسيوط والتي أنا المتهم الأول فيها .

كان محمد عثمان محافظ أسيوط هو المصدر الرئيسي للمعلومات لدي السادات بخصوص مظاهرات أسيوط من هنا أستثنى السادات أسيوط من قراره وتم إحالة القضية رقم ٥٠٢ لسنة ٧٣م إلى محكمة أمن الدولة العليا. ظل السادات فيما بعد يكرر في حديثه ما حدث في أسيوط وما كان يريد على حد قوله الواد بتاع أسيوط أن يقوم به. غير أنه كان من الواضح أن المظاهرات الطلابية المتعلقة التي عمت الجامعات في وقت واحد والتي أشرفت أجهزة أمن الدولة على إخراجها قد أتت ثمارها حيث أتاحت لهم فرصة إقصاء جميع اليساريين والناصريين من فوق خشبة المسرح وإدخالهم في الجحور ومن ناحية أخرى أعطت الفرصة للجماعات الإسلامية للاستيلاء على زمام الأمور في الجامعات وخارجها . تحقق بذلك حلم السادات ولم يبق له بعد ذلك سوى تنفيذ ما يحلو له وهو مطمئن كل الاطمئنان .

كان من المتوقع أن تكون جلسة المحاكمة جلسة شكلية حيث لا يوجد داعٍ من عقد محاكمة موضوعية تؤدى إلى كشف المستور أمام الرأي العام .

كان السادات دائما ما يتحدث في خطاباته معتمدا على ذكر نصف الحقيقة فقط ويختار بالطبع النصف الذي يروق له . فعندما تحدث على سبيل المثال عن تقاعس الاتحاد السوفيتي في توريد ما تحتاج إليه القوات المسلحة من سلاح وقطع غيار كان

يخفي النصف الآخر من الحقيقة الذي يتعلق بما قام به هو من تدمير في العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي. وفي حالة أحداث أسيوط تحدث السادات عن وجود تنظيم سري للترويج إلى الشيوعية وتغيير نظام الحكم بينما نجده قد أخفى على الشعب الحقيقة، وهي أن وجود هذا التنظيم كان من نسج خيال أمن الدولة ليكون الشماعة التي يحملوها مسؤولية المظاهرات التي استخدموها لتبرير القبض على اليساريين والناصريين من ناحية وتسهيل مهمة الجماعات الإسلامية في السيطرة على الجبهة الداخلية من ناحية أخري .

عقدت محكمة أمن الدولة جلستها مباشرة عقب الإفراج عني، وعلمت بموعد انعقادها بعد انتهائها. علمت أن الأستاذ فتحي خير المحامي قد حضر الجلسة فذهبت وقابلته، وعرفت منه أن كل ما حدث هو أن ممثل الادعاء وقف وطلب تأجيل نظر الدعوى لأجل غير مسمي ثم انفضت الجلسة . عاتبته لأنه كان عليه على الأقل أن يسجل اعتراضي على طلب المدعي العام . كنت في الحقيقة أتطلع إلى المحاكمة لأنني كنت متأكدا وواثقا من مقدرتي على إثبات براءتي، وفضح شهود الزور، والأهم من ذلك كنت سأنجح في أن أثبت للناس كافة أن من حق كل مصري أن يعمل سلميا من أجل تغيير نظام الحكم في بلده .



الفصل الثاني عشر

الحرب - الترقية - الدعوة إلى المقاومة والتغيير - نداء إلى الشباب
١٩٧٣-١٩٧٤

التقدم إلى لجنة الترقيات :

أغلب أعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية يلهثون وراء الترقيات العلمية وبالذات في حالة تقدمهم للحصول على الأستاذية . كان البعض منهم لايحالفه الحظ من أول مرة ، ويعاودوا التقدم للمرة الثانية أو الثالثة إلى أن يتم حصولهم على اللقب العلمي المنشود .

كنت ومازلت أرى أن عضو هيئة التدريس كالقاضي في حكمه على طلابه وعليه أن يكون كذلك عندما يتعلق الأمر بتقييمة لنفسه، ولا يتقدم للترقية العلمية إلا إذا كان واثقا من نجاحه . وأرى أن قانون تنظيم الجامعات الذي ينص على تحويل المعيدين والمدرسين المساعدين الذين لم يتمكنوا من الحصول على الماجستير أو الدكتوراه خلال خمس سنوات إلى وظائف إداريه قد غض النظر عن أعضاء هيئة التدريس اللذين يفشلون في الحصول على اللقب العلمي .

كنت أهتم بالترقية العلمية لكني لم ألهث أبدا وراءها . كنت على العكس أفضل عليها فرص الاستزاده من العلم والمعرفة واكتساب الخبرة . رغم إنني قد حصلت على درجة الدكتوراه في مارس ٦٣ تم تعييني مدرسًا في ديسمبر من نفس العام ذلك لأنني فضلت البقاء في الخارج بعد حصولي على الدكتواه بغرض التدريب على الأبحاث في مصانع الحديد والصلب . وتكرر نفس الشيء عند ترقيتي إلى أستاذ مساعد حيث فضلت البقاء في الولايات المتحدة الأمريكية بغرض الاستزاده من العلم واكتساب الخبرة . كان حصولي على الأستاذية يتطلب مني التقدم في مارس ٧٣ بإنتاجي العلمي إلى لجنة الترقيات في هندسة القاهرة . غير أن الظروف غير العادية والأحداث الدامية التي تعرضت لها جامعة أسيوط خلال هذه الفترة هي التي عطلتني هذه المرة، وشغلتني عن تجميع إنتاجي العلمي والسفر به إلى القاهرة

وتقديمه إلى اللجنة بعد أن هدأت الأمور وخروجي من السجن وتأجيل نظر الدعوي لأجل غير مسمي. وبعد أن عدت مرة أخرى إلى عملي ونشاطي رأيت أن أقوم بتجميع إنتاجي العلمي لتقديمه إلى لجنة الترقيات .كنت أرغب بقوة في نفس الوقت في السفر إلى الإسكندرية لأطَمئن والدتي التي رغم قوتها وجلدها وإيمانها كادت أن تنصهر من فرط اللوعة والحسرة على ما أصاب ولدها فلذة كبدها .

كنت أشعر بعد خروجي من السجن ورغم الموت الإكلينيكي للقضية أن جميع تحركاتي كانت مرصودة بواسطة أمن الدولة وعملائها المنتشرين في الجامعة والكلية وفي القسم الذي أعمل به . من هنا عندما عقدت العزم على السفر كنت حريصا على اتباع خطة للتمويه . كنت حريصا على الإفلات من المراقبة بالذات في القاهرة وفي الإسكندرية . كانت أمن الدولة ترغب في الحصول على المزيد من المعلومات عن التنظيم الذي اعترفت في التحقيق بتأسيسه . كنت أخشى أن يصبح كل من يقابلني من أصدقائي ومعارفي سواء في القاهرة او في الإسكندرية محلا لشكهم . لذا قررت أن اقوم مع زوجتي بزيارة أهم عضو في فريق المراقبة – أحد زملائي في القسم – وسهرنا وتمتعنا بكرمه وكرم زوجته حتي ساعة متأخرة من الليل .

اتفقت في نفس الوقت مع أحد أصدقائي الدكتور أبو بكر الصعيدي أن يقوم في اليوم التالي بقيادة سيارتي . غادرت أسيوط في الصباح الباكر وأنا أدعو الله أن يكلل خطة التمويه التي وضعتها بالنجاح وقدمت إنتاجي العلمي إلى الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم رئيس اللجنة ومقرها هندسة القاهرة وغادرت القاهرة في نفس اليوم إلى الإسكندرية لأعود إلى حضن أمي .

الحرب :

اتخذ الرئيس السادات قرار الحرب . قام الجيش المصري الباسل بالقضاء على

أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر وألحق به الهزيمة رغم وقوف الولايات المتحدة الأمريكية وراءه . كان انتصار الجيش المصري في حرب أكتوبر انتصارا لكل العرب .

رغم إنني لست خبيرا في الشئون العسكرية غير إنني أحمل من قاموا بإدارتها مسئولية الثغرة . كان من الواضح أن قرار تطوير القتال على الجبهة لم يأخذ نصيبه من الدراسة والتخطيط مما تسبب في حدوث الثغرة واستشهاد المئات من خيرة شبابنا كان بن عمي من بينهم . كنت أتمنى أن يتمرد بعض القادة على الأوامر الصادرة لهم من القيادة العليا وأن يقوموا في الوقت المناسب بالقضاء على الثغرة . تطلعت إلى لقاء الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الأركان أثناء الحرب لأسأله عن أسباب امتناعه عن تنفيذ الخطة التي أعدها من أجل القضاء على الثغرة. لا يزال صوت السادات يرن في أذني وهو يطالب الدول الكبرى بالتدخل لوقف إطلاق النار .

انتهت الحرب وبدأت المفاوضات والتنازلات ، وانتهت بسفر السادات إلى إسرائيل وتكلل كل ذلك بالتوقيع على اتفاقية كامب ديفيد . تجاهل السادات كل تضحياتنا وضحي بتاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا من أجل تحقيق سلام مزيف وسيادة منقوصة على أرض سيناء ، وبعد أن تخلص في سبيل ذلك من معارضيه من الوزراء وقيادات الاتحاد الاشتراكي خلال ما أطلق عليه ثورة التصحيح في ١٥ مايو ٧١م وبعد أن قام بتأسيس الجماعات الإسلامية التي مكنته من السيطرة على الجبهة الداخلية. وكسب السادات في مقابل كل ذلك رضاء الولايات المتحدة الأمريكية بجانب العديد من الوعود البراقة والمزيفة مثل مساعدة مصر في تحقيق الرفاهية ورغد العيش ...... إلى آخره من الوعود التي أخذها الموت وطار .

متابعة لجنة الترقيات وزيارة قسم الهندسة النووية بالإسكندرية :

نزل خبر تقديمي للترقية العلمية على زملائي في القسم كالصاعقة . كانوا جميعا بمن فيهم من المعيدين من خريجي قسم واحد هو قسم هندسة المناجم والبترول بهندسة القاهرة . كنت الوحيد من بينهم الذى لم يتخرج من هذا القسم علاوة على إنني قد تخرجت من كلية أخرى ، كما كان أعضاء لجنة الترقيات هم الآخرين أساتذة لهم، من هنا توحدوا جميعا من أجل تعطيل ترقيتي . كون زملائي في القسم غرفة للعمليات وجهزوا على عجالة بعض الأبحاث لاثنين منهم، وأرسلوا أوراقهم إلى اللجنة على أمل أن تقوم اللجنة بإرسال تقاريرهم قبل تقريري. كان الأستاذ محمد محمود إبراهيم هو رئيس اللجنة ومقررها وهو من الشرفاء المشهود لهم بالنزاهة والأمانة من هنا رأت اللجنة إرسال التقارير الثلاثة في وقت واحد وتكون بذلك قد أعفت نفسها من الحرج وتركت الباب مفتوحا أمام المغرضين في الجامعة والكلية والقسم . كانت الأبحاث المقدمة إلى اللجنة من الاثنين الآخرين في غاية التواضع بالمقارنة بالأبحاث التي تقدمت بها ، من هنا لم يكن أمام اللجنة مفرا من ترقيتي . كنت أقدمهم في درجة أستاذ مساعد من هنا كانت ترقيتهم معي إلى درجة أستاذ لا تقدم ولا تؤخر من حيث الأقدمية . لذا استمر المغرضون في محاولاتهم فأوعزوا إلى أحد طلابي الذي منحته درجة الماجستير بالتقدم بشكوى إلى عميد الكلية يتهمني فيها بنشر أحد الأبحاث من رسالته – التي أشرفت عليها ورغم أننى كتبت اسمه على البحث – وكان من الواضح أن غرضهم من تقديم هذه الشكوى هو إعمال المثل «العيار اللي ما يصبش يدوش» وبالطبع لم يكن لهذه الشكوى أي أثر سوي شعوري بالمرارة تجاه تلميذي الذي ساعدته وعلمته حتي حصل على درجة الماجستير. كنت على علم بكل محاولاتهم وكانوا يأملون في دعم الجامعة والجهات

الأمنية لهم بالذات بعد خروجي من السجن على أثر إتهامي في قضية أمن الدولة . من هنا فكرت أن أترك هذا القسم، وأذهب إلى مكان آخر، أواصل فيه عطائي وخدماتي . كان زميلي وصديقي الدكتور عوض صالح قد نقل لي خبرا سمعه أثناء تواجده في هندسة الإسكندرية مفاده أن قسم الهندسة النووية يعاني من نقص في أعضاء هيئة التدريس بالذات في تخصص المواد الهندسية النووية، وأن اسمي قد طرح من بين من يرغبون الاستعانة بهم لسد هذا العجز . من هنا فكرت أن أقوم بزيارة القسم لأعبر لهم عن موافقتي للانتقال إلى قسمهم . سافرت إلى القاهرة وقابلت الأستاذ محمد محمود إبراهيم في منزله وسلمني التقارير الثلاثة، ووضعتها جميعا في مظروف وتركته مفتوحا . أخذت التقارير وسافرت بها إلى الإسكندرية . قابلت رئيس قسم الهندسة النووية وأبلغته بموافقتي على الانتقال إلى قسمهم وإنني لن أقدم تقرير ترقيتي إلى أستاذ وأترك زملائي يسبقوني في الترقية في حالة قيام قسم الهندسة النووية بالإعلان بجدية عن هذه الرغبة . وطلبت منه بالتحديد الحصول على موافقة مجلس كلية الهندسة بالإسكندرية على النقل. ولما لم أجده جادا في حديثه معي وبعد أن ألمح إلى موضوع اعتقالي قررت العودة إلى أسيوط، وأغلقت المظروف على التقارير الثلاثة وقدمته إلى عميد الكلية .

رفض عميد الكلية في البداية استلام المظروف لأنه كان من المفروض أن يرسل له عن طريق اللجنة وليس عن طريقي ، غير أنه غير موقفه ووافق على استلامه وعرضه على مجلس الكلية حتى لا يعطل الآخرين . خرجت التقارير الثلاثة من الكلية إلى الجامعة لعرضها على مجلس الجامعة المزمع عقده في أواخر ديسمبر ٧٣ ، وأدرجت التقارير الثلاثة في جدول أعماله .

***

المحاولة الأخيرة لتعطيل ترقيتي والدكتور يسر أنور :

فوجئت في نفس الوقت الذي يجتمع فيه مجلس الجامعة بالدكتور يسر أنور الأستاذ بحقوق عين شمس يتصل بي يدعوني لمقابلته في إدارة الجامعة. كنت قد تعرفت عليه من خلال تدريسه لزوجتي في حقوق عين شمس كانت المقابلة في حجرة مجاورة لمجلس الجامعة. تصورت أنه طلبني ليحقق معي إداريا في القضية ٥٠٢ التي تم تأجليها لأجل غير مسمي. غير أنه نفي ذلك معربا عن دهشته لعدم معرفتي بسبب استدعائي للتحقيق. كانت دهشتي اكبر عندما ذكر لي سبب التحقيق وزادت دهشتي عندما ذكر أن وزير التعليم العالي شخصيا قد كلفة بهذه المهمة! عندئذ لم أستطع منع نفسي من مواجهته بقولي«هو الوزير فاضي لهذه الدرجة بحيث يكلفك بهذه المهمة ؟!» واستطردت قائلا: « هل تعلم أن مجلس الجامعة مجتمع الآن في الحجرة المجاورة للبت في ترقيتي لدرجة أستاذ وأنني قد تقدمت بأكبر عدد من البحوث في تاريخ الكلية، من الواضح أنهم قد أعيتهم الحيلة في العثور على سبب لتعطيل ترقيتي كأن أكون على سبيل المثال قد قمت بتسريب امتحان أو بمغازلة طالبة ولم يجدوا أمامهم سوى اتهامي بأنني قد ركبت القطار بدون تذكرة» ! كان هذا هو السبب الذي ذكره لي الدكتور يسر أنور والذي كلفه بالتحقيق فيه وزير التعليم العالي ... عجبي! . إنه هو نفس الموضوع السابق ذكره في الفصل السابق من هذا الكتاب ، ذلك حين سافرت في مهمة إلى الإسكندرية بصفتي عضو مجلس إدارة النادي لاستئجار مصايف الزملاء . غير أنه وكما يبدو أن أمن الدولة بعد أن أعيتهم الحيلة على أثر قيام كل من الجامعة والنيابة بحفظ الموضوع يقررون إرساله للوزير الذي لم يخيب رجاءهم وكلف يسر أنور بالسفر إلى أسيوط للتحقيق في الموضوع في نفس وقت انعقاد مجلس الجامعة الذي سوف يتخذ قراره بشأن ترقيتي على ضوء ما

يسفر عليه التحقيق . كان من حظي أن الدكتور يسر أنور هو الآخر كان على شاكلة الأستاذ محمد محمود إبراهيم . كان رجلا شريفا يتسم بالنزاهة والأمانة والشجاعة في الحق ونقل رأيه إلى مجلس الجامعة وتمت ترقيتي، وحصلت على اللقب العلمي «أستاذ في هندسة الفلزات» في ديسمبر ١٩٧٣ . ورغم إنني ضحيت بأكثر من عام ونصف من الأقدمية بين التعيين في مدرس وأستاذ مساعد ثم أستاذ غير إنني أصبحت مع ذلك أحمل لقب « أصغر من حصل على لقب الأستاذية في تاريخ كليات الهندسة في مصر » كما أنني سبق وأن حصلت على لقب أستاذ مشارك بقسم الهندسة الصناعية من كلية الهندسة بولاية كانساس بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٦٨ ولم أكن قد بلغت بعد الثلاثين من عمري .

شكر واجب للقوات المسلحة المصرية :

أحمد الله على إنني قد تماثلت للشفاء من إصابتي بالالتهاب الكبدي الوبائي خلال وجودي في السجن. يعود الفضل في ذلك بعد الله سبحانه إلى النقيب زكريا وهو الذي أشرف على علاجي وخدمتي بالمنزل خلال فترة مرضي إلى أن تم اعتقالي . سلمت أمرى لله بعد أن رفضت إدارة السجن إقامتي بمستشفي السجن . ومزقوا التقارير والروشتات وأبلغوني برأي أمن الدولة في هذا الشأن حيث كانوا يتمنون لي الموت . ومَنَّ الله علي بالشفاء .

اقترحت على النقيب زكريا عند حضوره لتهنئتي أن أزوره في الوحدة لأعبر لقائده العقيد الأعصر عن شكرى وتقديري على رعايتهم ووقوفهم معي في محنتي . فاجأني النقيب زكريا بانه ينقل إليَّ رغبة العقيد الأعصر في الحضور لزيارتي في مكتبي ليتعرف علي وليهنئني هو الآخر على سلامتي . رحبت بزيارة العقيد الأعصر ، كان هو الآخر من خريجي كلية العلوم بجامعة الإسكندرية لكنه كان بعدى في سنة التخرج .

تطورت علاقتنا بفضل صديق مشترك – اللواء حسين عدس – كان هو الآخر من خريجي علوم الإسكندرية.

كانت زياراتي لقسم الكيمياء بعلوم الإسكندرية تعد من المناسبات التي لا تنسى ، كان جميع من في القسم يسعدون بوجودى من الفرّاش إلى أكبر أستاذ و كرمتني كلية العلوم بالإسكندرية أكثر من مرة . وكان بعض شباب هيئة التدريس يذكرون لي في حديثهم أنهم كانوا يعتبروني المثل الأعلى بالنسبة لهم . تعددت زيارات العقيد الأعصر لي في مكتبي ، فاجأني مرة باقتراحه أن أقوم بترجمة أحد الكتب الروسية إلى الإنجليزية ويقوم هو بمراجعته. كان العقيد الأعصر يتميز باتساع شبكة علاقاته وكان من بينها علاقته بمؤسسة فرانكلين للنشر في القاهرة. كانت مؤسسة فرانكلين مهتمة بترجمة بعض الكتب العلمية المختارة من الروسية إلى الإنجليزية وكان العقيد الأعصر يعلم إجادتي للروسية والإنجليزية وبالتالي سوف لا تكلفه المراجعة مجهودا كبيرا . كان الكتاب الذي رغبت مؤسسة فرانكلين ترجمته من الروسية إلى الإنجليزية عن السدود الركامية . أحضر لي العقيد الأعصر العقد والكتاب والقواعد المقرر إتباعها في الترجمة. وانتهيت من ترجمة الكتاب في حوالي شهرين . وتسلمت من مؤسسة فرانكلين شيكا بمبلغ يزيد عن خمسمائة جنيه نظير قيامي بالترجمة .

استلمت هذا المبلغ، ولم يكن قد مضي على خروجي من السجن سوي بضعة أشهر فكان ذلك بمثابة نوع من التعويض أرسله لي الله سبحانه وتعالى عن طريق العقيد الأعصر .

الجماعات الإسلامية مرة أخرى :

تمكنت الجماعات الإسلامية خلال شهور معدودة من فرض سيطرتها وهيمنتها على جميع مؤسسات الجامعة، وعلى مختلف الأنشطة في محافظة أسيوط. كان محمد

عثمان محافظ أسيوط يشجعهم ويؤيدهم ويمدهم بكل ما يحتاجون إليه سواء من مال أو عتاد لفرض سيطرتهم وهيمنتهم وبث الرعب في قلوب العباد. قاموا بتحطيم العديد من الكافتريات . وكان محمد عثمان يقوم بتعويض بعض المتضررين من جراء جرائمهم. منعوا الطلاب في المدن الجامعية من مشاهدة التليفزيون بعد أن استولوا عليها وصادروها. وصل الأمر إلى أنهم قد أصبحوا أصحاب القرار سواء بالنسبة لتوقف الدراسة أو استمرارها. لا أنسى عندما استنجد أحد طلاب الكلية بنا عندما أعلن طلاب الجامعات رغبتهم في قتله لأنه يعتنق الشيوعية وأدخلناه مكتب عميد الكلية وطلبنا من حرس الكلية حمايته أن قال لنا ضابط الحرس « إن هذا الطالب كافر ويحل دمه » هكذا سارت الأحداث خلال العام الدراسي ٧٣/ ٧٤. وعلمت فيما بعد أن الرئيس السادات بعد أن قام بزيارته المشؤومة لإسرائيل قرر أن يتوقف عن رعاية الجماعات الإسلامية . غير أنها خلال تلك الفترة كانت قوتها قد وصلت إلى حد تهديد النظام . من هنا أصبح الصدام بينها وبين النظام الذى أنشأها وتولاها بالرعاية حتميا بعد أن أهملها وبعد أن استنفد غرضه منها .

أصبحت الجماعات الإسلامية بعد أن أهملها النظام فريسة سهلة تقاسمتها أجهزة المخابرات الأجنبية وبالذات الموساد والمخابرات المركزية . وجدت أجهزة المخابرات فيها ضالتها فقامت باستخدام هذا التنظيم الذي أصبح بلا صاحب . استخدمته هذه الأجهزة في ضرب الاقتصاد الوطني والسياحة الخارجية . وعرفت مصر أعمالا إرهابية تبعد كل البعد عن طبيعة الشعب المصري، مما يؤكد على أن مرتكبيها قد تم تدريبهم عليها خارج مصر . من هنا يذهب البعض إلى الاعتقاد في أن كل من الموساد والمخابرات المركزية قد اشتركا معا في وضع خطة لاغتيال الرئيس السادات اعتمدوا في تنفيذها على بعض أعضاء الجماعات الإسلامية . كان

من مصلحتهم أن يختفي السادات من مسرح السياسة بعد ما قدمه من تنازلات وبعد توقيعه على اتفاقية كامب ديفيد تحت تأثير الضغوط والوعود والإغراءات الأمريكية والإسرائيلية . كانت كل من إسرائيل والولايات المتحدة تتوقعان أن يطالبهم السادات في القريب العاجل بتنفيذ هذه الوعود لذا وعملا بقاعدة أخذ الشر وراح قرروا أن يتخلصوا منه وبالذات أن لديهم الفرصة سانحة ليحمِّلوا من يخلفه بوعود وتنازلات يدَّعون أن السادات كان قد وعدهم بها .

هكذا نجد أنه إذا كان نظام حكم عبد الناصر قد أدي إلى مصادرة معظم ملكاته فإننا نجد أن نظام حكم السادات قد أدي هو الآخر إلى مصادرة حياته، وإلى تكبيل البلاد بتنازلات ما أنزل الله بها من سلطان. من هنا نؤكد على أن الديمقراطية كانت هي السبيل الوحيد لتجنبنا هذه الويلات .

الخبيئة :

نادرا ما تحتفظ زوجتي بالأشياء على تنوعها ، وإن حدث واحتفظت بشيء منها نادرا ما تذكرت أماكنها . كنت أنا من يساعدها في البحث عن الأشياء التي احتفظت بها . من هنا كانت المفاجأة ، حين أخبرتني أنها مازالت تحتفظ برسائلي التي بعثت بها من السجن إليها . وكانت المفاجأة الأكبر حين تذكرت هي المكان الذي احتفظت فيه بخبيئتها .

ومن المعروف أن لوائح السجون المصرية تسمح بمبادلة الرسائل بين المسجونين وذويهم على أن تمر هذه المراسلات عبر لجان الرقابة في السجن لتطلع عليها وتجيزها . من هنا وافقت زوجتي على نشر بعض الفقرات من بعض رسائلي إليها طالما أن هناك آخرين قد أطلعوا عليها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى عسى أن يساهم نشرها في هذا الكتاب في تحقيق الهدف السامي الذي أرنو إليه ألا وهو تشجيع كافة

الشباب على عدم الخوف من السباحة ضد التيار . هذا وقد وقع اختياري على نشر منها ما يلي :

- « أرجو أن تكوني عند وعدك لي في المذاكرة وتأخذي بالك من نفسك ولاتنسي الاهتمام بصحتك . كما ذكرت لكي البارحة أرجو أن تبقي في القاهرة بجوار العائلة . وفي حالة حدوث أى شيء لا قدر الله أرجو أن يحضر أحدا منهم معك إلى أسيوط في حالة إصرارك على الحضور . سوف يحضر بعض الأساتذة لأخذ ورق الامتحانات حتى لا تتعطل النتيجة والورق موجود في الدولاب وأرجو إعطاءهم إياه . لا أدرى إذا كان سيسمح لي اليوم برؤيتك أم لا ؟ لكن على العموم تصحبك السلامة يا أعز الناس لدى . وآسف جدا لما تسببت لك فيه من تعب . أنا بخير اطمئني جدا علي . مع أجمل تحياتي وأطيب أمنياتي وقبلاتي ولاتنسى ما أوصيتك به نفسك وصحتك هما أثمن ما لدى» .(هذا الخطاب أرسل من مقر أمن الدولة قبل ترحيلي إلى السجن) .

- «سوف أراك غدا وكل الدنيا سوف تبتسم لي غدا . سوف أتصل بالدكتور دهيم حتي يحضركم كما فعل في الأسبوع الماضي وسوف أقوم أنا بالاتصال ولاتزعجوا أنفسكم . أعرفك أن الكيكة كانت لذيذة جدا كما أنك تديرين العمليات على خير وجه وسوف تكونين محاميه ممتازة . كل ما ورد في خطابك كنت أعرفه وأشعر به ويؤسفني أن يكون هذا هو أسلوبهم فهم يعتقدون أنهم يتعاملون مع مجموعة من الأرانب ذلك لأنهم هم أول الأرانب . ولن يتمكنوا من بث الخوف في نفسي لكنهم نجحوا في بث شيء آخر في نفسي وهو القرف . القرف منهم ومن أساليبهم القذرة . وأنا لا أريد أن أعيش مع أرانب وسوف أعتز دائما بأنني لا أخشي في الحق لومة لائم ويجب أن أكون كذلك حتى إذا خرج ابني إلى الدنيا يستطيع أن

يفتخر بأبيه وأحمد الله على أنني قد تمكنت من قول الحقيقة وأحمد الله على أن حقيقتي تشرف اى إنسان. أرجو أن تكوني بخير وتأكلي كويس وتتابعي وزنك . تحريرا في ٢٨/ ٦ (يبدو أن هذا آخر خطاب من مقر أمن الدولة) .

تم ترحيلي إلى السجن بعد أن انتهى العقيد فتحي قتة من المهمة التي جاء من أجلها، وتصور إنه قد نجح في تقييم أفكارى والوقوف على أهدافي وطموحاتي وأصبح بالتالي عنوان مراسلاتي هو سجن أسيوط العمومي وكتبت خلال فترة إقامتي فيه بعض الرسائل اخترت من بين فقراتها ما يلي :

- « معظم الآراء تنادى بتكليف أحد المحامين ممن لديهم الخبرة بقضايا أمن الدولة . ويتطلب الأمر الحصول على نسخة من القضية . وعلى فكرة فيه واحد محامي حضر من نقابة المحامين بالقاهرة اسمه (محمد الليثي) متطوع أرجو أن تبحثوا عنه . طبعا سلامي إلى الجميع، وشكرى إلى كل من يقدم لك خدمة في أسيوط وعلى وجه الخصوص الدكتور رجائي وحرمه والدكتور فاروق بدران وحرمه وأوصيك بنفسك وأشكرك على الأكل اللذيذ الذي ترسيلنه أرجو أن تحضرى لي في الزيارة جوربًا ورابطة العنق الزرقاء ذات المربعات الصفرة ودبوس كرافات مش ذهب» .

- « هذا ثانى خطاب أكتبه إليك من حيث أقيم وبعد ما عرفت أنه في إمكاني أن أكتب إليك وأتسلم منك خطابات تحت المراقبة . كتبت لك من قبل أن تستدعي عم سيد الطباخ حتى لا يرهقك العمل، وتوفرى مجهودك لكي تقومي بتمرين المشي المفروض أن تقومي به كل يوم . وأنا كما ذكرت لكم سوف أترك لكم مسألة المحامي لكن رأيى فيها أرسلته لكم وهو إنني أريد محاميًا على دراية أكثر بقضايا أمن الدولة . كذلك ما يجعلني قلقا هو أن الأستاذ حامد عجينة المحامي تصرف كما

لو أنني مدان وأحتاج لمعجزة لكنني أعرف أنني بريء واحتاج فقط لمحامي كيس وذكي كما أن الأستاذ حامد عجينة لا تعجبه آرائي ويعتبرني هو شخصيا بسبب اختلافي معه في الرأى مدانا» .

هذا ثالث خطاب أكتبة لك . أرجو أن تكون جميع رسائلي قد وصلتك . ومن الجائز أن يصلك هذا الخطاب مع الخطاب السابق الذي لم يخرج من السجن حتى هذا اليوم . أنا أرسلت لك اليوم الملابس التي تحتاج غسيلًا وأحمد الله على أن منحنى زوجة وفية مثلك فالأكل لذيذ والملابس دائما نظيفة وأرجو أن تكوني قد نفذت ما طلبته منك وهو : أن تستدعي عم سيد الطباخ وهو يعمل في مصلحة الري في عمارة حشكل لأنك تحتاجين حاليا للمساعدة . وأرجو أن تهتمي بصحتك . أرجو أن يقدم طلب معارضة لقرار الحبس في أقرب جلسة وهي على ما أعتقد ٤/ ٨ . أوصيك بتدريب المشى اليومي . وأرجو أن ترسلي لي الكرافته الزرقاء ذات المربعات الصفراء . أما باقي الأشياء فأنت تعرفيها . أرجو أن تتأكدي أن صحتي كويسة . وأنا أقضي معظم وقتي في القراءة وحل الكلمات المتقاطعة وآخذ دش كل يوم . وياريت ترسلي لي مع الهدوم قطعة لوف وأنا دائم التفكير فيكي وأرجو أن تطمئني وتتطمئني كل من يسأل عني . السبت ٢١/ ٧/ ١٩٧٣ .

- « بعد التحية والأشواق التي لابد أن تصلك رغم الحصار والأسوار . أعرفك إنني بخير وبدأت التعرف على بعض الخدمات مثل الغسيل وخلافه وتستطعين أن تستريحي بالنسبة لهذا الموضوع . أرجو أن تكوني قد دعوت عم سيد الطباخ حتى لاتتعبي في مسألة الطبيخ . كذلك بالنسبة للمحامي أرجو أن تكونوا قد تمكنتم من الاتفاق على محامٍ من القاهرة أى محامٍ له في قضايا أمن الدولة . أنا لم يصلني منك أى خطاب حتى الآن وأرجو أن تكون جميع خطاباتي قد وصلتك وهذا هو رابع

خطاب ارسله لك . ارجو أن يكون طفلنا بعيدا عن الأحداث الدائرة للوالدين . أرجو أن تهتمي به الأن حتي تعوضيه عما يعانيه من أريفة وقلة مزاج بسبب سجن أبوه وحزن أمه الجميلة وطبعا إنت ادرى الناس بكيفية تحقيق ذلك وهو بتنفيذ تعليمات الطبيب . وأن تذهبي لدكتور الأسنان وتقومي بتدريبات المشي اليومية ».

- « أنا سعيد جدا لأنك ذهبت إلى الدكتور واطمأننت عليكي وأنك اشتريت الفيتامينات وتتفسحين وتقضين وقتًا طيبًا . طبعا إنت وحشاني خالص وعايز اشوفك لكن إنت عارفه مقدار تقديرى لك ولا أرغب في أن اراك تعانين في الحضور والدخول هنا والرجوع ... وخلافه . وأرجو أن تفتكري تذهبي لدكتور الأسنان ».

- « بعد التحية والأشواق . أخذت دش إمبارح وكنت اغني ، عارفه كنت أغني إيه؟! كنت أغني يامالكا قلبي ياآسرا روحي النهر ظمآن لثغرك العذب . أرجو أن تهتمي بصحتك » .

- زوجتي الحبيبة وأم سوزي الجميلة :

تصوري أنه كان من الممكن أن أكتب لك كل يوم خطاب وأن أتسلم منك كذلك كل يوم خطابًا لولا الجهل بلائحة السجن، فالخطابات مصرح بها عن طريق البريد وغير مقيده بعدد في فترة التحقيق . أعرفك إنني دائم التفكير فيك وفي كل شيء بالنسبة لك أرجو أن تطمنيني عليك وأرجو أن تعتبرى الفترة التي قضيتها بعيدا عنك كما لو كنت مجندا في الجيش على الأقل أنا هنا في مأمن وأنت عارفه فيه ناس كتير بتروح الجيش بعد الزواج. واعتبرى هذه الفترة فترة عزل كل أملى أن أخرج قبل ما تضعين طفلنا الأول. لماذا لم ترسلي في طلب عم سيد الطباخ لازم ترسلي في طلبه حتى تستريحي فأستريح . وكان بودي أن توافقوني وتستخدموا

سائقا للعربية . إنت عارفه أنا لاأميل للتوفير وأحب صرف النقود لأنها تذهب وتجئ لكن العمر يذهب فقط بالنسبة للإنسان . وأرجو أن تكوني قد ذهبت إلى الدكتور ممدوح شعبان ولا تنتظري حتى الميعاد القادم . أرجو ألا تدعي نفسك تتألمين ولو ليوم واحد إذا كان من الممكن إزالة هذا الألم بواسطة النقود فإن الراحة النفسية والصحة هما أثمن شيء ولا يجب أن توفرى من هذه البنود. عن نفسى أنا بخير ولاينقصني غير الاطمئنان عليك . وأرجو أن تكتبي لي باستمرار ولازم تضعى في الاعتبار أن الخطابات حسب القواعد تفتح وتقرأ قبل ما تصلك حتى وقبل ما تصلني منك . وأرجو أن تقرئي ما كتبته في ص ٣، ٤ جيدا كذلك فقد رأيت أن أكتب لك في هذه الصفحة جزءًا من الأغنية التي كتبتها لك وأغنيها في بعض الأحيان :-

مشينا مشينا مشينا مشينا كتير ورا الأيام بنتكلم عن الماضي

كلامك كان زى الأنغام جمع قلوبنا من تاني

وكنت فاكرة كان ياما كان معتدش أرجع لك تاني

لكني بعد ماقابلتك وصالحتني ورضيت عنك

حانعيش سوى أحلى الأيام تنسي اللي فات واسكن قلبك

- «كنت أتمني أن أكتب لك أغنية تانية في هذا الخطاب لكني للأسف لم أستطع الكتابه طوال هذه الفترة . أنا بخير ولاينقصني غير الحرية لكن حزني ليس كبيرا إذ كنت دائم الشعور أن الحرية لم تكن من نصيبي كاملة في يوم من الأيام . لكن دون شك أن الحياة خارج السجن مهما كانت أروع بكثير وأحلي بكثير من حياة السجن . لكنه قدرى ونصيبي اتجرعه كشربه الزيت التي لم أتمكن من شربها وأنا صغير وصارت لي مثلا أضربه حين أتذكر شيئا مما تعافه نفسي لكني أقول رب ضارة نافعة

فلولا هذا السجن لما عرفت قيمه الحياة خارجه . وها أنذا سوف أبلغ قريبا الخامسة والثلاثين وسوف أكون قد أدركت في هذا السن قيمة الحياة وقيمتك وقيمة كل فرد مما كنت أعرفهم . إنني أدعو الله أن يمكنني من أن أستفيد مما أدركت حتى يكون سجني نعمة على وليس نقمة . كما إنني أعرفك إنني فعلا أريد بنتا لأسميها سوزى حتى يكون لدى إثنين سوزى بدل واحدة . وكذلك حتى لا يمر إبني محمد بما أمر به الآن لأن ابني قد يكون أكثر مني حبا لبلاده وأخشى أن يناله ما نالني لكن البنت أقل احتمالا من أن يكون لديها اهتمامات سياسية وحبها لمصر من الممكن توجيهه تجاه منزلها فقط كما هو الحال معك أما الرجال فدائما ما يتجه حبهم لبلادهم خارج منازلهم . ولا يعني ذلك إنني حين أخرج من السجن سوف يتجه حبي فقط إلى بيتي فالرجل لا يمكن أن يكون غير ذلك وحبي لمصر سوف يكون دائما أكبر من أن ينحصر في بيتي لكنني حتما سوف استفيد من هذا الدرس وسوف أسرع بما كنت ارغب في عمله في الأربعين فسوف أنكب على تأليف وترجمة بعض الكتب التي تحتاجها المكتبة المصرية وسوف أحاول أن يكون أسعار هذه الكتب أرخص ما يمكن .
إن هذا المشروع كنت أفكر أن أقوم به عند الأربعين أو الخامسة والأربعين لكنني أفكر حاليا أن أبدا بالقيام به لكنني لا أدري إذا كان ذلك سوف يكون من داخل السجن أو من خارجه . إن الإنسان عظيم فهو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يؤقلم نفسه ويعيش تحت أى ظروف وقبل أن ادخل السجن كان لا يمكنني أن أتصور إنني سوف أتحمل هذا السجن لكن هاأنذا أعيش وأفكر متحملا كل ألوان القهر وهنا تكمن عظمة الإنسان وإنني أتخيل رغم كل ذلك أن يكون ردى على السؤال كيف كان السجن أن تكون إجابتي إنها كانت تجربة رائعة أرجو أن تتمكن أن تمر بها أرجو أن تهتمي بصحتك فهي أهم شيء عندي وأرجو كذلك أن تشكرى الدكتور صلاح زكي لحضوره وكم كنت أود أن أراه وكم تمنيت من قبل أن يزورنا وكم أسفت لأن زيارته

كانت في مثل هذه الظروف تحياتي إلى الجميع مع قبلاتي وأشواقي... زوجك » .

- «بعد الأشواق والقبلات، يظهر فعلا أن بعض محاسن هذه التجربة التي نخوضها أنك سوف تعتمدين على نفسك وسوف أجدك عندما أخرج ممن أعتمد عليهم . أعرفك أن الخدمة ممتازة وأنا شاكر جدا لمجهودك، وهنا يرحبون جدًا لمجيئكم لزيارتي غير إنني لا أريد أن أزعجكم وأفضل فعلا عدم حضوركم وكلها كام يوم وأخرج » .

- رسالة كتبتها من داخل السجن ولم أبعث بها إلى زوجتي قلت فيها :

قميصى قد صبغوه بلون أحمر كالدم

حتى لا تبكيني الناس

حتى لاتشعر بالهم

يقولون أكلني ذئب

بعد أن ألقوا بى في الجب

نبضات القلب دقات طبول

وأنا أسمعها كالمذهول

متى ينقطع صوت الطبل

ومتى الأحزان تزول

جدران الجب تكلمني وأنا أسمع

إخوتك قد دفنوك كي يرثوك

وصدى نبضاتي تتلاشى في الطين

وطال بقائي في جب صار لي وطنا

والموت الداني بمرور الأيام بدى أملا

والعصفور لم يفقد رغبته فى الطيران أبدا أبدا

الدعوه إلى المقاومة والتغيير:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ صدق الله العظيم :

لم يتوقف نظام الحكم في مصر منذ عام ١٩٥٢ عن تضليل الشعب وبالذات عندما ينعقد الحديث حول الديمقراطية . فتارة يدَّعون أن الديمقراطية قبل الثورة كانت مزيفة ، وتارة أخرى يقولون أنها كانت من نصيب نصف في المائة فقط من أفراد الشعب ويدللون على ذلك بحكم أحزاب الأقلية للبلاد وقيام الملك بحل البرلمان وإقالة الوزارات ... إلى آخره من هذه القصص وتلك الروايات .

يقولون أن الاستبداد في تلك الفترة كان ضاريا، والفساد كان مستشريا، والشعب كان مغلوبا على أمره خانعا . من هنا يكون نظام الحكم قد إرتكب خطأ جسيما في حق الشعب وبالذات في حق شبابه وفلذه أكباده حيث أوصلهم إلى الكفر بالديمقراطية كوسيلة للتغيير مما أدي إلى توجههم إلى تأسيس الجماعات المتطرفة والمنظمات الإرهابية واللجوء إلى الاستقواء ببعض الدول الأجنبية .... إلى آخره في سبيل تحقيقهم للتغيير المنشود في بلادهم . من هنا يرى البعض أن نظام الحكم قد ارتكب عن وعى جريمة تزييف تاريخ شعب مصر المجيد إن في ذلك نكبة كبرى لا يقل أثرها عن نكبة ٦٧ م. من هنا رأيت أن أذكِّر القارئ ببعض المواقف التاريخية لهذا الشعب العظيم عسى أن يجد فيها ما يزيل الغشاوة من عينيه ويحجب الحقيقة عنه . ففي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا العظمي أقوى دولة في العالم والإمبراطورية التي لاتغيب عنها الشمس ، قام الشعب المصري عام ١٩١٩م بثورة هزت أرجاء الدنيا . كانت ثورة ١٩ هي ثاني ثورة قامت بعد الحرب العالمية الأولى وكانت باعثا لكل الثورات التي جاءت من بعدها في الهند وسوريا والعراق والمغرب وليبيا ، وكانت ثورة ١٩ بحق هى أم كل هذه الثورات وقال غاندى في

هذا الصدد أنه قد تعلم منها ومن زعيمها سعد زغلول كيف يقاوم الاستعمار البريطاني ، كما أرسل لينين زعيم الثورة البلشفية في روسيا رسالة إلى سعد زغلول يعبر له فيها عن تأييده وإعجابه بالثورة وبزعيمها ! أعادت ثورة ١٩ للشعب كرامته ودعمت وحدته وشجعت المرأة على الانخراط في العمل الوطني. ألغت قانون السخرة الذى كان يعطى الحكومة الحق في تجنيد الفلاحين للعمل في المشروعات الحكومية بلا أجر. أفرجت الثورة عن جميع المسجونين السياسيين الذين تمت محاكمتهم في المحاكم العسكرية البريطانية . مهدت الثورة إلى إنشاء بنك مصر وشركاته وشجعت قيام الصناعة الوطنية ومقاطعة المنتجات الإنجليزية . كللت الثورة أعمالها بإصدار دستور ١٩٢٣ الذى حقق للشعب حريته وسيادته .

نعم كان هناك فقرا ، وكان هناك تسلط من القصر والإحتلال وحكومات الأقلية ، ولكن كانت هناك الحرية والديمقراطية التي مكنت الشعب من مواجهة ومقاومة كل ذلك . ففي تلك الفترة الحافلة بالصراع بين الديمقراطية والاستبداد أتيح لجماعة الإخوان المسلمين أن يظهروا في الساحة بقيادة مرشدهم حسن البنا كما أتيح لحزب مصر الفتاة هو الآخر أن يظهر ويأخذ مكانه العريض بقيادة أحمد حسين وفتحى رضوان ومصطفي الوكيل وإبراهيم شكري . إن جوهر الديمقراطية يتمثل في قدرة الشعب على الرفض والمقاومة . ولقد حافظ الشعب طوال ثلاثين عاما على هذا الجوهر وفرض مقدرته على المقاومة في ظل الديمقراطية .

إن ما جاء على لسان بعض زعمائه في تلك الفترة لهو خير دليل على الحفاظ على هذا الجوهر وإعماله. وليسمح لي القارئ أن اذكر هنا بعض الأمثلة على ذلك :-

- كان محمد محمود زعيما لحزب الأحرار الدستوريين وهو من أحزاب الأقلية ودار بينه وبين الملك فؤاد مناقشة ساخنة فسأله الملك مستخفا: « إنت إبن مين ؟! »

فأجابه محمد محمود وكأنه يصفعه « أنا إبن من عرض عليه العرش فأبي » .

- ناقش مجلس البرلمان في عام ١٩٢٧ طلبا من القصر للموافقة على اعتماد مبلغ لشراء السيارات الملكية ووقف نائب من حزب الأحرار الدستوريين - حزب من أحزاب الأقلية مرة أخرى - هو أحمد عبد الغفار وقال « أسجل رفضي لهذا الاعتماد ... إن نصف شعبنا وأهلينا حفاة وعراة وجياع وهم أولى بكل قرش ينفق في سيارات جديدة للقصور الملكية !!» .

- عندما كان عبد الخالق ثروت رئيسا للوزراء - وهو الآخر زعيما من زعماء الأقلية - تلقى طلبا من الملك فؤاد بفتح اعتماد لرحلة خاصة وحتى يخرج من هذا المأزق أحال رئيس الوزراء طلب الملك إلى مجلس النواب الذى كان يرأسه سعد زغلول، والذى قام برفض الاعتماد بالإجماع .

- كانت هذه بعض مواقف أحزاب الأقلية في العهد البائد كما أسماه نظام الحكم بعد عام ١٩٥٢ . ويأتي ما جاء على لسان زعماء حزب الأغلبية - حزب الوفد - ليؤكد على رسوخ الديمقراطية وجوهرها وهو فيما يلي:

- قال النحاس في إحدى خطبه: « إذا كان هناك من يضع نفسه فوق الشعب ، فليعلم أن الشعب قادر على أن يرده إلى مكانه الصغير وحيزه الضيق » .

- ومرة أخرى يقول: « إذا كان هناك من يظن بقوة الشعب ظن السوء فقد خاب فأله ، وطاش سهمه » .

- أما مكرم عبيد خطيب عصره وسكرتير الوفد فيقول: « إذا كان الشعب يبنى ، والسيد الكبير يهدم . وإذا كان الشعب يطلب ، والسيد الكبير يتأبي ويحجم .. فكل آت قريب ...!» .

يتضح مما سبق أن التجربة الديمقراطية في ذاك الوقت والمفترى عليها من نظام

الحكم كانت تنتمي بحق إلى تلك الديمقراطية التي عرفها العالم الحر والتي ساهم الفكر السياسي العالمى في تشكيلها ، وكانت وراء تحقيق الحرية والعدل والمساواة والكرامة لكل الناس . إن أروع ما فيها أنها تجعل من يمارسونها رجالا لهم شأنهم ومكانتهم بين أهلهم . ترى لو أن رجالا عظاما من أمثال عمر مكرم ومصطفي كامل ومحمد فريد وسعد زغلول قدر لهم أن يعيشوا سنوات القهر الذى فرض على مصر منذ ١٩٥٢ أكان أى من هؤلاء سيكون شيئا مذكورا . بل ذهب البعض إلى ما هو أبعد من ذلك حين قالوا أنه لو عاد محمد في ظل هذا القهر وهذا الاستبداد والطغيان دون أن يكون رسولا من عند الله لما استطاع مع استعداده المطلق للتضحية أن يفعل شيئا . لم تكن دكتاتورية الحاكم ستترك شفتيه تتحركان بكلمة أو بكلمات، وكانت ستأخذه على الفور قبل أن ينطق بها كما يقولون من الدار للنار .

إن أعظم ما في الديمقراطية هو أن المواطن يتمتع فيها بالحرية دون مقابل . ليس عليه ان يضحي بحريته أو بجزء منها نظير نهضته وتنمية موارده . ففي الأعوام الثلاثين من قبل عام ١٩٥٢ مارست تجربتنا الديمقراطية نشاطها وأحرزت تقدما في كافة المجالات . نجحت التجربة الديمقراطية بكل المقاييس وبلغت ذروة نجاحها في العام ٥٠/ ٥١ حين وصلت الحركة الوطنية إلى أوجها وقطفت ثمار نضالها وأرسلت مئات المتطوعين من مختلف فصائلهم لشد أزر الفلسطينيين في الزود عن أراضيهم ضد الهجمات الصهيونية المدعمة من جيش الاحتلال البريطاني والدول الكبرى في ذلك الوقت مما أجبر الملك على اتخاذ قرار اشتراك الجيش المصرى في الحرب الدائرة على أرض فلسطين . من هنا تعتبر الحركة المباركة التي قام بها الضباط الأحرار ابنا شرعيا للحركة الوطنية . ومن هنا كان من المنطقي أن تتحول هذه الحركة بعد أن باركتها وأيدتها الحركة الوطنية إلى الثورة . غير أن الضباط الأحرار بكل أسف وبعد أن دان لهم بسهولة حكم البلاد اختاروا

الديكتاتورية نظاما للحكم، وأشاعوا أن الديمقراطية إنما هى رجس من عمل الشيطان وعلى كل من يؤيد الثورة أن يتجنبه حتى تتمكن الثورة من تحقيق أهدافها . نسي هؤلاء الضباط أن حركتهم المباركة لم تأت من فراغ وأنهم جميعا قد رضعوا من ثدى الحركة الوطنية ومن كافة فصائلها وأن الولاء للثورة يحتم عليهم الولاء للديمقراطية لأن الديمقراطية وحدها هى القادرة على حماية الثورة ومكاسبها ويؤدى غيابها إلى ضياع كل شيء بما في ذلك إلى ضياع الثورة ذاتها . إن حركة الجيش المباركة قد أقنعت الشعب بالتنازل عن جزء كبير من حريته ومن فائض القيمة الذى يؤدى إلى زيادة دخله إلى أن تتمكن الثورة من تحقيق أهدافها التي لم تتحقق ومع ذلك لم يعيدوا للشعب حريته أو يردوا له ما اقتطعوه من دخله . وأصبح الشعب فى ظل الثورة محروما من أبسط حقوقه الطبيعية والاجتماعية الواردة فى المواثيق الدولية التي وقعت عليها حكومة الثورة . لم تكتف الثورة بمصادرة الحرية وحرمان الشعب من العائد العادل نظير عمله بل قامت أيضا بالعمل على إلغاء إرادته سواء عن طريق تخديرها لهذه الإرادة أو عن طريق إرهاب الدولة الذى مارسته ضد الشعب وفي أبشع صوره .

إن الديمقراطية هي قدرة الشعب على التغيير بما في ذلك تغيير حكامه ، وتغيير قوانينه ودستوره وإن الحاكم المخلص هو الذى يساعد شعبه على ممارسة ذلك ويمكنه من ممارسة الديمقراطية التي تلهمه رشده، وتملأ فؤاده وتشحذ همته لإحداث التغيير المنشود ، ولايمكن لشعب يحكمه حزب واحد إلا ووقع في براثن الدكتاتورية، وفقد حريته وقدرته على الإبداع .

من هنا علينا أن نعمل من أجل بعث الحركة الوطنية إلى الحياة . ورغم ما عليه هذا الأمر من صعوبة بفضل اتساع الفجوة بين الأجيال التي تسبب فيها نظام الحكم في مصر ، فإنني لا أراه مستحيلا، وأثق كل الثقة من تحقيقه بفضل المناضلين

على قلة عددهم الذين بذلوا الغالي والرخيص لعبور هذه الفجوة ونجاحهم في التواصل مع بعض رموز الحركة الوطنية ممن حملوا مشعل الحرية والديمقراطية من أمثال المغفور لهم فتحي رضوان وإبراهيم شكرى وحلمي مراد، وأمد الله في عمره أحمد حمروش إلى آخر هؤلاء المناضلين الشرفاء الذين وهبوا حياتهم في سبيل الدفاع عن الحرية وإرساء دعائم الديمقراطية .

علينا أن نواصل الجهاد في سبيل استعادة حريتنا المسلوبة، وحقوقنا المغتصبة وأهمها حقنا في التعبير بما في ذلك تغيير الحاكم . علينا أن نعمل على تنظيم المقاومة الوطنية التي ترتكز على إرادة الشعب وقوته . علينا غرس مبادئ الإخلاص والتفاني في حب الوطن وإنكار الذات . علينا أن نبذر الغرس الصالح في حقل العمل الوطني ولا نتعجل نتائجه ، وأن نعمل في نفس الوقت على رفع معنويات الشعب وأن نجعل من ذلك هدفا ومنهجا في حياتنا وتفكيرنا وأقوالنا وأفعالنا . وعلينا أن نتبنى في سبيل تحقيق كل ذلك مبدأ الكفاح السلمي ونبذ العنف وكافة الوسائل التي من الممكن أن تدفع خطواتنا إلى الوراء .

نداء إلى الشباب :

لم أعتمد في نضالى إلا على الله سبحانه وتعالى . نلت بعض التقدير من زملائي وممن يعرفونني . كما نلت بعض التقدير من بعض الأجهزة الرسمية . غير أنني واجهت الكثير من الجحود والعنت والظلم والاضطهاد وتلفيق الاتهامات ومحاولات التشهير وإساءة السمعة من العديد ممن أطلقت عليهم دراويش النظام . من هنا أستطيع أن أدعى أنني دائن لا مدين غير أنني لا أحاسب أحدا على ذلك وأعتبر إنني بذلك قد سددت ضريبة التضحية والجهاد خلال سنوات العمر وأكون قد ساهمت بذلك في النهوض بالشعب واستنفاره . وكنت قد كتبت فى هذا الصدد

بينما أنا في ريعان الشباب – عام ٧١/ ٧٢م – نداءا وجهته إلى الشباب قلت لهم فيه :

إلي بلادى إلى من صارت كل إلهامي

إلي من ملكت قلبي ووجداني

إلي رفاقى إخواني .. وأحبابي

أقدم كأس الحب من دمي وأشجاني

بأعلي صوتي أنادى

افتحوا الأبواب واصغوا

فقد بلى وترى ومزق الناى أوداجى

ضاق بي سجنى وضاق بي سجاني

والآن بأعلي صوتي أنادى

لكل بذرة تريد أن تكون مصرية

لكل أم وأب ولكل يد فتية

للكاد حين في المصانع وفي البيوت والقرية

وعلى جدار الأهرامات أحفر بحنية

فداك يموت ملايين وتعيشى ياحرية

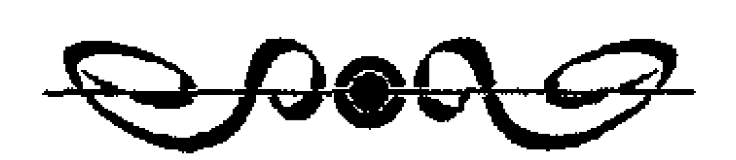
غير إنني في هذا الصدد لا أجد ما هو أروع من قصيدة « اغضب ... ولا تسمع أحدًا » للشاعر الكبير فاروق جويدة لأختم بجزء منها رسالتى إلى الشباب :

اغضبْ فإن الله لم يخلُقْ شُعُوبًا تستكينْ

اغضبْ .. فإن الأرضَ تُحنَى رأسَها للغَاضبينْ

اغضبْ .. فإن الريحَ تذبحُ سُنبلاتِ القمح..
تعصفُ كيفما شاءتْ .. بغُصْن اليَاسمينْ
اغضبْ .. سَتلقىَ الأرضَ بُركاناً..
ويغدوُ صوتُكَ الدَامى نشيدَ المُتْعبينْ
اغضبْ فإن حَدائقَ الزّيتُونِ..
لا تُؤْوى كلاب الصَيْدِ..
لا تَنْسىَ دِمَاءَ الرَّاحلِينْ
الأرضْ تحزنُ ..
حينَ تَرْتَجِفُ النُسُورُ ..
ويحتويهَا الخوفُ .. والحزنُ الدّفِينْ
الأرضُ تحزنُ حين يَسْتَرْخي الرِّجَالُ..
مع النّهايةِ .. عاجزِينْ
اغضبْ فإنَ قوافلَ الزَّمن المُلَوَّثِ..
تحْرِقُ الأحلامَ ..
في عين الصِّغَارِ الضَّائِعينْ
اغضبْ .. فإن العَارَ يَسْكُنُنَا
ويسرقُ مِن عيونِ الناسِ
لونَ الفرحِ..
يَقْتُلَ في جَوَانِحِنَا الحَنينْ
ارْفُضْ زمانَ العُهْرِ ..
والمجدِ المدَنسِ تحْتَ أقْدَامَ الطغاةِ المُعتدينْ ..

اغضبْ.. ففي جُثَثِ الصّغَارِ
سَنَابِلٌ تنمو .. وفي الأَحْشَاءِ
يَنْتَفِضُ الجَنِينْ
اغضبْ .. فإنَّكَ إنْ رَكَعْتَ اليَوْمَ..
سوفَ تظلُّ تركعُ بعد آلافِ السنينْ
اغضبْ.. فإنَ الناسَ حولكَ نَائِمُونَ ..
وكَاذِبُونَ ..
وعَاهِرُونَ ..
ومنتشون بسَكْرة العَجْزِ المهِينْ
اغضبْ إذا صليتَ ..
أو عانَقْتَ كَعْبَتَكَ الشَّرِفَة ..
مِثلَ كُلِّ المُؤْمِنَينْ
اغضبْ .. فإنّ الله لا يَرْضىَ الهَوَانَ لأُمّةٍ
كانتْ – ورَبِّ الناسِ – خَيْرَ العَالَمِينْ
فالله لم يخْلُقْ شُعُوباً تستكينْ



نبذة عن المؤلف

- من مواليد الإسكندرية أكتوبر ١٩٣٨م .

- حصل على بكالوريوس العلوم فى الكيمياء الخاصة بمرتبة الشرف مايو ١٩٥٨م .

- حصل على الدكتوراه فى هندسة الفلزات من معهد الصلب والسبائك بموسكو وعين مدرسا فى هندسة أسيوط سبتمبر ١٩٦٣م.

- عمل أستاذً مشاركًا في كلية الهندسة بجامعة ولاية كانساس ١٩٦٧م.

- عمل أستاذًا ثم وكيلاً لكلية الهندسة بأسيوط حتى عام ١٩٨٣ .

- عمل أستاذًا ورئيساً لقسم هندسة الإنتاج بجامعة المنصورة حتى ١٩٩٦م .

- حصل على جائزة الجامعة التقديرية فى العلوم الهندسية عام ١٩٩٦م .

- اختير مقرراً للجنة الدائمة لترقيات الأساتذة فى هندسة المناجم والبترول والفلزات ١٩٩٦م .

- أشرف على ما يزيد على خمس وثلاثين رسالة ماجستير ودكتوراه فى مصر والولايات المتحدة الأمريكية والجزائر .

- له حوالى مائة بحث منشورة فى مجال تكنولوجيا المواد والمواد النووية.

- عضو المعهد الأمريكى لمهندسى المناجم والبترول والفلزات منذ ١٩٦٧م .

- مؤسس ورئيس الجمعية المصرية للمواد بأسيوط عام ١٩٧٤م .

- عضو مؤسس لجمعية تكنولوجيا المياه .

- مؤسس ورئيس الجمعية العربية لتطوير وحماية المنتج الوطنى ٢٠٠٢م .

- عضو جمعية الهندسة الإدارية جمعية المهندسين المصريين .

- حصل على لقب مهندس استشارى عام ٢٠٠١م.

- حصل على لقب كبير محكمين للجائزة القومية فى التميز الصناعى عام ٢٠٠٥م من اتحاد الصناعات المصرية .

- عضو أكاديمية نيويورك للعلوم وعضو فى الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم عام ١٩٩٧م.

- تم اختباره بواسطة المعهد الأمريكى للسير الذاتية والأبحاث الدولية ضمن علماء العالم ٢٠٠١م.

- مؤسس المنظمة المصرية لحقوق الإنسان فى أسيوط والمنصورة والإسكندرية عام ١٩٨٦م .

- عضو جماعة الفنانين والكتاب أتيلييه الإسكندرية .

- عضو هيئة مكتب اللجنة المصرية للتضامن.

- عضو مكتب السكرتارية الدائمة للمنتدى الاجتماعي العربي.

- متزوج وله ٤ بنات وخمسة أحفاد .

- البريد الإلكتروني : S_rassoul@yahoo.com



فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة



هذا الكتاب

يعود الفضل في قيام تنظيم الضباط الأحرار بحركتهم المباركة في يوليو ١٩٥٢ الى الحركة الوطنية ونضالها المستمر منذ عصر محمد علي مرورا بثورة عرابي وثورة ١٩١٩ ونضال اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ١٩٤٦ وكفاح الفدائيين في فلسطين ومنطقة القناة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٢ وانتفاضة رجال الشرطة البواسل في الاسماعيلية يناير ١٩٥٢ .

كان عبد الناصر هو زعيمهم ، والوحيد من بينهم الذي سرعان ما اكتسب حب الناس بعد أن أدركوا أن أحلامه هي أحلامهم . لذا يمكنا القول أن الشعب وعبد الناصر هم اللذين حولوا الحركة المباركة الى ثورة .

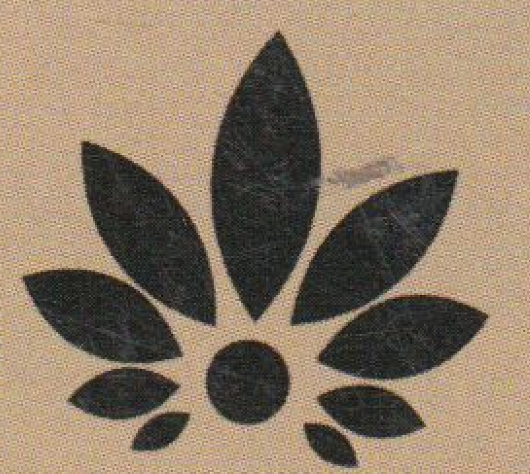
لم يكتف عبد الناصر بحب الناس فقرر أن يستحوز على إرادتهم فنصب نفسه دكتاتورا عليهم . والأدهى أن الضباط الأحرار بعد أن اخترقت عناصر الثورة المضادة صفوفهم ١٩٥٤ ذهبوا الى ما هو أبعد وأغلقوا جميع المنافذ وسدوا كل السبل ـ التي سبق لهم الاستفادة منها عند قيامهم بحركتهم المباركة ـ أمام جميع فصائل الحركة الوطنية ، وقاموا بقهرهم مستخدمين في ذلك كافة أساليب البطش والتعذيب متذرعين بالحرص على الثورة ومكاسبها .

أدى ذلك الى تحقيق أهم أهداف المخابرات الأمريكية والإسرائيلية وهو : "العمل على عدم ظهور ناصر آخر .." مع توجيه رسالة الى كافة الشعوب المتطلعه إلى الاستقلال والحرية مفادها : "حذاري من الثورة" !.

إن الدكتاتورية أضاعت منا عبد الناصر وأضاعت علينا فرصة العمر . لقد كان في مقدوره أن يحيا بنا ومعنا في بلد كان من الممكن أن يصبح من أعظم دول العالم ذلك لو أعطي الديمقراطية ثقته وولاءه .

من هنا رأيت أن يتضمن الكتاب رسالة الى الشباب اللذين لم يشهدوا الفترة التي عشتها وحاولت خلالها العمل على التغيير السلمي للحكم ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢ أدعوهم فيها الى ضرورة التمسك بحقهم الطبيعي في حياة كريمة ومواصلة العمل من أجل تحقيق الحرية والديمقراطية والتغيير السلمي لنظام الحكم حتى يتمكن الشعب من تحقيق ما سبق أن أخفقت فيه جميع ثوراته السابقة وحتى تتمكن مصر بفضل نضالها من تبوأ المكانة التى تليق بها بين الدول.





مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

www.gwbook.net

E-mail:tokoboko_5@yahoo.com